اتجاهات الجدل حول تجديد
الخطاب الديني
في مصر

دكتور علي ليلة
استاذ النظرية الاجتماعية
بجامعة عين شمس

٢٠٠٦

المحتويات

مقدمـــــــــه

المؤكد إن ثمة جدل واسع علي الساحة المصرية والعربية الإسلامية والعالميـــة حول تجديد الخطاب الديني وبخاصة الخطاب الإسلامي. ويكشـــف تأمـــل هـــذا الجدل في الزمن المعاصر عن بروز مجموعة مـــن العوامـــل التـــي فرضـــت مضامينه التي بلغت حد التناقض – عبر الخلاف – الذي ينفي بعضـــه الـــبعض الآخر. حقيقة إن الجدل حول تجديد الخطاب الديني والإسلامي قد وقـــع مـــرات عديدة عبر تاريخنا الديني ، وربما أنتج خطابا مجددا مرات عديدة كذلك ، غير انه في هذه المرة يقع في ظل ظروف جديدة . من زاويـــة نـــدركها باعتبارهـــا غير مواتية للأمة وندركها من زاوية أخري باعتبارها مواتية، والشئ ونقيضـــه هو الذي فجر ظاهرة الجدل حول تجديد الخطاب الديني وأبدع طابعها الكلي .

فقد تفجر الجدل حول تجديد الخطاب الديني فـــي نهايـــة عصـــر شـــهد صراع أيديولوجيات علمانية كبري . فخلال الربع الأخير من القـــرن العشـــرين بدأت الأيديولوجية الاشتراكية في السقوط الذي اكتملـــت مراحلـــة مـــع بدايـــة التسعينيات حينما انهار الاتحاد الســـوفيتي. وتآكلـــت الايـــدولوجيا الاشـــتراكية وإنتصرت في المقابل الايدولوجيا الليبرالية التي شكلت المنظومة القيمية للنظـــام الرأسمالي. وإذا كان العالم قد توقع انتهاء عصر الصراع الأيـــديولوجي، فـــي إعقاب انتهاء عصر الصراع المسلح في الحـــرب العالميـــة الثانيـــة، وتوابعـــه المحددة خلال عقدي الخمسينيات والستينيات. وهي التوابع التي تحملـــت عبـــئ استمرارها الحركات المناضلة من أجل الاستقلال والتحرير في مجتمعات العالم الثالثز غير أن الصراع ظهر علي غير المتوقـــع مـــن جديـــد بـــين الكتلتـــين المتحالفتين أثناء الحرب العالمية الثانية واستمر حتى انهيار الاتحاد السوفيتي

مع بداية عقد التسعينيات من القرن العشرين. وقد تنبأ دانيل بل من خلال مؤلفه نهاية الايدولوجيا هذه اللحظة التاريخية مبكراً ، أي حتي قبل وقوعها متجسدة علي ساحة النظام العالمي .ولا يمكن إرجاع سقوط الكتلة الاشتراكية لقوة او فاعلية الكتلة الليبرالية، بل لبذور فناء هي التي قضت بنية الأولي، منها ان المجتمع الاشتراكي لم يقدم إشباعا حقيقيا وكاملا لحاجات الإنسان السوفيتي في واقعه المادي، ومنها كذلك أن المجتمع الاشتراكي لم يحقق نجاحا يذكر في بناء الإنسان الاشتراكي الذي يعمل وفق قيم اشتراكية.

وفي زهوة الانتصار أدركت القوة الليبرالية انها لم تكن وحدها صاحبة الفضل في هذا الانتصار الإيديولوجي، بل يرجع بعض هذا الفضل لعيوب في تطبيق النص الاشتراكي ذاته، أضافة لوجود منظومات قيمية أعاقت امتداد الايدولوجيا الاشتراكية علي الصعيد العالمي ، وأبرزها منظومة القيم الإسلامية فقد ظلت تركيا الإسلامية – برغم الأتاتوركية – عائقا أمام تدفق القيم الاشتراكية علي خرائط أوسع في هذا العالم ، وبقيت الجمهوريات الإسلامية السوفيتية تعمل وفقا لمنظوماتها القيمية الإسلامية الكامنة ، برغم ان حياتها اليومية منظمة علي المستوي الظاهري او الرسمي وفق منظومة قيم الايدولوجيا الاشتراكية . وتبنت غالبية الأنظمة السياسية في العالم العربي والإسلامي الايدولوجيا الاشتراكية، غير ان منظومتها القيمية المسيرة للحياة اليومية ظلت مستنده الي قاعدة القيم الإسلامية. بالاضافة إلي ذلك فقد لعبت الحرب الأفغانية دورا أساسيا في إنهاك الاتحاد السوفيتي، حيث لعب التيار الإسلامي دورا بارزا في هذا الصراع مدعوما حينئذ بسلاح الولايات المتحدة الأمريكية.

غير إن زهو الانتصار الإيديولوجي الليبرالي لم يستمر كثيرا فقد أدركت القوة المنتصرة وهي تسعي لإعادة صياغة هذا العالم وفق إيديولوجيتها الليبرالية إن الأرض ليست ممهده تماما لعولمة هذا العالم وفق إيديولوجيتها ونوعية حياتها . وذلك يرجع إلي أن العالم المحيط بها ممتلئ بمنظومات قيمية متنوعة غير أن أخطرها المنظومة القيمية الإسلامية التي تؤكد علي النقاء والتطهر والقيم المعنوية التي تيسر خلاص الإنسان ليلقي جزاءه المنتظر في الحياة الآخرة ، وفي ذات الوقت فهي قيم ومبادئ تدفع الإنسان إلي العمل والتأكيد علي الحق والعدل والمساواة بين البشر، وفوق ذلك هي قيم ترفض الظلم والطاغوت ، ولو كان ذلك بالقوة متي إستنددفدت فاعلية الوسائل الاخري دفاعا عن العقيدة أو الأرض . هي إذن عقيدة تجعل المسلمين سادة الدنيا والآخرة علي السواء. وتأملت القوي الغربية الأمر فوجدت ان قوي الإسلام التي حققت الاستقلال في مجتمعات عديدة، هي التي تسعي ألان بحميه لصون هذا الاستقلال، بل ومحاولة دفع مجتمعاتها علي طريق التطور والتحديث من خارج المرجعية الغربية، ولا حتي ملهمة بالتجربة التركية وتفجرت لديها هواجس الخوف من هذا العدو المنتظر. فقد تفجرت الثورة في إيران واستعادت من خلال الثورة وجهها الإسلامي، وهي تسعي لان تكون قوة إقليمية يحسب حسابها وأن تكون قوة ذرية كذلك. وقد فجرت باكستان قوتها الثورية، وأطلق الغرب عليها " قنبلة إسلامية " وكان الغرب العلماني هو الذي نعتها بذلك. وبدأت الأرض علي الساحة الإسلامية كأنما هي رمال متحركة وغير ثابتة، فالإسلاميون يطالبون بالتغيير ملهمين بالتجربة الإيرانية رافضين التجربة التركية. وظهرت الحركات الجهادية في مصر والجزائر وتونس والمغرب واليمن ، والشام ، وحتى الجزيرة العربية التي أول الإسلام فيها قديما

باعتباره قوة محافظة ، وقامت الحرب الأفغانية الداخلية في محاولة لاستخلاص أفغانستان من السيطرة الأمريكية بعد إن استخلصتها سابقا من السيطرة السوفيتية . حقيقة انها – أي التجربة الأفغانية – قد انحرفت بالمجتمع الي فهم إسلامي جامد ومحافظ وغريب علي روح الإسلام، إلا أنها كانت كافية لدق الأجراس التي تنبه الي الخطر الجديد . في هذه المرحلة عقدت المؤتمرات العديدة في كل مكان وفي غالبية العواصم الغربية، جميعها تسعي الي فهم الإسلام والحركة الإسلامية المرتبطة به . ووصل المؤتمرون جميعا خاصة ذوي الانتماءات الغربية الذين يتحركون علي مرجعية مصالحهم، الي قناعة ان الإسلام هو الخطر القادم. وانه اذا كان الخطر الأحمر قد زال بانهيار الاتحاد السوفيتي ، فان الخطر الإسلامي الأخضر ما زال قائما ويستجمع قوته، ومن الضروري ان نكون مؤهلين لمواجهته .

وجاءت إحداث ١١ سبتمبر التي اتهم فيها إسلاميون عرب لتجسد هواجس الخوف وتفرض حتمية المواجهة بين القوي الغربية الرأسمالية التي تقودها الولايات المتحدة باعتبارها القوة المتربعة علي قمة القوة في العالم من ناحية والتي تسعي إلي فرض العولمة من ناحية ثانية وبين الإسلام السياسي او الجهادي الذي يفترض ان يجسد إحدي القوي المواجهة للعولمة ان لم يكن القوة القائدة لهذه المواجهة. علي هذا النحو أصبحت إحداث الحادي عشر من سبتمبر الحجر الذي سوف تضرب به قوي العولمة أكثر من عصفور واحد. **أولها** ملاحقة الجماعات الجهادية، والتي تعتت "بالإرهابية" لتطوير رأي عام عالمي مضاد لها، لتبرير شن الحرب عليها وذلك باعتبارها الجماعات التي تسعي الي تحويل الإسلام إلي إسلام حركي ينشر وربما يفرض علي الصعيد العالمي في الحد الاقصي، او الدفاع عن معانيه ضد غزو الثقافة الغربية وقيمه في الحد

الادني . ونتيجة لتفكير وجهود علمية عديدة وصل الغـرب إلـي قناعـة أنـه لإجتثاث جذور هذه الجماعات، فإنه من الضروري القضاء علي التربة المولـدة للرفض او الجهاد في المجتمعات الإسلامية، ولتحقيق ذلك لا بـد مـن تعـديل العقل الإسلامي. هذا التعديل أخد صفة التوصية او المشورة بالإصـلاح الـذي يتلفح أحيانا بعباءة التجديد بهدف فرض تراجـع الإسـلام ألـي مجـرد قـيم ومعتقدات تنظم علاقة الإنسان بخالقة ونزع طابعه السياسي ان لم يكن تقلـيص كل فاعليته في مجال المعاملات ، أو بالأصح فصل الدين عن الدولـة ، حتـى تشق المجتمعات السلامية ذات الطريق الذي قطعة التطور الديني الغربي حيـث ورثت منظومة القيم العلمانية مكانة منظومة القيم المسيحية – غير مـدركين أن الأمر فيما يتعلق بالإسلام يختلف – بحيث ينتهي التطور للإسلام فـي النهايـة إلي فصل الدين عن الدولة من ناحية ، ومن ثم استبعاد الحياة المدنيـة عـن إن ينظمها الدين من ناحية ثانية . وتبلورت هذه السياسات جميعهـا تحـت شـعار العلمانية ، ليس بالمعني الإسلامي ولكن بالمعني الغربـي . **والثـاني** إخضـاع النظم السياسية للمجتمعات التي قيل إنها مولدة للإرهاب، وهو الإخضاع الـذي سوف يساعد من ناحية علي تيسير مهمة الولايات المتحدة وإسرائيل في تحقيـق أهدافها ولتحقيق ذلك يصبح من الضروري مطالبتهـا بـبعض الاصـطلاحات الاقتصادية والسياسية كوسيلة للضغط علي هذه الأنظمة الضعيفة مـن ناحيـة، ونزع طابعها القهري المولد في جانب منه لجماعات الإرهاب والتطرف التـي تخرج من بين الجماهير التي تتسع مساحة تهميشها من ناحية ثانية . علي هـذا النحو أصبحت المطالبة بالإصلاح السياسي والاقتصادي غطاء للإصلاح الديني كما رآه الغرب. وفي مواجهة نظم خاضعة ومستكينة يصبح من السـهل إعـادة صياغة نظامها التعليمية، وإعادة تشكيل دينها وعقلها الإسـلامي ليصـبح دينـا

مستأنسا وعقلا غربيا لا يأبه كثيرا بحراسة أمته ولا في التفكير في مصـــالحها، وغير قادر علي استنفار البشر حينما تنتهك حرماتهم.

وحتي تتحقق هذه العملية الموجهة لتقليم أظافر الإســـلام أهـــدافها بنجـــاح كان من المنطقي ان تعمل القوي الغربية علي إثارة حالة من الفوضى تضـــعف بها النظم الإسلامية والعربية وترهبها، كاحتلال أفغانستان واحـــتلال العـــراق، وفرض وجود قوات أجنبية في مناطق مختلفة من الجزيـــرة العربيـــة، وإثـــارة فوضي الأقليات في لبنان، ومحاولة إثارة الوقيعة في مصر ، والســـعي لتقطيـــع أواصر السودان من الجنوب ومن الغرب ، والعمل علي إثـــارة صـــراع دينـــي طائفي عرقي في العراق بحيث تساعد كل هذه الإحداث علـــي إضـــعاف بنيـــة المجتمع العربي الإسلامي . إضافة إلـــي غـــض الطـــرف عـــن الممارســـات الإسرائيلية في فلسطين بحيث تتخلق حالة من العجـــز وعـــدم الفاعليـــة علـــي الصعيد العربي والاسلامى، حتي تصبح هذه الكتلة غير قادرة علي مواجهة مـــا يتم فرضه عليها من الخارج. وبحيث يصبح هم غالبية الأنظمة السياســـية فـــي المجتمعات العربية الإسلامية مجرد ان تبقي حيه سلمة غير مقسمه بعيدة عن السيطرة الخارجية المباشرة وأن تظل زعاماتها جالسة علـــي ســـدة الكراســـي، ولتطلق في مقابل ذلك يد القوي الغربية تعبث بكل ما تشاء ، ابتداء من تعـــديل نظام التعليم ومرورا بتقنين غربي للأحوال الشخصية، وانتهاء بالتطـــاول علـــي الإسلام ذاته كقاعدة للثقافة والمجتمع .

بالاضافه الي ذلك فقد لعبـــت الظـــروف المترديـــة داخـــل المجتمعـــات الإسلامية دورا بارزا في المطالبـــه بالتجديـــد . فمعـــدلات التنميـــة أصـــبحت محدودة، والتعديل الهيكلي أصبحت تنتابه مشاكل ومظاهر سلبية عديـــدة . فقـــد ارتفع عدد السكان تحت خط الفقر الي ٥٠% تقريبا ، وارتفعت معدلات البطالة

حتى طالت كل بيت في غالبيه المجتمعات العربية الإسلامية ، وتردت نظم التعليم كذلك بحيث أصبحت نظما عبئا غير قادرة علي تحديث مجتمعاتها ، الأمر الذي أدي في النهاية الي تردي نوعية الحياة ذاتها . وظهرت تساؤلات استنفرت إجابات متناقضة ومستقطبة تعبر عن مواقف عديدة . حيث يري الموقف الأول أن المرجعية الإسلامية تحتوي علي نصوص صادقة ومطلقة ، وأن هذه النصوص تضم القرآن والسنة وفقة الأئمة . وأن تجديد خطاب هذه المرجعية ينبغي أن يعيد قراءة نصوصها ليستكشف معاني جديدة كامنة بها تنطبق علي الواقع المتغير. ولدي هذه الأمة كتابين الأول القرآن الذي يتضمن النصوص، والثاني الكون باعتباره وكلاهما صادر عن الله ومن خلقة. ومن ثم فكل تغير في الواقع هو قائم في النص، وعلي المجدد أن يستكشف المعاني التي تقدم فهما لمتغيرات الواقع الجديدة والمتجددة . إلي جانب ذلك يذهب الموقف الثاني الي ان حالة التردي التي وصلنا إليها ترجع لأننا تخلينا عن تراثنا وسعينا الي تحديث مجتمعاتنا وفق أيديولوجيات غريبة علينا . وقد آن الأوان لأن نعمل علي تحديث مجتمعاتنا تحت رايات تراثنا وديننا ، بعض هذا الفريق أدرك انه لكي يلعب الدين هذا الدور في قيادة التطور الاجتماعي فإنه من الضروري ان نعمل علي تجديد روحه وبعث الحيوية فيه حتي يكون قادرا علي التعامل بروح إنسانية مع قضايا محورية معاصرة . يساعدهم في ذلك ان الإسلام صالح لكل زمان ومكان وأنه صنع أمجادا وأسس حضارة عظيمة حينما ألهمت قيمة ومبادئه عقول البشر، وان الأمر متروك للعقل المسلم الذي عليه ان يبدع في تأكيد الملاءمة بين التراث الديني والمجتمع.

مقابل ذلك يري موقف **ثالث** انه لم يعد هناك وقت أمام التردي الــذي وصــلنا إليه في مقابل التفوق الذي حققه الغرب ، لكي نضيع مزيداً مــن الوقــت فــي تجديد ديننا وإبداع التحديث من داخله ، ومن ثم فلم يعد أمامنا سوي التخلي عن أسمالنا البالية والقديمة ، لنقفز مباشرة في البحر الغربي حتي يمكــن ان نحقــق الشروط او الظروف الملائمة لتحديث وتقدم مجتمعاتنا، وحتــي يتحقــق ذلــك انفعل مثلما فعل الغرب ، أن نفصل الدين عن الدولة ، وليتراجــع الــدين الــي حدود الضمير الفردي ، ونأخذ بالعلمانية التي ينبغي ان تشكل منظومتها القيمية قاعدة للمواطنة . لم يعد هناك وقت حتي لكي نجدد ونطور، بل علينا ان نأخــذ مباشرة بأسباب التقدم الغربي . ومن هؤلاء فريق لم يتطــرف كثيــرا ورأي ان الإسلام ذو قيم إنسانية عامة وان منجزات الغرب الصحيحة لا بد ان تتسق مــع مضامين السلام، لان الإسلام بعث للإنسانية جميعها ولم يكــن قصــده العــرب وحدهم . ثم ان الحضارة الغربية بها كثير من العناصر التي أخذتها عن الحضارة السلامية سابقا ، فكأننا نسترد بعض بضاعتنا او نحصل علي نصــيبنا من التطور الإنساني والحضاري المعاصر . وقد كان هذا الفريق معدا ومستعدا لتبني مثل هذا الموقف بطبيعته، قادر دائما علي التكيف مع الظروف المتغيــرة، ففي زمان الجدل حول الاصالة والمعاصرة، أصبحوا هــم فرســان المعاصــرة وكان اغلبهم ماركسيين، وحينما ســقطت الإيــديولوجيات الاشــتراكية وجــدوا القارب العلماني الذي أصبح ليبراليا فقط هو القارب الملائم للإبحار ضد التيــار الإسلامي فقفزوا فيه ليستمر لهم وجود . ومن المــدهش فــي الأمــر إن هــذه الشريحة كانت التي تهاجم الرأسمالية المستغلة في الزمن الاشتراكي فإذا بها

تركب الآن قواربها لتهاجم من علي متنها الإسلام *. لقد تحول غالبية الذين طالبوا بالمعاصرة قديما الي الانضواء تحت شعار العلمانية، ومن ثم المطالبة بتنحية الإسلام عن ان يكون مرجعية لنوعية حياتنا، متذرعة تارة بقضايا التحديث علي الطريقة الغربية، وتارة أخري بقضايا اجتماعية متنوعة نقلتها عن الأجندة الغربية ، وتارة ثالثة بقضية أهمية فصل الدين عن الدولة مثلما حدث تاريخيا في الغرب . علي هذا النحو أصبحت العلاقة بين الدين والمجتمع علاقة موضع جدل ، وقد كان ذلك في حد ذاته إنجازا تحقق لرافضي ارتباط الإسلام بالمجتمع . وقد حاولت في هذه الدراسة التعرف علي الأبعاد الأساسية للجدل الدائر حول تجديد الخطاب الديني أصافة إلي محاولة التعرف علي وجهة نظر القوي الاجتماعية المختلفة وطبيعة المواقف التي تبنتها وهو ما نعرض له من خلال الصفحات التالية

---

*من المدهش إن غالبية المؤتمرات التي عقدها هذا الفريق عقدت في الغالب في عواصم غربية كمؤتمر "إعلان باريس "وشارك فيها أجانب، وكان أغلب المشاركين فيها ماركسيين سابقين. هذا إلي جانب ان اغلبهم ممن ليست لهم قراءات حقيقية في الفكر الإسلامي. ومن المدهش أيضا إن موقفهم المعلنة والمضادة للدين معروفة عموما ، ومن ثم يمكن اعتبار محاولاتهم هذه نوعا من العبث بالدين . بالإضافة الي ذلك فإننا اذا تأملنا السلوك الفكري لهذه الجماعة فسوف نجده دو طبيعة انتهازية، ففي المرحلة الاشتراكية التي مرت بها بعض المجتمعات الإسلامية ومنها مصر ، كانوا هم الفرسان الذين يرفعون لواء الأيدولوجيا الاشتراكية ، والأقلام التي أبدعت في شرح مزايا الماركسية . وحينما اكتسحت الأيدولوجيا الليبرالية العالم الآن وفرضت قيمها عليه ، وبدأت في عداء مع الإسلام رفعوا لواءات الليبرالية العلمانية والحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان الفرد، بعضهم تعلم في الغرب ، والبعض الآخر معروف بعدائه للدين والإسلام والبعض الثالث معروف بمحدودية قدراته ، المدهش أنهم تحولوا في المرحلة الأخيرة الي فقهاء يسعون بفقههم الي أعادة صياغة الإسلام حسبما يري السيد "الغربي وبخاصة الأمريكي القوي" .

اولا: الإجراءات المنهجية للبحث.

ونظراً لأن قضية تجديد الخطاب الديني من القضايا التي أصبحت موضع جدل وحوار من قبل مختلف الأطراف، فقد كان من الطبيعي أن نقود التحليل منهجيا علي ثلاث مستويات، في اطار المستوي الأول تسعي إلي التعرف علي الأطراف المختلفة التي طورت موقفا بشأن تجديد الخطاب الديني، وفي أطار المستوي الثاني حاولنا التعرف علي زاوية النظرة إلي عملية تجديد الخطاب تلك التي تبناها كل موقف من المواقف . وعلي المستوي الثالث حاولنا التعرف علي الحجج أو البرهنة التي قدمها المنتمين إلي كل موقف من هذه المواقف لتبرير وجهة نظرهم في تجديد الخطاب الديني، ومحاولة تحديد جوانب الاتفاق والاختلاف بين هذه المواقف والمرجعيات التي ضبطت آداء مواقف مختلف الأطراف المشاركة في الجدل وكذلك المنطق الذي وجه هذه الممارسات التحليلية وسوف نعرض بإيجاز للإجراءات المنهجية علي النحو التالي:

١ – **منطق المتصل لفهم ظاهرة الجدل حول تجديد الخطاب الديني:**علي هذا النحو تحددت قضية البحث كما أشرت برصد طبيعة الجدل حول تجديد الخطاب الديني ومواقف مختلف الإطراف في إطاره . بداية ندرك ان قضية الجدل هي قضية كلية بالأساس اكتسبت كليتها من شمولها. هذا الشمول تاريخي بدايته تتمثل في دعوة القرآن الكريم إلي التغير الذي يتضمن التجديد حيث قوله تعالي " ان الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم.." وقول الرسول الكريم " صلي الله عليه وسلم " " إن الله يبعث لهذه الأمة امة الإسلام علي راس كل مئة عام من يجدد لها أمر دينها" بمعني ان الله سبحانه وتعالي يجعل احد أفذاذ المفكرين المسلمين ممن أوتوا العلم والفضل وإمعان التفكير المستقيم ، ليقوم

بتجديد التفكير في هذا الدين بصورة لا تخالف ما جاء في الكتاب والسنة ، وفي الوقت نفسة تتلائم مع روح العصر الذي يوجد فيه المفكر" (١) . وتتمثـل أول بدايات التجديد في إيقاف الخليفة الرشيد عمر بن الخطاب العمل بأحـد الحـدود حينما استدعت ذلك ظروف الفقر ووطأتها علي البشر. واسـتمرت محـاولات التجديد في اتجاهات عديدة تجسدت في ظهـور المـذاهب الأربعـة، واسـتمر التجديد حتى العصور الحديثة، حيث بذل رواد عظماء جهودهم في هذا الاتجاه، نذكر منهم الشيخ جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبـده ، والشـيخ ورشـيد رضا والشيخ حسن العطار والشيخ الدكتور يوسـف القرضـاوي والمستشـار طارق البشري والدكتور محمد عمارة والدكتور احمد كمال ابو المجد والمفكـر الإسلامي الأستاذ فهمي هويدى .وقد كان لهذا التجديـد لـه إبعـاده الجغرافيـة كذلك، فالمطالبون بالتجديد منتشرون علي خريطة العالم ابتداء مـن الولايـات المتحدة الأمريكية وأوربا وحتى الجماعات الخارجة علي تراثهـا فـي غالبيـة المجتمعات الاسلامية، مرورا بالمثقفين ذوي التوجهات الاسلامية علي تنـوعهم واختلافهم . وهو ما يعني أننا أمام حقيقة او قضـية كليـة اتخـذت الإطـراف المختلفة موقف متباينة وجزئية بشأنها ، ونقصد بالمواقف الجزئيـة ان نظرتهـا الي قضية التجديد كانت من زاوية محدودة الي حد كبير ، ومن ثم فقد اختلفـت وجهات النظر هذه عن بعضها البعض لتصل الي حد التناقض أحيانا .

ومن ناحية ثانية نجد ان حقيقة التجديد ذات طبيعة دينامية متغيرة، فمطلـب التجديد دائم وقائم علي بعدي التاريخ والجغرافيا كذلك. والمجددون الإسـلاميون طيلة التاريخ قائمون يجددون في كل عصر، ويتصدون بالتجديد عـن طريـق تطوير التصورات والأحكام لقضايا مستجدة دائما فرضها الواقع المتغير عليهم، ويتصدون أيضا للهجوم علي الإسلام من الخارج او من داخل ارض أمتة كمـا

كان قائما بصورة دائمة، وان تغيرت القضايا التي يــدور حولهــا الخــلاف او الجدل . بل اننا نجد ان بعض المتجادلين قد غيروا كثيرا من مــواقفهم ، فثمــة ماركسيين أصبحوا إسلاميين ، وثمة متشددين أصــبحوا معتــدلين . المرجعيــة ظلت كما هي ثابته والمواقف هي التي تغيرت في مواجهــة هــذه المرجعيــة ، ونحن اذا نظرنا الي هذا الأمر بنظرة طائر فسوف نجد ان الجدل بشأن قضــية التجديد ظل ديناميا ومتحركا دائما ، غير ثابت لا في القضايا المرحلية المثارة، ولا فيما يتصل بالمواقف المختلفة التي تبنتها الأطراف المختلفة ، ولا في منهج او منطق التجديد ذاته .

لذلك وجدنا ان فكرة المتصل Continuim هي المنطق العلمــي الأكثــر ملاءمة لفهم ظاهرة الجدل الدائر حول تجديــد الخطــاب الــديني . والمتصــل بطبيعته خط او استمرار يبدأ وينتهي بــين نقطتــين أحــداهما نقطــة البدايــة والاخري نقطة نهاية . علي النقطتين الطرفيتين توجد أقصي المواقف تطرفــا ، وبينها تتدرج مواقف الإطراف المختلفة المشاركة في الجدل او الحوار ، وكــل موقف يحتوي علي قدر او مكون من كلا الطــرفين ، وعلــي قــدر العناصــر المشكلة لموقف كل مشارك في الجدل نجدة يقترب من هذه النهاية الطرفية لــو تلك . ويختلف الإدراك علي أساس المتصل عــن الإدراك المســتقطب فــي ان الإدراك الأخير أكثر سكونية في طبيعته واقل واقعية في منطقة ، لأنــه يبــرز الواقع متناقضا ومنقسما علي ذاته دائما ، بينما الإدراك الأول متــدرج يعكــس طبيعة التفاعلات الواقعية التي قد تكون متناقضة أحيانا الا أنها متكاملــة دائمــا وفي النهاية . ولا يمكن أن نقول مع البعض بان فكرة المتصــل قــد تجاوزهــا التطور الفكري ، الذي أصبح يؤكد الآن علي التفكيــك وعــدم الانتظــام . قــد يحدث التفكيك أحيانا ، ومن ثم تتبعثر الوحدات ظاهريا ، بيد اننا نــدرك ذلــك

باعتباره حالة عابرة ومؤقتة في بعض مجالات التفاعل الاجتماعي ، غير انهـا لا يمكن أن تصبح الحالة الدائمة والشاملة لكل مجالات التفاعل . كما أننا نؤكـد إننا اذا تأملنا الأمر فسوف نجد أن ثمة وحدة قائمة او في طور النمو والاكتمـال قائمة وكامنة وراء هذا التفكيك او التبعثر القائم .

واذا كان هذا البحث يستهدف إدراك طبيعة الجدل حـول تجديـد الفكـر الديني علي أساس " المتصل " ، فقد كان من المنطقي أن يكون تحديدنا لمواقف الإطراف المختلفة المشاركة في الجدل علي أساس بعدي التنـاقض والتـدرج . التناقض يبرز حينما نجد أن بعض الحالات التي قابلناها تقف موقفـا متناقضـا من بعضها البعض أو حينما نحاول تحليل الأفكار التي تعبر عن وجهـة نظـر الإطراف المختلفة. أما التدرج فيتمثل في انه بغض النظر عن هـذه المواقـف المتطرفة، فان هناك مواقف عديدة تصطف علي الخط الذي يصل بين الموقفين الطرفيين المتناقضين استنادا إلي الأفكار النظرية التي تعبر عن هذه المواقـف، بحيث يتشكل هذا المتصل علي النحو التالي :

ديني يرى النص (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) علماني يـري الـنص مقدسا لا مساس به < ———————————— > خاضع للتجـــديـد

٢ – مصادر المادة الخاصة بالجدل حول تجديد الخطـاب الـديني: إذا كانـت فكـرة المتصل هي التي حكمت اختيار الحالات التي قمنا بمقابلتها ، فإننا قمنـا أيضـا بتحليل الأفكار والبيانات التي تم جمعها وفقا لمنطق هذا " المتصل " كذلك . في هذا الإطار فإننا نري من الضروري الإشارة لأربعة حقائق تتصل بمصادر

جمع البيانات.حيث تتمثل الحقيقة **الأولي،** في إننا لم نراع فكرة المتصـــل فـــي عملية جمع التراث النظري المتعلق بالجدل حول تجديد الخطاب الديني ، بحيث اتيحت الفرصة لظهور كل الأفكار. في هذا الاطار أثرنـــا الاعتمـــاد بالاســـاس علي المقالات الحديثة المنشورة علي شبكة المعلومات أو في بعـــض المجـــلات حول تجديد الخطاب الاسلامي وبخاصة المادة المنشـــورة فـــي عـــام ٢٠٠٥ ، ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٣ وهكذا تنازليـــا حتـــي عـــام ٢٠٠٠ ، ذلـــك بالإضـــافة إلـــي المؤتمرات أو الندوات التي عقدت بشأن تجديد الخطاب الـــديني . وقـــد فضـــل فريق البحث هذه المادة لاعتبارين. الاعتبار الأول أن هذه المادة المنشورة فـــي مقالات أو ألقيت في مؤتمرات هي مادة حديثـــه طرحـــت كأســـاس للحـــوار أو للتعبير عن وجه نظر كاتبها فيما يتعلق بتجديد الخطاب الديني والاعتبار الثـــاني أن هذه المادة تمثل وجهة نظر الكاتب الموقفية تجاه الحـــدث أو الفكـــرة التـــي يناقشها وتتصل بتجديد الخطاب الديني، حيث تتميـــز وجهـــة النظـــر الموقفيـــة بإختلاط العناصر العقلانية بالعاطفية، كما تتميز بدرجة عالية مـــن التلقائيـــة . وهي تختلف عن الأفكار المسجلة في كتاب مثلاً حيث يكون الحدث قد تقـــادم ، ويطفي عنصر العقلانية والتدبر علي ما عداه . لهذا السبب اســـتندت تحليلاتنـــا للجدل الدائر حول تجديد الخطاب الديني إلي المادة الحديثة والمقالية بالأساس . بينما تؤكد الحقيقة **الثانية** علي اختيارنا ألعمدي لبعض الشخصيات التـــي لـــديها اهتمام بالجدل او الحوار حول الخطاب الديني وبخاصة الإسلامي بحيث تمثـــل مواقف متدرجة علي المتصل . ومن ثم فإنـــه إذا تجميعنا لبيانـــات المستـــوي الأول

عشوائياً، فإن تحديدنا لمصادر بيانات المستوي الثاني كان عمديا *حيث حاولنا إختيار بعض الشخصيات العامة المهتمة بتجديد الخطاب الاسلامي وشاركت بالجدل في شأنه . وقد كان أمامنا اسلوبين لاختيار هذه الشخصيات العامة بإعتبارها الشخصيات أو الحالات معها الحالات المتعمقة وبتمثل الأسلوب الأول في اتجاه الي تنميط النخبة الثقافية بتصنيفها إلي عدة أنماط أساسية ثم نختار من كل نمط بعض الحالات التي تعبر عنه ، مع مراعاة أن يكون عدد الحالات المختارة من كل نمط تعكس حجم عدد حالات النمط واقعيا . بيد أن هذا الأسلوب يعيبه أن الحالات المختارة تمثل مختلف مفردات النمط ، وبعض هذه المفردات قد لا يكون لديه المستوي الملائم من الاهتمام بمسألة تجديد الخطاب الديني . ثم أن هذا الاسلوب أقرب ما يكون إلي أسلوب العينات ، ويخل إلي حد ما بمقتضيات المقابلات المتعمقة لبعض الحالات . بينما يذهب الأسلوب لاختيار الشخصيات والحالات التي يمكن مقابلتها مقابلة متعمقة إلي أختيار ما يمكن أن يسمي بالحالات البارزة Saliant Cases (٢) وهي الحالات التي تكون ذات إتمام مباشر بالموضوع بأي زاوية من زواياه . ثم أنها الحالات التي تكون علي دراية واضحة بمسألة تجديد الخطاب بل وطورت

---

*استنادا إلي ذلك تمت مقابلة المستشار طارق البشري المفكر والكاتب الإسلامي المشهور ونائب أول رئيس مجلس الدولة سابقا ، فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ علي جمعة مفتي الديار الاسلامية والأستاذ بجامعة الأزهر، الأستاذ الدكتور عبد المعطي بيومي المفكر الإسلامي المشهور ، والأستاذ بجامعة الأزهر وعضو مجلس الشعب ، المفكر والكاتب الإسلامي المعروف الأستاذ فهمي هو يدي الكاتب بمؤسسة الأهرام ، المفكر العلماني المشهور الأستاذ الدكتور صلاح قنصوة عميد كلية آداب الزقازيق ،

وأستاذ الفلسفة بأكاديمية الفنون . الأستاذ سامح فوزي كاتب صحفي بجريدة وطنـــي ، المهنـــدس ســـمير مرقص مستشار المركز القبطي للدراسات الاجتماعية .

إدراكا عميقا لذلك، ومن ثم لها موقفا بشأنه .

إستناداً إلي ذلك فضلنا الأسلوب الثاني لاختيار الشخصيات (الحالات) التي سوف نجري معها مقابلة متعمقة . وقد قمنا بإختيار هذه الشخصيات بحيث تعكس الوان الطيف الثقافية والفكرية المهتمـــة بالخطـــاب الـــديني أو بتجديـــد الخطاب الديني . بحيث تمثل هذه الشخصيات المختـــارة تيـــارات أو مواقـــف فكرية كاملة تهتم بتجديد الخطاب الديني. نذكر منها الموقف الاسلامي المحـــافظ والتقليدي والذي يقف من تجديد الخطاب موقفا سلبيا . ثم الموقـــف الاســـلامي المجدد والذي يمكن أن يدخل في منطقة ما يسمي شيوعاً بالاســـلام السياســـي ، ثم الموقف العلماني المعتدل أو الرشيـــد الذي يدرك أن بالاسلام علمانيته التـــي تتجاوز أحيانا العلمانية الغربية ، أو الذي يميـــل إلـــي الاســـتفادة مـــن بعـــض منجزات العلمانية الغربية بشرط أن لا يكون ذلـــك علـــي حســـاب المعـــاني أو المرجعية الاسلامية ، ثم الموقف العلماني الكامل الذي ينادي بضـــرورة الأخـــذ بالعلمانية الغربية ولو كان ذلك علي حســـاب اســـقاط المرجعيـــة الاســـلامية ، وأحيانا يكون ذلك هدفهم المبتغي . بالإضافة إلي ذلـــك عرضـــنا فـــي بعـــض الاحيان لموقف الجماعة المسيحية من تجديد الخطاب الديني بشـــكل عـــام ، أو الاسلامي بشكل خاص ، وفي أحيان أخري عرضنا للموقف المسيحي كمكـــون في بناء مجموعة المواقف السابقة .

وقد كان أسلوب المقابلة المتعمقة هو الاســـلوب الامثـــل لجمـــع البيانـــات والتعرف علي مختلف وجات نظر الشخصيات التـــي قابلناهـــا. أحيانـــا كانـــت المقابلة واحدة تمتد لعد ساعات تصل أحيانا لســـت ســـاعات ، وأحيانـــا كانـــت

المقابلة علي مرتين . وقد قام فريق البحـث بصـياغة دليـل لجمـع البيانـات المختلفة من مختلف جوانب تجديد الخطاب الـديني ، حتـي يمكـن أن توجـه المقابلة بواسطة الدليل لتحقيق هدفها بجمع البيانات المتعلقة بمختلـف جوانـب الموضوع . وقد تم تسجيل هذه المقابلات وتفريغها ، وتصنيفها ، وتحليلها وكنا كتابه التقرير . في هذا الإطار فانه عند تحليلنا للبيانـات المتعلقـة بمختلـف الإطراف ، فإننا وجدنا إلي حد كبير تطابقا بين مستويي المعطيـات النظريـة والميدانية التي خضعت للتحليل . وتتصل الحقيقة **الثالثة** فـي أنـه بـرغم إن الخطاب الإسلامي ، هو موضع الاهتمام لاعتبار انه أصبح ساحة لجدل علمـي وعالمي فان الأشخاص الذين تمت مقـابلتهم ينتمـون إلـي الـدين الإسـلامي والمسيحي علي السواء ، وان أكدت بعض الشخصيات المسيحية الـذين تمـت مقابلتها علي ضرورة أن ينال الإهتمام تجديد الخطاب المسيحي كـذلك ، ولقـد آثرنا هذا الاختيار لأن تجديد الخطاب الديني – حتي لو كان الإسلامي فقـط – يهم المسلمين والمسيحيين علي السواء . ومن خلال الحقيقة **الرابعة** ثم الاتجـاه إلي استبعاد الطرف الخارجي من الجدل ، إلا بقدر ما يطرح ظروفـا تفـرض ضرورة التجديد او يقدم أفكارا تؤثر علي مواقف بعض أطراف الجدل .

٣ – **مواقف تجديد الخطاب الديني :** في محاولة إستكشاف طبيعة المادة التـي تم جمعها سواء المادة النظرية المتعلقة بتجديد الخطاب الديني ، أو المادة التـي تم الحصول عليها من خلال المقابلة المتعمقة مع بعض الشخصيات العامة التـي لها علاقة بتجديد الخطاب الديني أو لها أهتمام به، إتضح لنا أن المادة التي بين أيدينا تعبر عن تطوير أو تجريد لبعض وجهات النظر فيمـا يتعلـق بمختلـف القضايا المتعلقة بتجديد الخطاب الديني . بحيث نتجـت لـدينا مجموعـة مـن

المتصلات المتعلقة بالقضايا المختلفة التي طرحت لتشكل مساحة من الاهتمام .

ولما كان المتصل هو خط يصل بين موقفين متطرفين أو مستقطبين علي نحـو ما أشرنا ، فإن قراءة هذه المتصلات جملة أنتجت لنا أربعة مواقف ، هي أكثـر المواقف بروزاً والتي قمنا بتحليل المادة الميدانية والنظرية التي تـوفرت لـدينا وتعبر عن وجهة نظرها مع التأكيد علي ثلاث ملاحظـات . **الأولـي** أن هـذه المواقف هي المواقف الأكثر بروزاً ، والأكثر تجريدا وهو ما يعنـي أن هنـاك مواقف أخري ولكنها ليست بارزة بالدرجة الكافية، **والثانية** أن هـذه المواقـف تنفصل أو تتميز عن بعضها أحيانا فيما يتعلق ببعض القضـايا وفـي أحيانـا أخري نجد أن بعضا من هذه المواقف تتداخل حتي تكاد أن يشكل موقفا واحـدا فيما يتعلق ببعض القضايا الأخري . **والثالثة** أننا لا نجد دائمـاً وجـوداً لهـذه المواقف الأربعة فيما يتعلق بمختلف القضايا ، بل أحيانا نختزلهـا إلـي ثلاثـه مواقف أو حتي موقفين إستناداً إلي أهمية القضية مـن ناحيـة أو لمحوريتهـا بالنسبة لنسق التفكير الديني من ناحية ثانية . إرتباطا بذلك فإننا نعـرض فيمـا يلي لأهم هذه المواقف وخصائصها العامة .

أ – **الموقف الديني الملتزم بالمرجعية الدينية** : يتميز هذا الموقـف بـالإلتزام بالمرجعية الدينية بدرجات متفاوتة ويضم هذا الموقف رجال المؤسسـة الدينيـة سواء كانوا من أساتذة جامعة الأزهر أومن علماء الأزهـر الشـريف ، أو دار الإفتاء أو بعض المفكرين الإسلاميين المتنورين الـذين لـديهم التـزام كامـل بالمرجعية الدينية بخاصة وثائقها الأساسـية المتمثلـة فـي القـرآن والسـنة، ويضيف البعض فقة الأئمة الأربعة . يري أصـحاب هـذا الموقـف ان الـدين الاسلامي يتشكل من مقولات إنسانية مطلقة في غالبها ، وأن الدين قابل للتجديد إستنادا إلي الحديث النبوي الشريف للصحابة القائل " جددوا أيمانكم" ، أو حينما

أوقف سيدنا عمر حدا من حدود الاسلام في عـــام "الرمـــادة". بـــل أن تنـــوع المذاهب الأربعة ذاته يشير إلي نوع من التجديد ، حيث أبدع كل إمام في قراءة المرجعية الإسلامية . البعض رأي أن التجديــد يعنـــي الالتـــزام بـــالنص ، أي المرجعية والعمل علي استعادتها لتقود الواقـــع ، بينمـــا رأي الـــبعض الآخـــر ضرورة قراءة النص وإعمال العقل دون المساس بالمرجعيـــة أو قبـــول مـــا لا يختلف مع المبادئ الأساسية للإسلام والمقاصد الخمسة . غالبية المنتمين لهـــذا الموقف يؤكدون علي قراءة القرآن والســـنة بإعتبارهمـــا المكونـــات الرئيســـية للمرجعية الاسلامية. أحيانا يذهب بعض أعضاء هذا الموقف إلي التأكيد علـــي القرآن والسنة ، وأحيانا يؤكد البعض الآخر علي القـــرآن والســـنة الصـــحيحة وأحيانا ثالثة يؤكد البعض علي القرآن والسنة وفقة الأئمة الأربعة . يـــري هـــذا الموقف أن المرجعية الاسلامية قضايا ذات طبيعة متكشفة تتكشـــف نصوصـــها بالنظر الواقع النسبي المتباين زمانيا ومكانيا . كما يروا أن النص مخزون مـــن المعاني، ومن ثم فكلما حدث تغير في الواقع فعلينا أن نتجه إلي النص نحـــاول أعادة قراءته في اطار الواقع الجديد ، فإذا بنا نكتشـــف معـــاني جديـــدة، أو أن النص يتكشف أمامنا ليطرح معاني جديدة تلائم الوقائع المتجددة. يـــرفض هـــذا الموقف أي مساس بالنص لأنه مقدس وإذا كان من الضروري تأمل النص مـــن أجل استكشاف معاني جديدة فإن ذلك ينبغي أن يكون بالنظر إلي قواعد محددة، ويتطلب أيضا إمتلاك ناصية مجموعة من العلوم اللغوية والشرعية حتي يصبح التجديد محكوما بمعايير محددة . يدرك أصحاب هـــذا الموقـــف أن المرجعيـــة الإسلامية تتضمن ما يمكن أن يسمي بالعلمانية الرشيدة أو المعتدلة . ويرون أن المرجعية الإسلامية مطلقة وأزلية وصالحة لكل زمان ومكان ، وما علينـــا فـــي

مواجهة الواقع النسبي المتجدد سوي أن نلجأ إلي نصوص المرجعية لنستنبط ما يلائم الواقع الجديد .

ب – الموقف الديني المتوازن : وهو موقف يلتزم بالمرجعية الدينية وفي ذات الوقت يلتزم بإحتياجات الواقع المتجددة . يدرك هذا الواقــع حقيقــة أن الــنص مطلق، غير أنه نص متكشف في ذات الوقت ، يتضمن بداخلــه كــل مــا هــو نسبي . هو نص إلاهي مطلق وقادر علي توجية تفاعل المجتمــع منــذ بدايــة الكون وحتي نهايته . يتزاوج في نطاق هذا النص ما هو مطلق مــع مــا هــو نسبي ، تزاوج المتباينات أو المتناقضات ، ومن ثم فهو النص الأكثــر تماســكا والأكثر وحدة. إطلاقية هذا النص تتماهي مع كليته ، وتتماهي أيضا نسبيته مــع جزئيته. إطلاقية هذا النص وكليته تتكشف عــن جزئيتــه ونســبيته ، فــالنص كالبساط ينبسط إنبساطا ويتكشف تكشفا، ومن ثم يوازن هذا الموقف بين ما هــو مطلق وما هو نسبي ولا تناقض بينهما . يضم هــذا الموقــف عــادة المثقفــين والمفكرين ذوي التوجهات الاسلامية ، لديهم بعد سياسي في تفكيرهم ، الاســلام له طبيعته المتجددة لديهم ، وإذا كان الموقف السابق أكثر التزاما بالنص ، فــإن هذا الموقف هو الأكثر التزاما بالاجتهاد في اطار النص وعلي حــين يــرفض الموقف الأول التوجهات العلمانية يري الموقف الثاني أن بالاســلام علمانيــة ، غير أنها علمانية رشيدة . لا يرفض هذا الموقف كل ما هو غربي، ولكنه يــري أن في الحضارة الغربية بعض المفاهيم والقضايا كتلك المتعلقة بالديموقراطيــة وحقوق الانسان التي يمكن إلاسترشاد بهما للبحث عن نظائرها فــي الاســلام ، أو الاستفادة منها ونقلها شريطة أن لا تتعارض مع المرجعية الاسلامية ولا مــع نص . وفيما يتعلق بالقرآن والسنة وفقة الأئمة الأربعــة بإعتبارهمــا عناصــر المرجعية الاسلامية، يختلف المنتمين لهذا الموقف بشأنها. بعضهم يؤكــد علــي

العناصر الثلاثة بإعتبارها عناصر جوهرية تشكل بناء المرجعية. إلـــي جانـــب ذلك هناك بعض أعضاء هذا الموقف التي تقصر هذه المرجعية الإسلامية علـــي القرآن والسنة ، إضافة إلي بعض أعضاء هذا الموقف الـــذين يقصـــرون هـــذه المرجعية الإسلامية علي القرآن والسنة الصحيحة ، ومجموعة رابعـــة تكتفـــي بالتأكيد علي أن القرآن يشكل أساس المرجعية وجوهرها، وهو في ذلك يقترب كثيراً من عناصر الموقف العلماني .

ج – **الموقف العلماني.** يسعى هذا الموقف جاهدا إلي دفع المجتمع الإســـلامي علي طريق التحديث الغربي، ويري هذا الموقف ضرورة أن نعمل علي تجديـــد الإسلام حسبما يقولون "بلا ضفاف". بالنسبة لهم كل شئ قابل للجدل بمـــا فـــي ذلك النص ذاته، فالنص بخاصة النص الشرعي تاريخي بطبيعته ، كـــان نتـــاج ثقافة وقد أنتج بدورة ثقافة نعيش في إطارها . يؤكـــد بعـــض أصـــحاب هـــذا الموقف علي ضرورة التحرر من المرجعية الإســـلامية، خاصـــة أن الإســـلام أصبح يعزلنا عن العالم الذي نعيش فيه، أولا بسبب التطرف والإرهـــاب الـــذي تفجر استنادا إلي قضاياه وشوه صورتنا أمام العالم . وثانيا لعجزة عن التفاعـــل مع قضايا كثيرة معاصرة كقضايا المرآة والديموقراطية والأقليـــات، وثالثـــا لأن الاسلام كان دائما مطية النظم السياسية الظالمة في قهرها لشعوبها . وقد لعـــب الفقهاء التقليديون دوراً محوريا في ترسيخ التسلط والقهـــر، ونحـــن الأن فـــي عصر يؤكد علي الديموقراطية ولا يحتمل ظلما أو إستعباداً. ومـــن ثـــم يـــري المنتمون إلي هذا الموقف أن العلمانية هي أفضل الاليات لتحـــديث مجتمعاتنـــا، وهو ما يعني دفع المجتمع الاسلامي لتبني العلمانية الغربية التي تعنـــي فصـــل الدين عن الدولة وتراجع الدين إلي حدود الضمير الفردي والتأكيد علـــي العلـــم بإعتباره الذي يتولي قيادة التفاعل الاجتماعي ومن ثم فتجديد الخطـــاب الـــديني

عند هذا الفريق يعني أن يستبدل الدين بالعلمانيـــة، وأن يهــبط الــنص الــديني المقدس من فوقيته أو عليائه لنتعامل معه تحليليا وبنفس أدوات تحليــل الــنص الإنساني يضم هذا الفريق خليطا من البشر منهم قــدامي الماركســيين، الــذين إستبدلوا العلمانية بالماركسية في أعقاب أنهيار الاتحاد الســوفيتي. أو بعــد أن إستنفدت النظرية الماركسية مقولاتها وعجزت عن مسايرة الواقع المتغير الــذي تجاوزها. بعض أعضاء هذا الموقف تعلموا في الغرب، وأعاد الغرب إنتــاجهم أو صياغتهم فكريا وأيديولوجيا، وعادوا ليبشروا بأفكاره وعلمانيته . يــرون أن التحديث الغربي هو الطريق الأمثــل لتحــديث مجتمعــاتهم، دون أن يحــاولوا تحديثها من داخل تراثهم. يضم هذا الموقف فريقا من المثقفين الهواه أو مثقفــي المودة، فإذا كانت الموضة ماركسية كانوا هم أيضــا ماركســيين، وإذا حلــت الليبرالية محلها كانوا هم المدافعين الغيورين عن الليبراليــة ، فــإذا أصــبحت الموضة في هذه الأيام هي الهجوم علي الاسلام، فليس هناك ما يمنع أن نســير في الركب. هم علي أستعداد للقيام بأي ممارسة كنوع من الأنتهازية الثقافيــة . يخلع هذا الفريق عن النص قدسيته، ويري أن هذا النص بحد ذاته لــيس ســوي نص تاريخي، وأننا ينبغي أن نكيفه بحسب واقعنا، أو لندعه جانبا وليشق واقعنا طريقة منفصلا عنه. يذهب أصحاب هذا الموقف أحيانــا إلــي التشــكيك فــي المرجعية ذاتها، بل ويسعون دائماً للعبث ببناء المرجعية كالمطالبــة بإســتبعاد آيات الجهاد من القرآن لأنها عزلتنا عن العــالم. أو القــول بتاريخيــة بعــض نصوص االقرآن ، وأزلية أو القول بإمكانية إعادة ترتيب سور القرآن بصــورة تختلف عن الصورة التي هي عليها الان ، كذلك القول بأهمية القــراءة الذاتيــة للنص القرآني وتأويله بلا قيود أو ضفاف .

د – **الموقف المسيحي :** تم فصل هذا الموقف وتمييزه علي سبيل التجريد فقط ذلك أن واقع الأمر يشهد علي توزيع مثقفي الجماعة المسيحية علي المواقف الثلاث السابقة . فمنهم الملتزمين بالمرجعية الدينية كرجال الدين ومنهم الخارجين عليها كالعلمانين الماركسيين ، ومنهم الذين وقفوا في المنطقة الوسط الذين وازنوا بين مرجعيات الدين والمجتمع . قليل من أفراد هذه الجماعة تحدثوا عن تجديد الخطاب الاسلامي بالتحديد ، بينما تحدث غالبيتهم عن تجديد الخطاب الديني بشكل عام، إسلامي ومسيحي علي السواء ، مع ذكر أمثلة للجهود المتصلة بتجديد الخطاب الديني . علي هذا النحو نجد أن الموقف المسيحي كالاسلامي يجمع بداخله كل ألوان الطيف الفكرية والأيديولوجية ، ما يميز هذا الموقف أن له وجهة نظر في الخطاب الاسلامي والمسيحي علي السواء .

و – **الموقف الخارجي و الأجنبي :** بالاضافة إلي ذلك هناك الطرف الخارجي والمتمثل في القوي الغربية التي فصلت الدين تاريخيا عن الدولة في مجتمعاتها . والتي رأت أن يسود ذات التجانس علي الصعيد العالمي ، وهو التجانس الذي أصبح بعدا أساسيا في السعي لعولمة هذا العالم . في هذا الاطار تعد الولايات المتحدة الأمريكية هي القوة التي تسعي إلي فرض العولمة دون منافس علي الصعيد العالمي. وقد أكدت من خلال كتابات بعض مفكريها أن الاسلام هو الحضارة المرشحة للصراع مع الحضارة الغربية الرأسمالية. وقد قدمت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ طاقة دافعة للاتجاهات العدائية المضادة للاسلام الأمر الذي أسس إصرارا لدي القوي الغربية، وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية إلي تعديل الاسلام بحيث يصبح مستحدثا أو مستأنسا ومواليا للغرب الرأسمالي .

هـ - **موقف المسلمون في الغرب:** أدي إستعمار الغربي في القـرن التاسـع عشر لبعض مجتمعات الشرق الاسـلامي إلـي قيـام علاقـة عضـوية بـين المجتمعات الغربية والمجتمعات الاسلامية. وقـد تشـكلت هـذه العلاقـة بـين الجانبين وطورت عدة قنوات تعمل علي تعميق الارتباط بين المجتمع الاسلامي والقوة المستعمرة له حتي بعد رحيلها. وتعد الهجرة من المجتمعـات الاسـلامية إلي مجتمعات أوربا الغربية أحد مظاهر هذه العلاقة والذي كان مـن نتيجتهـا وجود جاليات إسلامية كبيرة في عديد من المجتمعـات الغربيـة. وقـد بغـض المجتمعات الغربية التي بها الآن أقليات إسلامية كبيرة، في ادماجها في حتي لا تصبح مصدرا للقلق والاضطراب. الأمر الذي أدي إلي تنحية هـذه الجماعـات لبعض القيم الدينية جانبا، حتي يمكنها المشاركة فـي نوعيـة الحيـاة اليوميـة السائدة بكل تفاصيلها، بما في ذلك الاشتراك في منظومة القيم العلمانيـة . واذا كانت جهود إدماج الجاليات الاسلامية في بعض المجتمعات الغربية قد نجحـت في تنحية بعض القيم الاسلامية عن ان تنظم الحيـاة اليوميـة للبشـر ، فإنهـا إتجهت إلي فرض بعض التجديدات أو التعديلات في منظومة القـيم والمبـادئ الاسلامية حتي لا تقف عائقا أمام انتشار القيم الغربية ، ونوعية الحياة الغربيـة في دار الاسلام ذاتها، إستنادا إلي أن أعضاء هـذه الجاليـات علـي إتصـال مستمر بمجتمعاتهم، ويمنكهم التأثير فيها . وعلي هذا النحو تكون قـد قطعـت علي الجماعات الجهادية المقاومة" الطريق لأن بيئتها لـن تكـون مواتيـة لهـا وتكون في نفس الوقت قد قلمت أظافر الاسلام علي أرضه ، لأنهـا تكـون قـد نجحت في ترسيخ قواعد العولمة ألمستندة إلي الأيدولوجيا الليبرالية بالاسـاس . وتكون بذلك قد ضمنت السيطرة الإيديولوجية ، ومن ثم أكدت علي عدم ظهـور صراع إيديولوجي جديد . ومن الطبيعـي أن تكـون الجاليـات المسـلمة فـي

المجتمعات الغربية قد تبنت الموقف الذي يؤكد علي وجهة نظر محـــددة فيمـــا يتعلق بتجديد الخطاب الديني بحيث يكون متفهما لواقعها وإحتياجاتها ويعبر فـــي ذات الوقت عن ثقافتها المستغربة.

٤ – **إطار تحليل الجدل حول تجديد الخطاب الديني:** لإنجاز دراسة الجدل حـــول تجديد الخطاب الديني كان من المنطقي أن يسعي فريق البحـــث إلـــي صـــياغة إطار مرجعي لجمع البيانات حول الجدل بشأن تجديد الخطاب الديني . وقد كان أمام فريق البحث ثلاثة أساليب لبناء الاطار المرجعي ، إثنين منهما اشار بهمـــا عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز . ويتحدد الاســـلوب الاول لتأســـيس الاطار النظري لأي ظاهرة من الظواهر بإشتقاق القضايا ذات العلاقة بوصـــفها وتحليلها وتفسيرها من أبنية نظرية قائمة فعلاً، بحيث نشكل هذه القضـــايا فـــي مجموعها نموذج نظري بمعني Model يوفر الأدراك والفهم العلمي للظـــاهرة. ويتم التحقق من مدي صدق هذه القضايا بالنظر إلـــي الظـــاهرة أو الموضـــوع موضع الدراسة بطبيعة الحال إذا إستطاعت آداء وظيفتهـــا الخاصـــة بوصـــف وتحليل وتفسير. ويتمثل الأسلوب الثاني في تأسيس تصور نظري يتشـــكل مـــن بعض القضايا النظرية القائمة في التراث النظري بغض النظـــر عـــن أنتمائهـــا لنظرية بعينها، مع ضرورة ترتيب هذه القضايا في بنية منطقية، بحيث تشـــكل في مجموعها اطارا مرجعيا أو نموذجاً توجيهيا Paradigm لإدراك تفـــاعلات الظاهرة أو الموضوع موضع الدراسة . ويتمثل السلوب الثالث في بناء الاطـــار المرجعي الملائم لعمليات الوصف والتحليل والتفسير استنادا إلي عناصر البنـــاء الواقعي للموضوع أو الظاهرة موضع البحث والدراسة (٣). ويمكن الوصـــول إلي القضايا المتعلقة بعناصر البناء الواقعي للظـــاهرة مـــن خـــلال إستكشـــاف

التراث النظري المتعلق بعناصر هذه الواقعة أو الظاهرة. الأسلوب الأول والثاني يبدا من أعلي بينما يبدا السلوب الثالث من أسفل ، أي من البناء الواقعي للظاهرة أو الموضوع .

وقد تبني فريق البحث الأسلوب الثالث لبناء الاطار المرجعي لجمع المعطيات المتعلقة بالجدل حول تجديد الخطاب الديني. ولبناء هذا الإطار المرجعي تم تبني خطوتين، الأولي تمثلت في قراءة بعض جوانب التراث النظري لصياغة دليل لدراسة الظاهرة، شكل في ذات الوقت قاعدة لأن يتحول إلي إطار مرجعي لعمليات الوصف والتحليل والتفسير. والثانية تحكيم هذا الاطار تحكيما علميا للتأكد من كفاءته وفعاليته في عملية توفير الفهم العلمي لموضوع الدراسة وإتخذ عنوان .

وقد ساعد الدليل في عملية توجيه جمع البيانات المتعلقة بالتراث النظري المتعلق بمختلف المواقف الفكرية. هذا بالإضافة إلي أن مقابلة المفكرين الذين طوروا وجهة نظر فيما يتعلق بتجديد الخطاب الديني تمت استنادا الى دليل المقابلة المشار إلية. ونحن إذا تأملنا بناء الدليل فسوف نجد أنه تضمن مقدمة وثلاثة عشر عنصرا سعي فريق البحث بالاستناد اليها جمع البيانات المتعلقة بالجدل حول الخطاب الديني، حيث حاولنا استكشاف مختلف المواقف المختلفة والمهتمه بتجديد الخطاب الديني إستناداً إلي العناصر التالية:

---

١. الجدل حول معني تجديد الخطاب الديني.
٢. الجدل حول ظروف تجديد الخطاب الديني.
٣. اتجاهات الجدل حول شروط تجديد الخطاب الديني.
٤. اتجاهات الجدل حول القضايا التي يجب ان يهتم بها تجديد الخطاب الديني.

٥. اتجاهات الجدل حول أولوية مجالات تجديد الخطاب الديني.
٦. اتجاهات الجدل حول آليات تجديد الخطاب الديني.
٧. اتجاهات الجدل حول منهج تجديد الخطاب الديني.
٨. اتجاهات الجدل حول تجديد الخطاب الديني ام تجديد خطابات المجتمع.
٩. اتجاهات الجدل حول أهداف تجديد الخطاب الديني.
١٠. اتجاهات الجدل حول مرجعية تجديد الخطاب الديني.
١١. اتجاهات الجدل حول الفاعل المسئول عن عملية تجديد الخطاب الديني.
١٢. اتجاهات الجدل حول حدود تجديد الخطاب الديني.

وقد شكلت عناصر الدليل طبيعة التساؤلات التي من المفترض أن يطرحها فريق البحث فيما يتعلق برصد اتجاهات الجدل حول تجديد الخطاب الديني. وهي التساؤلات التي حاولنا الإجابة عليها في الأقسام التالية لتقرير البحث.

ثانيا : الجدل حول معني تجديد الخطاب الديني :

لا شك ان المسألة المتعلقة بمعني الخطاب الديني او الخاصة بتجديد الخطاب الديني كانت من المسائل الرئيسية التي اختلفت حولها الإطراف المهتمة بتجديد الخطاب الديني. في نطاق هذه المسألة نوقشت مسائل فرعية عديدة دار حولها جدل اتجه الي الاتفاق حينا وإلي الاختلاف أحيانا.

١ – تاريخية التجديد في التراث الإسلامي: تدور المسألة الأولي حول مدي قبول التراث الديني الإسلامي لجهود التجديد. الإجابة علي ذلك تؤكد أن ظهور الاسلام كان يمثل في حد ذاته تجديداً للثقافة العربية لأنه قدم معاني جديدة لم تكن قائمة من قبل، بل وقدم تنظيماً اجتماعياً وسياسياً لم تشهده البيئة العربية السابقة علي ظهوره. ونحن اذا تأملنا مسيرة التراث الإسلامي بعد ذلك فإننا

سوف نجد أن وتيرة التجديد كانت قائمة دائما، تأكيداً لذلك إيقاف الخليفة الرشيد عمر بن الخطاب لحد السرقة في ظــروف واجهــت فيهــا الجزيــرة العربيــة المجاعة والفقر. وكذلك حينما أبقي الخليفة الأموي عثمان " رضـــي الله عنـــه " علي مصحف واحد وحرق ما عداه بحيث شكل ذلك جرأة وتجديداً وخطوه الـــي الأمام حفظت علي الأمة وحدة تراثها وجعلت نصوصه إطاراً للاتفاق وليســت مصدراً للفرقة. وهو ما يعني أننا اذا تأملنا مسيرة الثقافة العربيـــة والاســـلامية لوجدنا أن تجديد الفكر الديني كان صيغة ملازمة لهذه المسيرة. في هذا الاطـــار يمكن النظر الي ظهور المذاهب الأربعة في تاريخ الثقافة العربيـــة الاســـلامية، بإعتبارها محاولات مستمرة لتجديد أو إعاده قـــراءة الـــنص وفـــق الظـــروف المتغيرة.

إرتباطا بذلك يذكر " أمين الخولي " في كتابه المجددون فـــي الاســـلام أن القدماء كانوا يقصدون بالتجديد إحياء السنة وإماتة البدعة وإحياء مـــا إنـــدرس وتتبع تفعيل هؤلاء لأحوال التجديد. وهل هي منازع واتجاهات عملية اجتماعية أم أنها نظرية تبليغية ؟ فيراهم ينزعون حينا منزعاً عمليا وحينا آخـــر منزعـــاً نظريا. ومع هذا وذاك نلحظ إيثارهم للمنزع العملي في التجديـــد الـــذي تؤيـــده اشياء منها أنهم يعدون الخلفاء الراشدين مجددين، وأن مجـــال تجديـــدهم فـــي إصلاح الأمة هو في حفظ دينها وبث العدل والإنصاف الذي به تحقـــن الـــدماء ويتم التمكن من أقامة قوانين الشرع، ولذلك بدأ القدماء يعدون في كل مائة عـــام حكاماً مع العلماء. ففي المائة عام الأولي ظهر خامس الخلفاء الراشـــدين عمـــر بن عبد العزيز بالطبع الي جانب الخلفاء الراشدين الأربعة وقـــالوا أى العلمـــاء يكفي هذه الأمة وجودهم خاصة وأنهم جاهدوا لإقامة دعائم الإسلام. وعدوا فـــي المائة الثانية الخليفة المأمون مع الأمام الشافعي ومعـــروف الكرخـــي . وفـــي

الثالثة المقتدر بالله مع الامام أحمد بن حنبل والكندي والرازي الفيلسوف . وفـي المائة الرابعة القادر بالله مع أبو الحسن الأشعري والفارابي . وفـي الخامسة المستظهر بالله مع حجة الإسلام الإمام الغزالي والشـيخ الـرئيس بـن سـيناء والإمام بن حزم الأندلس. وفي المائة السادسة الفيلسوف ابن رشـد والشـريف الإدريسي وأبو الفرج الجوزي. وفي المائة السابعة تقي الدين بن تيميـة وإبـن دقيق العيد. وفي المائة الثامنة ولي الدين بن خلدون وإبن قـيم الجوزيـة وأبـو إسحاق الشاطبي. وفي المائة التاسعة القاضي الأنصاري وإبن الوزير اليمنـي . وفي المائة العاشرة سليمان القانوني . وفي المائـة الحاديـة عشـرة إبـراهيم الكوراني والمقبلي اليمني . وفي المائة الثانية عشرة ولي الدين الدهلري . وفي المائة الثالثة عشرة الشوكاني والافغاني وأحمد خان. وفي المائة الرابعة عشـرة الامام محمد عبده ومصطفي المراغي ومالك بن بني ومحمد شلتوت ومحمد أبو زهرة . وفي المائة الخامسة عشرة الامـام يوسـف القرضـاوي و المستشـار طارق البشري والدكتور محمد عمارة والاستاذ أحمد كمال أبو المجد والأسـتاذ فهمي هويدي ولكل واحد من هؤلاء علي مدي الخمسة عشر الماضـية أعمالـه الاصلاحية العظيمة في خدمة الاسلام ، وهو ما يعني أن التجديـد فـي معنـاه الأساس أنه حركة فكرية دائمة متصلة ما اتصلت الحياة وما قـام فيهـا مـن يحمي الحياة من الانحراف ، ويجهر بالحق ويصون المجتمـع مـن الإنتكـاس وشيوع المفاسد (٤) . يؤكد ذلك الاشارة إلي أن الاجتهاد وان كان قد توقف في بلاط السلطة السياسية أحيانا الا ان الفكر الاسلامي قد عرف شيئا مـن حيويـة الاختلاف والاجتهاد " (٥) .

بيد اننا اذا تأملنا حالة التجديد في الخطاب الديني في الفترة الأخيرة فإننـا نلاحظ أنه برغم التجديدات القوية التي قدمها علمـاء شـرفاء ، إلا أن وتيـرة

التجديد في المرحلة الأخيرة قد ضعفت أو بدأت تنحرف عن مسارها السـليم . وذلك يرجع الي ثلاثة اعتبارات. ويتمثل الاعتبار **الأول** في التحالف الـذي قـد وقع بين السلطة السياسية وأصحاب النزعة الدينية المحافظة . ذلـك أن فتـرات التوقف عن التجديد أو المحافظة ترجع بالاساس الي تحالف أصـحاب النزعـة الدينية المحافظة مع السلطة السياسية المتسلطة ذات الطبيعة الأبويـة ، بحيـث يعمل هذا التحالف عادة في أتجاه قمع واستبعاد المجددين ورفض آيـة محاولـة إصلاحية تقوم بها المؤسسات الدينية أويؤديها النظام التعليمي لانتاج خطابـات دينية جديدة . علي هذا النحو يشكل التحالف السياسي المعلـن بـين السـلطات السياسية والدينية أحد العوامل البنائية التي تقف ضد إصلاح الخطابات والإنتاج الفقهي التجديدي الإصلاحي . وتكمن خطورة هذا التحالف في اتجاه المؤسسـة الدينية والسلطة السياسية إلي التأكيد علي الخطـاب الـديني الرسـمي الملائـم لمصالح ومراكز القوي المسيطرة علي مقاليد السـلطة والثـروة فـي غالـب المجتمعات العربية . وهو ما يعني سيطرة السلطات السياسـية العربيـة علـي الدين وتوظيفة والتلاعب به لأهداف سياسية ورمزية، سواء في تأكيد الشـرعية السياسية أو في التبرير والتعبئة السياسية وكذلك الاجتماعيـة وفـي السياسـة الخارجية ، الأمر الذي أدى الي نتائج خطيرة علي حياتنـا الدينيـة والروحيـة والسياسية (٦) .

ويتمثل الاعتبار **الثاني** في حالة التردي القومي ، أو ما يمكن ان يسـمي بالانهيار البنائي للمجتمع ، حيث تواجه المجتمعات في بعض فتـرات التـاريخ حالة يتساقط في إطارها المشروع الشامل للأمة أيا كانت طبيعتة ، قوميا كـان أم إسلاميا ، حيث تضعف الثقافـة وتتراجـع معـدلات التحـديث . وتصـبح

المشكلات والهموم اليومية هي الآليات التي تصرف البشر عن الأهداف والجهود العامة . في هذه المرحلة يتشرذم إلبشر الي فئات اجتماعية لا يجمعها شمل واحد ، فالعقد الموحد لهم والمؤكد لتماسكهم قد أنفرط . ومن ثم تتجه الجماعات اتجاهات متناقضة ، أليست هي الحال التي نعيشها الآن حيث يختلف البشر فيما لا يجب الاختلاف فيه . مثال علي ذلك أن القول بتحديد الخطاب يتأرجح الآن بين من يؤكد علي النص في حرفيتة ، ومن يؤكد علي روحه وتأويله ، بين من يؤكد علي تاريخية النص ، ومن يرسخ أزليته ، من يؤكد علي أن التجديد مباح بما لا يمس النص او المرجعية ، ومن يخلع عن النص قدسيته ويؤكد علي أن تجديد الخطاب او الفكر الديني ينبغي أن يكون بلا ضفاف ما دام ذلك يحقق مصالح الجماعة ويشبع إحتياجاتها .

ويتصل الاعتبار **الثالث** في التأثير الذي تمارسة قوي العولمة علي عملية تجديد الخطاب الديني او بالاصح إصلاح الفكر الديني حيث يتم هذا التجديد في ظل ظروف قهر غير مواتيه تصل إلي حد طلقات المدافع .وهو ما يعني أن المطالبة بتجديد الخطاب الديني يتم التأكيد عليها في اطار ضغط او قهري عالمي يسعي الي إضعاف النظم السياسية باعتبار ان سياستها التحديثية وفسادها هو المؤسس للارهاب الديني، ومن ثم فهي نظم مولدة للارهاب وأن بالاسلام دوافع جهادية واضحة تدفع الي المقاومة والرفض في عالم اختار السلام صيغة يتعيش في اطارها. ومن ثم فإن دفع الاصلاح الديني في اتجاة محدد يصبح الحجر الذي بإمكانه أن يسقط أكثر من عصفور في وقت واحد. فهو يصبح من ناحية مؤشرا علي خضوع الانظمة لرغبات القوي العالية ،

وهو يصبح من ناحية ثانية مدخلاً لتبديد الهوية واسقاط الثقه بالذات بحيث يدفع كل ذلك الي تسليم مفاتيح ثروة النفط الكامنة في باطن أرض العرب والاسلام .

وبرغم أن هذه الاعتبارات الثلاثة قد أثرت علي عملية التجديد المعاصرة إلا أن تأمل عملية التجديد علي مدي التاريخ الاسلامي يكشف أنها قد تمكنت من بلورة أربعة خطابات دينية تشير الي حيوية النسق الديني الذي نتجت عنه دينامية علاقته بالواقع . **الخطاب الاول** هوخطاب الوسطية الإسلامية الذي تمثله في علم أصول الدين وعلم الكلام " الأشعرية " و " الماتريدية " وفي الفكر الحديث والمعاصر مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامي وفي مؤسسات العلم الاسلامي الأزهر الشريف ، والجامعات الاسلامية التي أحتضنت وتحتضن كل تراث الأمة دون تعصب لمذهب أو فرقة ، والتي تستلهم من التراث – كل تراث السلف والخلف جميعاً – ما هو صالح للإجابة علي علامات استفام الواقع المعيش . وهذا الخطاب الوسطي ، يتميز في " نظرية للمعرفة " باعتماد كل من الوحي كتاب الله المسطور ، والكون وعالم الشهادة سنن الله في الأنفس والآفاق كتاب الله المنظور، حيث اعتماد هذين المصدرين والكتابين مصدراً للعلم والمعرفة ، والقراءة لهما وفيهما معا والاعتماد في " سبيل الحصول علي المعرفة " وآلياتها وطرائقها علي كل من "العقل "و " النقل " و" التجربة " و " الوجدان " لتصبح الثقافة الإسلامية ، والخطاب الاسلامي مزيجا من ثمرات هذه المصادر والآليات والروافد جميعاً (٧) . هذه هي معالم خطاب الوسطية الاسلامية ، الجامعة والمتجددة خطاب الهدايات الأربع التي تتشكل من ، العقل والنقل والتجربة والوجدان كما كان يسميها الإمام محمد عبده ، وهذا الخطاب الوسطي هو أوسع الخطابات ذيوعاً وانتشاراً

في عالم الإسلام . **الخطاب الثاني** هو الخطاب الصوفي الذي يمثل ثاني ألــوان الخطابات الدينية الإسلامية ، والذي يركز أكثر وأكثر علي خطــرات الوجــدان وعلي القلوب ، والإلهامات والفيوضات التي تثمرها المجاهدات الروحية ، وهو خطاب له أهله العارفون بمقاماته وأحواله الذين يمثلون ما يمثله الملح للطعــام ، ضرورة لا غناء عنها لكنها لا تكفي وحدها وهناك في داخــل هــذا الخطــاب الصوفي ، ألوان من التنوع والتعدد حسب درجات المقامات والأحوال .. ووفق درجات الالتزام بأحكام الشريعة ومنطقها . وهو بالطبع مغاير لما في كثير مــن " الطرق " الصوفية من بدع وخرافات لا علاقة لها أصلاً بأى أصل من أصول الاسلام ، ولا قبول لها بأى معيار من معايير عقلانية الاســلام (٨) . ويشــكل الخطاب النصوصي **ثالث هذه الخطابات** الدينية في الفكر الإسلامي المعاصر، وهو الخطاب الذي ينفر اصحابة من النظر العقلي ، فيقفون فقط عنــد حرفيــة ظواهر النصوص دون إعمال للعقل في مقاصد هــذه النصــوص .. وإذا كــان حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ – ٥٠٥ هــ - ١٠٥٨ -١١١١ م) قــد قال عن أمام هذا اللون من الفقه والفكر والخطاب وهو الإمام أحمد بــن حنبــل (١٦٤ – ٢٣١ هــ ٧٨٠ – ٨٥٥ م) :" إنه لم يكن ممعناً في النظر العقلــي " فإن الإمام أحمد يؤكد علي "واحدية " النص – تقريبا – وليس فقط " أولويتــه " في فقة الدين والاستدلال علي الأحكام .فمنهجه في هذا الميدان هو الوقوف عند النص وحججه والنص بالمعني العام – أي العبارة وليس بمعني ما هــو قطعــي الدلالة والثبوت ، الذي لا يحتمل إلا معني واحــداً – كمــا هــو معنــاه عنــد الأصوليين . هذا هو اللون الثالث من ألوان الخطابــات الدينيــة الاســلامية – التاريخي منه والحديث والمعاصر – وحجم هــذا الخطــاب وحجــم جمهــوره محدود – إذا ما قيسا بحجم وجمهور الوسطية الإســلامية . غيــر أن " المــال

النفطي" و"الإعلام الغربي "قد قدما الدعم لهذا الخطاب النصوصي الحرفي ، لكي يؤسسا وهما بأنه الظاهرة الأكبر والأوسع انتشاراً في عالم الاسلام ، وذلك لحجب الأنظار عن الخطاب الوسطي المعتدل ، ولتشويه الصورة العامة للخطاب الديني الاسلامي (٩) .

ويتمثل **الخطاب الديني الإسلامي الرابع** في واقعنا المعاصر ، في خطاب الرفض والغضب والعنف والاحتجاج . وهو خطاب يمثل فصيلاً من فصائل فقه وفكر نصوصية الجمود والتقليد ، الذي استنفره بؤس الواقع الذي يعيشه المسلمون تحت هيمنة الغرب واستبداد النظم والحكومات – المصنوعة غربيا ..أو المحروسة غربيا – حيث رفض هذا الفصيل طريق "الاصلاح " واختار طريق " العنف "، وأدار ظهره لسنة " التدرج " في الاصلاح ، وتعجل القفز علي " السلطة والدولة " – بالانقلاب – بدلاً من مشاق طريق التربية والتوعية وتهيئة المجتمعات الإسلامية ، بإعادة صياغة إنسانها صياغة اسلامية تستكمل اسلامة سجايا وشمائل هذا الإنسان .. وهو الطريق الشاق والطويل والمضمون للتغيير ، الذي مثل ويمثل منهاج الاسلام في أي تغيير . وقد " لعب" الاعلام الغربي – وتبعه في ذلك اعلامنا المحلي – مع فصيل العنف هذا ذات " اللعبة " التي لعبها مع فصيل الجمود والتقليد ، فسلط عليه كل الاضواء كي يصل الي المقصد الخبيث الذي اراد الوصول اليه ، وهو قصد تصوير الاسلام وقرآنه الكريم ورسوله " صلي الله عليه وسلم " ، علي انه دين العنف والسيف وذبح كل المخالفين وجميع الآخرين (١٠) .

خلاصة الأمر أن الخطاب الديني الاسلامي لم يكن ابداً خطابا ساكنا ولا سكونيا بل كان دائما خطابا ديناميا متحركا، محكوم من ناحية بطبيعة إدراك

الفقية أو المفكر الاسلامي وتكوينه الحياتي والفكري ، كما انه محكوم من ناحية ثانية بأحداث السياق الاجتماعي المتغيرة ، هذه الأحداث تكون في بعض الاحيان من القوة بحيث توقف نصا دينيا ، او تقدم قراءة جديدة له . كما ان هذا السياق والتفاعلات والاحداث الكائنة فيه تبرز فاعليتها احيانا لتشكل طبيعة التفسيرات الفقهية ذاتها. اليست السياقات الاجتماعية مسئولة في جانب منها عن اختلاف مذاهب الفقة الاربعة ، او ألم تكن مسئولة كذلك عن اختلاف فقه الشافعي في العراق عن فقهه في مصر . الي جانب ذلك تتأثر هذه الدينامية من ناحية ثالثه بطبيعة الانظمة السياسية السائدة واختيارها للصفوة الدينية التي تتحالف معها، التابعة المحافظة او المستقلة القادرة علي التجديد . واخيراً فقد اصبح الخطاب الديني يتأثر الأن بما يحدث علي الصعيد العالمي حيث متغيرات التأثير عديدة ابتداء من تأثير قوي العولمة المعادية والعاتية ،التي تفرض ان يكون الاصلاح الديني في اتجاه محدد ، وحتي تكنولوجيا الاعلام والمعلومات التي اصبح لها تأثيرها علي فاعلية الخطابات المتنوعة ومن بينها الخطاب الديني .فهل يمكن أن تخلع هذه الظروف السكون علي نسق ديني يمتلك دينامية وقدرة التجديد الذاتي التي تتضح تجلياتها في ظهور مجددين، تصديقا لقول الرسول الكريم"صلي الله عليه وسلم" "يظهر علي راس هذه الأمة كل مائة عام ..." علي نحو ما اشرت، إضافة إلي ظهور أربعة ومذاهب كبري، و أربعة خطابات دينية معاصرة، ودور تاريخي مناضل وفاعل استطاع من خلاله الحفاظ علي بقاء الأمة والحفاظ علي هويتها؟!

٢ – **الجدل حول معني تجديد الخطاب الديني:** يعد الجدل حول معني الخطاب الديني او تجديده هو المسألة الجدلية الثانية. في هذا الإطار طرحت تساؤلات عديدة هل الخطاب هو اللغة التي تحمل مضمونا معرفيا معينا موجه من طرف الي طرف آخر ، ام ان الخطاب ليس لغة فقط ولكنه بنية تفكير تعبر عنها اللغة، او هو بنية تفكير بالإضافة إلي الممارسات الواقعية التي تستظل بهذه البنية الفكرية . علي هذا النحو نجد أنفسنا في مواجهة إدراك جزئي في مقابل ادراك كلي لمعني الخطاب . بداية نسجل هذه الحيرة بشأن معني الخطاب من خلال تأكيد البعض علي ان "مصطلح الخطاب الديني" مصطلح مهم لتوقف معناه الدقيق علي مقصود واضعة. ذلك ان نفرا من الناس حسبوه يتناول أصول " مصادر " الشريعة الإسلامية، بينما حسبه آخرون انه يتناول مسائل الدعوة للدين الحق ، ورآه فريق ثالثا يعبر عن ذاتية الأحكام الشرعية، لذلك تنوعت النظرة وتعددت الأفكار وتباينت ردود الأفعال بين قابل ورافض " (١١) . وفي محاولة أخري لتحديد معني الخطاب يري البعض " ان المعني المقصود من الكلمة هو مجرد الخطابة التي نتلقاها من علي منابر المساجد والكنائس في صورة خطبة او عظة او درس ، بالتعبير الشائع لهذه الايام. في حين يري البعض الآخر أن المقصود بالخطاب هو مجمل ما يصلنا من أفكار او تصورات تتعلق بكل إشكال التعبير اللغوي ، مسموعا او مكتوبا ، وبكل وسائل التوصيل التقليدية او المستحدثة ، تلك التي نتلقاها جماعة او فرادي ويرتبط ذلك بمفهوم الخطاب الذي يطرح في الانجليزية بلفظ Discours الذي انتشر بين المثقفين في السنوات الأخيرة بسبب انتشار الدراسات اللغوية الثقافية المعاصرة ، والذي تطور معناه ليعني الجوانب الفكرية والممارسات الواقعية علي السواء . ارتباطا بذلك نري "ان الخطاب الديني المقصود يتشكل من

اجتهاداتنا البشرية أي اجتهادات رجال العلم من المثقفين في الدين ، مسلمين او مسيحيين ، تلك التي تصلنا منهم شفاهة او مسجلة او مكتوبة او مطبوعة فنتلقاها بالسماع او بالقراءة ، ونتصور أن هذا الخطا مطالب أكثر من أي وقت مضي بأن يبصرنا بأنه من حسن الإيمان او من أهم أركان الإيمان الصحيح ان نسعى بوعي لان نعمر الأرض " (١٢) . في هذا الإطار يحتوي الخطاب عادة علي مستويين ، المستوي الأول يتشكل من البني الفكرية التي تستند الي المعاني التي علي البشر ان يستوعبوها ، بينما يضم المستوي الثاني فاعلية هذه الأفكار او المعاني في توجية سلوكيات البشر للتعامل مع مشكلات واقعهم الاجتماعي .

وفي محاولة التعرف علي مواقف مختلف الإطراف من معني الخطاب الديني فسوف نجد أن الموقف الأول يتشكل من علماء المؤسسة الدينية الأكاديمية الذين يحاولون تحديد معني الخطاب الديني بأن له شقان أحدهما يمس ثوابت العقيدة وهو أمر إلاهي لا كلام لنا فيه ، اما الشق الآخر لمعني الخطاب فيقصد به أسلوب الدعوة وتقنيات الخطاب ووسائله وكوادره ، وهو الشق الذي يحتاج الي تطوير جذري (١٣) . بينما يحدد باحث آخر في نطاق هذا الموقف تجديد الخطاب الديني بأنه يعني " ان يكون الخطاب المراد تكليف البشرية ينبغي ان يكون مفهوما لهم ومقبولا لمشاعرهم وأحاسيسهم، يراعي مقاله مقتضي الحال كما يذهب علماء البلاغة ، وهذا يتطلب ان يخاطب مجموعة من الناس بما يفهمون" (١٤) . ويحدد أصحاب هذا الموقف موقفهم بصورة واضحة حينما يتساءل أحدهم " هل الخطاب الديني المراد تجديدة هو مجرد الدعوة الي الاسلام بوسائل الاقناع التي تتنوع وتتغير تبعا للتطور المذهل في علوم الاتصال الحديثة ، أم هو مجرد تطوير لطرائق عرض

الاسلام لكي يلائم المخاطبين ؟ . ان كان الامر كذلك فلا جـدال فـي الحاجـة المتجددة الي هذا التطوير، وهو تطوير لا يخرج علي آية حال عن انماط ثلاثـة حددها القرآن الكريم ، وهي الحكمة التي تقوم علي منطـق العقـل الخـالص، والموعظة الحسنة التي تقوم علي العواطف والمشاعر والوجدانيات ، والجـدال بالتي هي أحسن الذي يتأسس علي الحوار الجاد. أم إن تجديد الخطـاب يعنـي إعادة النظر في مضامين هذا الخطاب ولبنات تكوينه، تارة بالتنصل من الـنص الديني الموثق كتابا وسنة ، وتارة بأبطال مطلقية هذا النص تحت ستار مزعـوم هو تاريخية النص حينا ونسبيته حينا آخر ، وتارة ثالثة بفرض تصـور مسـبق علي مضامين هذا النص بزعم انه يشكل عبئا علي حركة الواقع وصـيرورته . ويتساءل هذا الموقف هل التجديد دعوة خفيه لتذويب المضـمون الإسـلامي ، لكي ينتهي الي تصور هلامي لأمشاج شـتي مـن التصـورات الغربيـة عـن الاسلام؟ لقد هدف الاسلام الي تكوين امة ذات تصـورات اعتقاديـة حاسـمة، وتوجهات أخلاقية وتشريعية محددة السمات تعترف بالتعددية ، ولكنها لا تلغـي الاختلافات بين المتعددين ، تعترف بالأغيار ولكنها تحتفظ بما بينها وبينهم مـن فوارق، وفي كل هذا تكمن مناعة الاسلام وحصانته وذاتيتـه . أمـا أن يكـون الخطاب الديني وسيلة الي ان يكون الاسلام تيهـا مفتوحـا او فضـاء مشـاعا باهت الملامح مستباح الحدود متنازلا عن ثوابته لإرضاء الكـل ، واسـتجلاب ثناء الكل . فذلك يعد مصدرا آخر للخطورة فـي الخطـاب الـديني المـراد ، وباعث آخر الي الريبة في دعوى تجديده او تحديثه (١٥) .

ويقف الي جانب ذلك موقف ديني اكثر انفتاحا وان كـان اكثـر حرصـا علي المرجعية الاسلامية . يحدد هذا الموقف التجديد باعتبار ان لـه مفهومـه الخاص في الاسلام وهو الحفاظ علي الثوابت ، والتجديد في المتغيرات بمعنـي

ان ثوابت وعقائد الاسلام أمور ثابته غير أن فهم الإنسان لهـذه الثوابتودفعهـا لمواكبة الأمور المتغيرة والمستجدات المتطورة يحتاج الي ان نصـطحب هـذه الثوابت ونفقه الواقع المتغير بالاستناد إليها، فالدين لا يتغير لكـن الواقـع هـو الذي يتغير . فحينما يخاطب الإنسان فئة متميزة ومثقفة يحتاج الي خطـاب لـه لون معين، بينما نجد أنفسنا عندما نخاطب العامة لا بـد مـن وجـود طريقـة معينة. عند مخاطبة المؤمنين لا بد ان يكون للخطاب شكلا أيمانيـا ، بينماعنـد مخاطبته غير المؤمنين لا بد أن يكـون بالخطـاب وسـائل لإقنـاعهم طبقـا لمعتقداتهم . فالتطور والتجديد في الخطاب الديني هي سنة الله القائمة ، غير أن التجديد لا ينبغي أن يقطع الخطاب عن جذوره ... في هذا الإطار نجد أن هناك خلط بين التجديد الإسلامي والحداثة بمعناها الغربي. فهم أي الغـرب يريـدون منا إسلام الحداثة بمعناه الغربي الذي يعني القطيعة المعرفية مـع المـوروث الثقافي والموروث الديني (١٦) . ويتسق مـع ذلـك التأكيـد علـي الوسـطية باعتبارها الأسلوب المصطفي في عملية التجديد " لانهـا تجمـع بـين إتبـاع النصوص ورعاية المقاصد الشرعية ومصالح البشر ، بشرط ألا يتعارض مـع نص صحيح الثبوت او قاعدة شرعية ، ويـذهب الـي ان الاجتهـاد لاسـتنباط الأحكام من النصوص من اجل الفضائل عملية بشرية عقلية ، والرسـول هـو امام المجتهدين حيث كان يعمل عقله ويفكر ومن هنا فلا عجـب ان يقـع منـه الخطأ مثل سائر البشر في امور الدنيا والا لما كان هناك فرق بـين الاجتهـاد البشري والوحي الإلاهي . بالإضافة إلي ذلك يشـير هـذا الموقـف الـي ان الصحابة والخلفاء الراشدون قاموا بأعمال عديدة وجديدة رأوا فيها خيرا وان لم يفعلها الرسول " (١٧) .

يري هذا الموقف أيضا ان هناك فرق بين تجديد " الفكر الديني " وتجديد "الخطاب الديني" حيث يهتم تجديد الفكر بتحريك النص الثابت علي الواقع المتغير ، لاستخراج الأحكام المتعلقة بهذا الواقع من خلال مرجعية ثابتة وموجودة من قبل . لأن الفكر يتميز بالعمومية والإطلاق بينما الواقع نسبي . وبالتالي فالمجدد يأخذ من المرجعية ذات الأسس العامة والمجردة والمطلقة بما يتعامل مع الواقع النسبي المعاش . ذلك يعني ان التجديد كمفهوم يتضمن دائما معني عودة الشئ الي أصله وفعاليته الأصلية أي العودة الي حالة الشئ عندما كان جديدا ، وحالة الفعالية التي كان عليها عندما كان جديدا . ولذلك نجد ان التجديد لا يكون بعيدا عن معني السلفية الي حد ما ، ففي التجديد بعض رحيق السلفية ، لانه – أي التجديد – يكون عودة الي الأصول ، وعلي هذا النحو فالتجديد ليس متناقضا مع النسق السلفي . لأن السلفية تعني العودة الي الأصول، والتجديد يعني العودة الي فعالية هذه الأصول لتطبيقها علي الواقع الموجود ، ولذلك فالتجديد ليس خروجا عليها(١٨) . بينما قد نعني بتجديد الخطاب الديني معني آخر يتمثل في تنوع الخطاب وفقا لمن يوجه اليه هذا الخطاب ، بحيث يتمكن من التأثير فيهم من خلال مرجعية فكرية ثابته ، فمثلا عند مخاطبة الفقراء نعمل علي إثارة أشياء فيهم ، وعند مخاطبة الأغنياء نعمل علي إثارة أشياء أخري ، فأحض الفقير علي العمل وأحض الغني علي العطاء . ذلك يعني انه في حالة توجيه الخطاب الي جماعة فإني أؤكد علي ما ينقصهم وأؤكد علي ما يوجد فيهم من خلل ما . فعند مخاطبة جماعة من المحافظين أركز علي رؤية الواقع المتغير ، بينما عند مخاطبة جماعة من المجددين الطلقاء أركز علي الثوابت . وبالتالي يكون تنوع الخطاب لتحقيق التوازن المطلوب . ذلك يعني ان هناك فرق بين تجديد الخطاب الديني وتجديد

الفكر الديني ، فالفكرهو علاقة بين نص ثابت وواقـــع متغيـــر ، بينمـــا يتعلـــق الخطاب بالمخاطب وما فيه من حالات وأحوال وما أريد به هـــذا الخطـــاب أن يعدل من حالته القائمة " (١٩) .

وقد يأخذ التجديد أحيانا طابع التشديد علـــي مـــا يـــذهب أصـــحاب هـــذا الموقف، فالتجديد لا يعني الاسترخاء او التقليل من آداء الفروض . فمـــثلا فـــي فروض الدين توجد الرخص وتوجد العزائم ، والعزائم هي الفعل الواجب عليك ان تفعله ، اما الرخصة فتشير الي إمكانية التخفف من الحكـــم . فمـــثلا تعنـــي العزيمة الصيام في رمضان بينما الرخصة هـــي الإفطـــار عنـــد الســـفر فـــي رمضان . وبالتالي هناك من يتصور ان التجديد هو في زيادة الرخص وتقليـــل العزائم وهذا غير صحيح . ومثال علي التشديد والتيسير في التجديد ، نجـــد ان الاستعمار الفرنسي في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين كان يحـــاول فرض الفرنسة علي الجزائر وتونس ، بتحويل بعض الســـكان الـــي الجنســـية الفرنسية لنشر الفرنسية . في هذه الفترة أصدر بعض الفقهاء الفتـــاوى بأنـــه لا يجوز شرعا التجنس بالجنسية الأجنبية ، وبعضهم أصدر فتاوى تذهب الي انـــه لا يجوز شرعا لبس القبعة لأنها تقليد للأجانب . ذلك يعني ان التجديـــد وقتهـــا اتخذ هيئة التشديد للحفاظ علي قوة التماسك الداخلية في مواجهة غزوة عسكرية سياسية ثقافية . فالتجديد هو تحريك النص علي الواقـــع المتغيـــر وبالتـــالي اذا تطلب هذا الواقع المتغير تشديد يكون التجديد بالتشديد . علي خلاف ذلك نجـــد ان تجنس المسلمين بالجنسية الأجنبية في اوربا الآن لا بأس به ، لأنهـــا تـــوفر للمسلم ضمانات المواطنة علي أرض غربية ، وعلـــي هـــذا النحـــو أصـــبحت للجنسية وظيفة . فالتجنس في الحالة الأولي تضييع للهوية بينما هو في الحالـــة الثانية نشر للهوية " (٢٠) .

وبرغم وسطية هذا الموقف الديني ، وبرغم أنـــه يوافــق علـــي تجديــد الخطاب الديني ، الا أنه يقف في مواجهة استخدام هذا العنوان للعبث بالـــدين . حيث يشخص أحد المفكرين الاسلاميين ذلك بقوله " ان اتساع مصطلح الخطاب الديني وشموله لعناوين عدة لدرجة تكاد تشمل كل ما هو منسوب الي الاسلام ، إبتداءمن القرآن والسنة وحتي اجتهادات الفقهاء وانتهاء بكلام الدعاة والخطباء، من شأنه أن يفتح الباب واسعا لمحاولات العـــــبث والتجريح التي طالت الـــدين نفسه ، حتي وجدنا من اهتبل الفرصة ودعا الي إسقاط القدســية عــن الـــنص، واستبعاده من كل ما له صلة بالواقع . صحيح ان حسني النيه الذين أطلقوا فـــي البداية نداء تجديد الخطاب الديني كان مقصدهم تجديد الخطاب الدعوى بالدرجة الأولي ، وهو مقصد نبيل لا يكاد يختلف عليه احد. الا أن هناك أطرافــا ذات مصلحة وليست فوق الشبهة انتهــزت فرصـــة اتســـاع المصـــطلح فاخترقــت الصفوف واعتلت المنصة في اكثر من مناسبة ، ومارست ذلــك العبــث الـــذي استهدف تهميش مرجعية الدين وتقليص دوره في الواقع(٢١) . في هذا الاطـــار من الضروري التحذير من اعتبارين عند مناقشة معني تجديد الخطـــاب الـــديني **الأول** من الذي يتحدث عن ضرورة تجديد الخطـــاب الـــديني ؟ فمـــثلا حينمـــا يتحدث بعض السياسيين او المثقفين النشطين في مسألة حقـــوق الإنســـان عـــن تجديد الخطاب الديني فأنهم يستخدمون ذلك عباءة للعبث بالدين ذاتـــه . فتنـــاول المصطلح بغير ضبط قد يؤدي الي أثار سلبية ومن ثم فمن المهم معرفـــة مـــن يتحدث عن تجديد الخطاب الديني ، فمثلا حينما يتحدث مفتي الديار المصـــرية عن تجديد الخطاب الديني فإن ذلك يفهم بمعني ما ، بينما حينما يتحـــدث عـــن ذلك بعض المشاركين في " إعلان باريس " فإن ذلك بشكل آخر . و**الثاني** أنـــه حينما يعني أحدهم بتجديد الخطاب الديني تجديد لغته فأني أقبل ذلك ، أما حينما

يحاول العبث ببعض آيات القرآن أو أحاديث الرسول " صلي الله عليه وسلم " فذلك أمر مرفوض (٢٢)

ويعبر أحد مفكري هذا الموقف عن ذات التوجه بتأكيده أن الخطاب يشير إلي أسلوب عرض فلسفة العقائد وأيضا إلي حلول المشكلات التي قد يشهدها الواقع الإسلامي . وارتباطا بذلك يكون الخطاب في العادة أسير بعدين الأول اللغة التي كتب بها الخطاب ، فتجديد الخطاب يعني تجديد وتطوير اللغه التي تتولي توصيل مضمون الخطاب ، إرتباطا بذلك ترجع أزمة الخطاب والفكر الإسلامي أن لغة الكتب الفقهية القديمة ما زالت هي اللغة التي تستخدم في الخطاب الإسلامي الآن ، مع ان أحدث مذهب فقهي بين المذاهب الأربعة هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل مر عليه حتي الآن ١٢٠٠ سنه ، ومع ذلك فما زالت نفس المصطلحات الفكرية تجري علي ألسنه كثير من الشيوخ ، ومن ثم فهي لغة انفصلت عنها العامة ، ولذلك فانه من الضروري التجديد في لغة الخطاب . ويتمثل البعد الثاني الذي شكل أزمة للخطاب الإسلامي في بروز وقائع جديدة تحتاج الي مضامين جديدة كذلك . فمثلا هناك بعض المعاملات الجديدة كفوائد البنوك تحتاج الي تقنين ديني جديد، في هذه الحالة فإننا نجد ان بعض شيوخنا يحاولون قياسها علي معاملات " الوكالة " أو " المضاربة " حيث يوجد تماثل في بعض الأحكام ، غير أنه عند نقطة معينة قد تختلف المعاملة الجديدة عن القديمة ، ومن ثم يبدأ البعض علي الفور باصدار فتوي تحريمها ، أي تحريم المعاملة الجديدة . في هذه الحالة نحتاج الي تطوير التفكير ، وينبغي أن يتحقق ذلك عادة بشكل منهجي من خلال التأكيد علي الثوابت الاسلامية التي تتشكل من مقاصد الشريعة العامة الخمسة ، بالاضافة الي عدة مبادئ كلية تحكم الشريعة . ذلك يعني أن بإمكان الفقيه أن يقدم الحكم الذي يتراءى له

ويقبله العقل بشرط الاتفاق مع المقاصد الخمسة والمبادئ الكليـــة للإســـلام ولا يصطدم معها . وقد حدد لنا الفقهاء السابقون هذه المبـــادئ الكليـــة والمقاصـــد كمرجعية ينبغي الاستناد اليها في أي تجديد (٢٣) .

وعلي نهاية متصل التجديد يبرز الموقف الثالث ، وهـــو موقـــف علمـــاني يري كذلك أهمية تجديد الخطاب والفكر الديني ، ويؤكد علي أهميـــة أن يكـــون هذا التجديد حرا حتى يصل بعضهم الي القول بضرورة ان يكون بلا ضـــفاف. ومن الطبيعي ان يتضمن هذا الموقف عديدا من المواقف الفرعية ، وفي مجمله هو موقف يقف علي نقيض الموقف الأول الذي عبر عنه الأكاديميون الـــدينيون المتشددون . في هذا الإطار نعرض لثلاثة مواقف تصب جميعها في اتجاه هـــز روا سخ الخطاب الديني . في محاوله تشخيصبعض المفكرين لهذا الموقف من التجديد نجدهم يذهبون * إلي التأكيد علي أنه إذا كان الهدف الأمريكي الصريح هو تطويع أو تركيع الأمة العربية . علي هذا النحو تصبح القضـــية المحوريـــة هي الوطن والأمة أما صرف الأنتباه عنها وأشغال الرأي العام بغيرها فإنه يعـــد من الكبائر التي يجرم فاعلها ولا يقبل فيها عذر . إننا إذا عدنا مثلاً الي حالـــة " إعلان باريس " .... فسنجد أنه نموذج للتورط في اقتراف تلـــك الكبـــائر التـــي أعنيها . ذلك أنه يقوم علي دعامتين رئيســـيتين ، أولهمـــا تقلـــيص الحضـــور الإسلامي وثانيتهما تسويغ العلمانية والدفاع عنها ، وهو ما يدعونا الي التســـاؤل عن المصلحة الوطنية في تفجير أمور من هذا القبيل ، عبر إثارة الجـــدل مـــثلاً حـــول الدين والسياســـة وتاريخية النص ومســـألة العلمانيـــة ، فـــي حـــين أن القضية الأولي والتحدي الحقيقي للدولة القطرية في الظرف الراهن ليس في

____

*يتبني هذا الموقف الكاتب الاسلامي الكبير الأستاذ فهمي هويدي تعليقا علي بيان باريس الذي عقد في مدينة باريس بتاريخ ١٢-١٣ أغسطس ٢٠٠٣ وحضره بعض المثقفين العلمانيين واليسارين ، وبعض الاسلامين المنفلتين الذين أعطوا أنفسهم حق الحديث باسم الاسلام ، وهم خارجين عن مرجعيتة ، أو غير واعين بنصوصه .

هويتها ، وما إذا كانت إسلامية أو علمانية ، لكنها تتجسد في إمكانية إقامة الدولة الديموقراطية المستقلة . أن ما يسمى بإعلان باريس لا قيمة تذكر له من ناحية الموضوع ، فهو خطاب أريد به بالدرجة الأولي إدخال السرور علي الذين مولوا واستضافوا ، وما يعنينا فيه هو دلالاته لا أكثر ، من حيث كونه حلقة في سلسلة التحرش والإجتراء علي الاسلام ودوره في المجتمع . كما أنه يجسد تحالف غلاة العلمانيين والشيوعيين السابقين الذين أداروا ظهورهم لقضايا الأمة الملحة ، وانصرفوا الي تصفية حساباتهم ، وقد التقت توجهاتهم بدرجة أو بأخري مع الأهواء والمصالح الغربية (٢٤) .

يجسد الموقف العلماني من تجديد الخطاب الديني ، حسب المضمون الذي أشرنا إليه في الفقرة السابقة ، ما ذهب اليه الرفاق المؤيدين للعلمانية الغربية بتأكيدهم أن الخطاب الديني خطاب إنساني شأنه شأن أى فرع من فروع الخطاب العام ، إنه خطاب عن الدين وليس هو الدين ، من ثم يكون شأنه شأن الخطاب العام من الممكن أن يكون حافزاً للتقدم والازدهار ، وقد يكون خطابا محافظا يسعي لتأييد الواقع الماثل واعتبار أنه ليس في الامكان أبدع مما كان(٢٥) ، بل إنه قد يكون خطاب يقوم علي افتراض امكانية التماثل مع تجربة الماضي التاريخية والسياسية ، فيسعي الي نزع صفة التاريخية عنها

لتتحول إلي يوتوبيا يجب تحقيق نموذجها وفرضه علي الواقع الراهن ولو باستخدام القوة " (٢٦) .

ويذهب هذا الموقف لإبراز الحاجة إلي التجديد من خلال التأكيد علي حالة تردي أوضاع العرب والمسلمين وتشوه صورتهم في أذهان العالم فضلاً عن معاناة الشعوب في العالم العربي والإسلامي من التخلف والاستبداد والحرمان من معظم الحقوق الإنسانية ، ليؤكد الحاجة الماسة لخطاب ديني جديد ، أي لفقه جديد قادر علي مواجهة هذه الأزمة ، ذلك لأن تجمد الخطاب الديني السائد جعلنا في موقف الخصومة مع العالم مما برر للقوي الاستعمارية والعنصرية في أوربا وأمريكا وإسرائيل أن تعلن علينا الحرب وتستخدم ما يباح وما لا يباح . ويحدد المنتمون لهذا الموقف مواضع الصدام بيننا وبين الحضارة الحديثة في عدد ن القضايا ويعزي سبب الإشكالية فيها إلي الإسلام ، منها الحكومة الدينية ، وتطبيق الشريعة أو إقامة الحدود ، حقوق الإنسان ووضع الأقليات في المجتمعات الإسلامية ،ووضع المرأة المسلمة ، وكذلك علاقة المسلمين بالمجتمعات الأخرى ، إضافة غلي القضية الأهم التي تتمثل في فصل الدين عن الدولة .

ويدعو هذا الموقف إلي التحرر من الخطاب الديني السائد التي عمل علي تجريد النص من ملابساته العملية ووضعة خارج الحياة وخارج التاريخ ليسلط علي الناس من فوقهم دون أن يستجيب لحاجاتهم أو يتطور مع الزمن . ويحمل المنتمين لهذا الموقف الخطاب الديني أوزارنا وتردي أحوالنا بتأكيده أن " الخطاب الديني الراهن مسئول مسئولية مباشرة عن شرور كثيرة تعاني منها الأن ، ضعف الثقة بالنفس والانسجام أمام الآخرين ، والارتداد إلي الماضي المظلم ، واليأس الذي يهاجم شبابنا ويقطع عليهم الطريق ، ويدفع جماعات

منهم إلي العنف والانتحار والغيبوبة والشعور بالعدمية و اللامبـالاة ، وتراجـع الانتماء الوطني أو تراجع العمل به ، والاستجابة السهلة لما يستهدف النيل مـن وحدتنا الوطنية ، والخوف من الحرية وضيق الصدر أزائهـا ، والزهـد فـي المشاركة العامة ، وتحقير المرآة واستباحة المال العام" . (٢٧)

ولا يكتفي تبعة التردي الداخلي علي الخطاب الـديني الإسـلامي ، بـل يحمله أيضا تردي أوضاعنا ومكانتنا علي الصعيد العالمي ، حيث يـذهب إلـي أننا "نحتاج إلي خطاب ديني جديد ... إلي فقة جديد يمكننا أن نعيش فـي هـذه العصور الحديثة أعضاء عاملين فيها ، نتمثل مبادئها ، ونؤمن بها ، ونلتزمها ، ونسهم في حضارتها ، ونتخلص من الشعور الراسخ فـي أعماقنـا بـأن هـذه العصور ليست عصورنا ، وأن حضارتها ليست حضارتنا ، وأننـا مغتربـون فيها مضطهدون ، وأننا أمام خيارين كليهما قاس عنيف ، وأن يلحق بها فنفقـد أصالتنا ، ونتخلى عن ديننا وقيمنا ونخسر أنفسنا أو نتمسك بتراثنـا ، وننحـاز لأنفسنا فنخرج من هذه العصور الحديثة ، أو نظل فيها غرباء مضـطهدون ، لا نفهم لغتها ، ولا نخالط أهلها . وربما أستبد بنا الشـعور بـالقهر والاضـطهاد وتفاقم حتي يدفعنا إلي إعلان اليأس من كل شئ والتضحية بكل شـئ وإعـلان الحرب علي العصر والحضارة ، وينظر هذا الموقف غلي شن الهجمات علـي نيويورك وواشنطن بإعتبارها عملية رمزية بدا فيها وكـأن المسـلمين يشـنون الحرب علي عواصم الحضارة الحديثة وقلاعها الكبرى ، ونتيجة لذلك – كمـا نري – فقد تأزمت علاقتنا بالعالم حتي وصلت الأزمة إلي ذروتها .

ويحدد هذا الموقف ثلاثة مبادئ رئيسية يمكن الانطلاق منها عنـد البحـث عن فقه جديد علها تنشلنا من وضعيتنا الرديئة ، بحيث تشـكل هـذه المبـادئ مطية خروجنا من الإسلام ذاته ، ليخرجنا من الدين كما أخرجنا مـن العـالم .

الأول أن الإسلام دين لكل زمان ومكان ، وليس معني هذا أنه يتجاوز التـــاريخ ويتجاهل قوانينه ، بل معناه أنه يستجيب للتاريخ ويتطور معـــه ، فهـــو لـــيس مجرد عقائد وشرائع ، ولكنه سلوك أيضا وعمل ، أي أنه تاريخ ، إنه شـــريعة ثابتة وفقه متطور متغير . **الثاني** أن الإسلام وحي وتنزيل من ناحية وفهم لهـــذا الوحي من ناحية أخري ، والوحي الآهي ولكـــن الفقـــه بشـــري ، والمســـلمون الأوائل أمة مجتهدون لكنهم ليسوا معصومين ولا مقدسين . ونحن نرجع إلـــيهم وننتفع بتراثهم لكننا لسنا مقيدين بهم ، لهم فقههم ولنا فقهنـــا وبـــاب الاجتهـــاد مفتوح دائما . **الثالث** أن الإسلام في النهاية ليس مجرد نصوص ولكن قبل كـــل شئ غايات ، فكل ما يحقق غاياته يعد منه ، وكل ما يتنـــاقض مـــع الغايـــة أو يبتعد عنها يخالف الإسلام ولو تطابق مع نصوصه . (٢٨)

ويسعي هذا الموقف لتحديد ماهية الخطاب بتأكيده أن الخطاب في تحديـــدة الأساسي هو كلام يتشكل من مفاهيم معينه وظـــواهر وموضـــوعات بعينهـــا ، ويتحدد بفضاء محدد من فضاءات المجتمع . علي هذا النحومن الضـــروري أن يتميز الخطاب بشرطين، **الأول** شرط الهيمنة بمعني ان هناك نسق معـــين مـــن المفاهيم أو الاصطلاحات تتناول موضوعات معينة إضافة الي العلاقات بينها . هذه الموضوعات والعلاقات تشغل مســـاحة أو مجـــالا معينـــا مـــن مجـــالات المجتمع . وعلي هذا النحو يمكن القول بوجود خطاب فلسفي أو خطـــاب دينـــي وخطاب سياسي وخطاب كوني . وأستطيع تمييز طبيعة هذا الخطاب من خـــلال بعدين ، حيث يتمثل البعد الأول في هيمنه مصطلحات ومفاهيم معينة ومجـــالات للدرس وإلا خرج الخطاب الي خطاب آخر وأختلط به، ذلـــك يعنـــي أن لكـــل خطاب فضاؤه أو مجاله الخاص . ويتمثل البعد **الثاني** في الاستبعاد بمعنـــي أن نسق الخطاب يستبعد من مجاله مالا يخصه . فـــإذا حاولنـــا تحديـــد الخطـــاب

الديني، فإننا في هذه الحالة نقصد به كيف نعبر عن ديننا ، وكيف نعلم ونـــدرس للمشتغلين بالشئون الدينية من خلال خطبة الأئمة ورجال الدين أو الصـــحافة . في هذا الإطار يدور الخطاب حول الفكر الديني والموضوعات الدينيـــة " (٢٩). ويستطرد أصحاب هذا الموقف قألين أنه ترتيبا علي ذلك فإن لكل خطاب مجاله أو فضاؤه الخاص فإذا قلنا أن الاسلام دين ودولة بإعتبارهما يشـــكلان فضـــاء الخطاب الديني ، وكلمة الدولة في اللغة القرآنية جاءت مشتقة مـــن كلمـــة دال (أي زال) يزول . واذا كانت الدولة متغيرة وغير ثابتة من عصر الي عصـــر ، ومن مصر الي مصر ، فإنه لا يمكن لأي خطاب ديني أن يفترض ترتيبا علـــي ذلك تغير دينه من عصر إلي عصر ومن أسرة حاكمـــة الـــي أســـرة حاكمـــه أخري . إستناداً إلي ذلك فإننا اذا قلنا ان الاسلام دين ودولة فإننا بـــذلك نضـــر بالإسلام وأي دين آخر يقول بذلك ، لان القول بذلك يعني أن الاسلام يجمع بين أمرين هما " دين و دولة " . فإذا افتقدنا أحد العنصـــرين أى الدولـــة، اذا فـــلا إسلام كامل بل نصف إسلام وهو ما لا يقبله أى مسلم في العـــالم ، أن يعـــيش بنصف دين ،إذا قلنا بذلك فإنه يعني أن المسلم يعيش بنصف إســـلام او بإســـلام نصفه ضائع .

بالاضافة الي ذلك فإننا اذا تأملنا " الاسلام بحكم التعريـــف القرآنـــي، فسوف نجد أنه يعني التسليم لله ، وهو ما يحدث في كل الديان ، بـــذلك يشـــير الاسلام في هذه الحالة الي مفهوم واسع يشمل الأيمان باليهوديـــة والمســـيحية والمحمدية معا بل والصابئة أيضا . والقرآن تحدث في هذا يذكره " الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين " ، " الذين آمنـــوا بـــالله وبـــاليوم الآخـــر وعملوا الصالحات لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " وهنـــاك أيضـــا قـــول الله تعالي " وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يدية من الكتاب ومهيمنا علية

فأحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهوائهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعاً ومنهجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما أتاكم فإستبقوا الخيرات الي الله مرجعكم جميعا فينبأكم بما كنتم فيه تختلفون" صدق الله العظيم . أن الدين عند الله الاسلام ، بمعني أنه الدين الذي جاء به إبراهيم وموسي وعيسى و الأسباط ومحمد فجميعهم ينتمون الي بحر واحد ، فكل هؤلاء مسلمون . أما المسلمون بالمعني الحديث فهم من ذكرهم القرآن الكريم بإسم " المؤمنين " أي الذين آمنوا بأن محمد رسول الله صلي الله علي وسلم ، وأنه الرسول الخاتم وليس بعده رسل ، ولكنهم يسلمون بمن سبقهم . في ذلك يقول القرآن " إن الدين عند الله الاسلام " وهذا الاسلام يجمعنا مع الغرب ، وفي القرآن لم يفرق الله بين أحد من رسله . ذلك هو امتياز الاسلام ، ومن الخطأ أن نتحول به أو نضيقة إلي طائفة سياسية تحارب (تجاهد) كما يقولون طوائف أخري من المفترض أنها طوائف مسلمة او أخوة لنا في الاسلام .

ويستطرد هذا الرأي قائلاً لقد أدى اختلاط السياسة بالدين ، الخطاب الديني بالخطاب السياسي إلي أخطاء كثيرة وقعت علي مدي التاريخ الإسلامي. فقد أدي إدخال السياسة في الدين إلي تحولة إلي كفاح سياسي رخيص تفجر علي أرضية الاختلاف علي مدي ١٤٠٠ سنة ، اذ يثبت لنا التاريخ أن المسلمون حاربوا بعضهم بعضا ، ودماء المسلمين التي سفكها المسلمون كانت أكثر من دماء المسلمين التي سفكها غير المسلمون في عصر الفتوحات الاسلامية . وبرغم أن الاسلام خاطب أمهات المؤمنين بقوله " وقرن في بيوتكن ... فقد خرجت السيدة عائشة أم المؤمنين وزوجة الرسول راكبة الجمل لتحارب أبن عمه وزوج ابنته علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ولتكن أول حرب يسيل فيها دم مسلم بسيف مسلم ذلك بسبب السياسة . وتتمثل الواقعة

الأخري لتداخل خطاب الدين بخطاب السياسة في قضية الخلافة ، الخلافة لا تعني شيئا في عقيدتنا الاسلامية ، وهو مصطلح قال به سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر بن الخطاب ، حينما سمي نفسه خليفة رسول الله والرسول لا خليفة له ، فالأنبياء لا يورثون النبوة فكيف يكون له خليفة ، خليفة يعني أن يعمل ما عمله " السابق " وقد ذكر الرسول في خطبة الوداع الأخيرة " اليوم أتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا (٣٠) . ولقد أدي تقاتل الخلافات والخلفاء الي فوضي واسعة في التاريخ الإسلامي ، وكان الانتقال من خلافة إلي أخري انقلابي دائما وسالت بسببه دماء كثيرة علي أرض الاسلام .

علي هذا النحو يعني تجديد الخطاب الديني ضرورة التأكيد علي خمسة حقائق.وتتمثل الحقيقة **الأولي** في ضرورة ان نعمل علي استرداد أهداف الدين التي تتمثل في تعميق العقيدة وتحصين الأخلاق ودعم الأخوة بين البشر جميعا . هذه هي خطة الدين ، وأي دين لا يختلف عن آخر في هذه المعاني أيا كانت هويته، وهو ما يعني أن الدين هنا يعني استبعاده واسترداد خطته الاصلية ، ذلك يعني أن التجديد هو عودة الي الأصل ، والتعامل معه ولكن ليس بصورة حرفية . وتذهب الحقيقة**الثانية** الي اننا اذا تأملنا الإطار التاريخي والجغرافي للدين الإسلامي في مراحلة الأولي فسوف نجد أنفسنا في مواجهة فترتين . الفترة المكية التي كانت دعوة إنسانية عامة قدم الرسول مبادئها إلي الإنسانية شاملة وهو ما جمع الناس حوله ، في المرحلة المكية كان الخطاب دينيا خالصاً كما ينبغي أن يكون عليه الخطاب الديني . الخطاب المكي يتحدث إلي الناس ويخاطب عقولهم ويخاطب الأخوة الإنسانية فيهم ، علي هذا النحو فتجديد الخطاب الديني الاسلامي يعني تجديد الخطاب المكي الخطاب الذي كان موجها إلي البشر جميعا، فقد استخدمت في هذه الفترة كثيرا كلمة " يا أيها

الناس". وتؤكد الحقيقة **الثالثة** علي أن تجديد الخطاب ينبغي أن يركز علي ما هو إنساني عام وما هو لا تاريخي ، وهو ما يعني أن تجديد الخطاب ينبغي ان يتجاوز المرحلة المدنية وهي مرحلة الحروب والغزوات والاتفاقيات ، التي تمت حينئذ لضرورات واقعية وهي ضرورات تاريخيةتركزت في الدفاع عن المسلمين وليس عن الاسلام ، وتشير الحقيقة **الرابعة** إلي أنه اذا أردنا تجديد الخطاب الديني الإسلامي ، فإننا ينبغي أن نقف عند القرآن نستلهم الأصول التي وردت به ، وهنا علينا أن نتأسى بالخليفة الراشد سيدنا عمر بن الخطاب الذي كان له الفضل في تولية سيدنا أبي بكر ، حدث ذلك حينما كان الرسول " صلي الله عليه وسلم " في النزع الأخير وقال أتوني بكتاب ودواه ، يرغب في أن يحدد لهم المبادئ او النصائح الأخيرة التي اذا طبقوها فلن يضلوا بعده أبداً، فرفض سيدنا عمر قائلاً " لدينا كتاب الله" ، زمنذ ذلك اليوم نجد أن الشكوك حول الأحاديث والسنن كذلك ينبغي أن نحتكم فقط إلي القرآن كتاب الله المنزل . كثيرة ودخلت فيها تحريفات عديدة كذلك . وتؤكد الحقيقة **الخامسة** علي ضرورة أن يتم التجديد في اتجاه العلمانية أو المدنية ، بمعني أن يتجه التجديد الي التمييز بين سلطة الدين الخالدة وسلطة السياسة المتغيرة ، ولا ينبغي أن يفرق الدين بيننا في الدنيا كما لا يفرق الله بيننا في اليوم الآخر لأنه ملك له (٣١).

ذلك يعني ان الموقف العلماني يريد لمساحة الدين ان تنكمش حيث تتقلص أصولة لتقف عند حدود القرآن الكريم فقط ، مستبعدين الحديث والسنة وفقه الأمة الأربعة من دائرة الأصول وحتى اذا نجحوا في إقناع الكافة بإقتصار الأصول علي القرآن ، فقد ذهب بعضهم إلي التأكيد علي أن النص نتاج ثقافة وبدوره يصنع ثقافة جديدة ، وكلاهما معرض للنقد وإعادة التأمل أو علي الأقل

إعادة التأويل حتى يصبح النص متلائما مـــع الظــروف المتغيــرة . ويتـــدرج الموقف العلماني في أضعاف الدين باتجاه العلمانية التي تعني انفصـــال الدولـــة عن الدين وتراجع الدين الي حد الضمير الفردي ، وتخليه عن أن يكون درعـــاً واقيا للهوية والأمة. فإذا لم ينصاع الدين ويتم تجديده في هذا الاتجـــاه فســـوف يصبح الدين من وجهة نظرهم سبب عزلتنا ، وسبب تنامي اوتصـــاعد العـــداوة العالمية ضدنا بل وتردي أوضاعنا وفشل تحديثنا. بهذا القـــول فـــإنهم يجـــدون أنفسهم بدون وعي – وربما بنية حسنه – يعملـــون وفـــق الأجنـــدة الأمريكيـــة والغربية بإمتياز ، وهم بذلك يؤكدون مقوله ان الطريق الـــي جهـــنم مفـــروش حينئذ بالنوايا الحسنه . إنهم بذلك يقدمون دينا ضعيفا يعيش متعلقا بأذيال الحيـــاة الدنيا ، دين محدود في قدراته يقتصر دوره علي متابعة تطور المجتمع وتقـــديم حلول للمشكلات التي قد تظهر إثناء عملية التحديث . دين غير ايجـــابي وغيـــر فعال كالذي قال به ماكس فيبر ، دين يأتي بمعاني جديدة لهذا العـــالم او تنظـــيم جديد ، ويتولى صياغة الواقع حسب معانيـــه وتنظيمـــة، ديـــن شـــكل أســـاس للرأسمالية المعاصرة (٣٢) التي تسعي الآن لقهر ديننا الإسلامي وحرمانه مـــن هذا الدور الذ ينبغي أن يقدم به كأن ماكس فيبر لم يكن علمانيـــا ولا ليبراليـــا ، لكنها علمانية العرب العلمانية العربية المتطرفة .

ويتمثل الموقف الرابع في الموقف المسيحي وهو شبيه بالموقف الاســـلامي فيما يتعلق بقضية التجديد الديني ، ويعكس بداخلـــة ألـــوان الطيـــف المتدرجـــة كذلك، ويمكن تصنيف أو اصطفاف المواقف في اطارة علي ذات المتصل التـــي اصطفت وفقا له المواقف ذات العلاقة بتجديـــد الخطـــاب الـــديني الاســـلامي . بوضوح يدرك الموقف المسيحي أهميـــة تجديـــد الخطـــاب الـــديني ويطـــرح تصورات عملية وفعالة لتحقيق ذلك . إضافة إلي ان التجديد لدية يتم عادة وفـــق

أبعاد أو أجراءات متتابعة . وبرغم ادراكة لاهمية التجديد وضـــرورتة ، فإنـــه يدرك الصعوبات التي تواجه تجديد الخطاب الديني بالتحديد ،كمـــا أن عمليـــة التجديد قد تتضمن مواقف متطرفة كذلك . بداية يري هذا الموقــف أن الـــدعوة الي التجديد الخطاب الديني ينبغي أن تكون موجهة لكل الأديان، ونحـــن أحـــوج ما نكون الآن لهذا التجديد، غير أن عملية التجديد تكتنفها صعوبات عديـــدة ذات صلة بطبيعة الخطاب الديني ذاته ، أو علي علاقة بسياقه الاجتماعي المحـــيط . ويعدد هذا الموقف هذه الصعوبات بعدة صعوبات حيث تتمثل الصعوبة **الاولـــي** في أن الخطاب الديني يتحدث دائما عن مطلقات . إذ تتـــوزع مضـــامينه فـــي نطاق أبيض مطلق واسود مطلق كذلك ، خير مطلق وشر مطلـــق علـــي نفـــس الغرار . لذلك فالمنطقة الرمادية غير موجودة ، وبالتالي فإن اتباع الدين الـــذي يقدمون الخطاب هم الذين يحملون الحق أما الآخرين مهما كانوا فموقفهم يعبـــر عن الزيف . وهكذا نري أن الحدود في هذا الخطاب واضحة والـــدلائل معلنـــة والمصطلحات لا لبس فيها، ويعني ذلك بالنسبة لهم أن كل من ليس من الخيـــر فهو في الشر ويجب احتقاره ورفضه علي جميع المستويات .

وتشير الصعوبة **الثانية** الي أن الخطاب الديني يتحـــدث عـــن مقدســـات ، بمعني أن ما يقوله المفسر يعضده عادة بآيات مقدسة ، ولذلك فالراي هنا لـــيس للمفسر او للواعظ ولكنه لله . فالله هو الذي يقول مضمون الكلمات التي يقدمها الواعظ فمن يجرؤ علي مناقشة الله؟ وإذا حاول شخص أخر تقديم أي اجتهـــاد أو تفسير مختلف فإنه التكفير يحدث حيث يكفر كل شخص الآخـــر . وتتصـــل الصعوبة **الثالثة** بأن الخطاب الديني يركز عادة علي الذات والانتماء للجماعـــة الدينية لكونه يلزمها بمضامينه . واذا كان من أساسيات الخطاب الديني التركيز علي الذات والدعوة للانتماء وتعليم المبادئ الاساسية ، فإن هذا التركيز المبـــالغ

فيه علي الذات يعني أنه يحتوي في مضمونه علي نفي الآخر المختلف ، حتـــي دون هجوم مباشر عليه وهو ما يسمونه التعصب بالحب ، فمـــن كثـــرة حـــب الانسان لدينه يتجاهل الأديان الاخري دون نية سيئة . وتؤكد الصعوبة **الرابعـــة** علي ان الخطاب الديني يرفض بطبيعته الحوار ، وذلك يرجع الي ان الخطـــاب الديني له اتجاه واحد من المتحدث الي المتلقي . فهو مونولـــوج Monologue وليس ديالوج Dialogue . وهنا يقوم صاحب الخطاب بتخيـــل الآخـــر وهـــو يحاوره فيثير الأسئلة ويرد عليها ويقوم بتفسير النصوص للآخر بحسب وجهـــة نظره . وتفسير نصوص الدين الآخر المختلف يعد أكثر الأمور إيلاما للـــنفس ، وفي العادة ينظر من تعرضت نصوصه للتفسير من جانبه الي الآخر بإعتبـــاره قد قام بأعتداء علي مقدساته وتشويه كتبه ومقدساته مما يعمق الكراهية ويـــؤجج الصراع .

وترجع الصعوبة **الخامسة** الي أن الخطاب الديني يتضمن دعوة للآخـــرين للأنضمام اليه وذلك يعود الي انه بطبيعته خطاب يسعي الـــي اقنـــاع الآخـــرين بالعدول عن افكارهم والانتماء لصاحب الخطاب . لذلك فهـــو خطـــاب دفـــاعي وهجومي في نفس الوقت . ففي مرحلة الدفاع يسعي إلي الرد علـــي الخطابـــات الدينية المطروحة علي الساحة والمختلفة معه ثم يقوم بعمليـــة هجـــوم عليهـــا ، ولأنه خطاب اقناع ودعوة لذلك فهو يستخدم كل ادوات الأقناع الممكنـــة (٣٣) . وتتعلق الصعوبة **السادسة** بإنتشار روح التعصب في المجتمع ، وهـــي الـــروح التي تعوق تجديد الخطاب الديني في آحيان كثيرة . والتعصب كما يراه علمـــاء النفس درجات تبدا بالكلام ثم التجنب فالاضهاد فـــالعنف وأخيـــراً الارهـــاب . والتعصب بالكلام يأتي من خلال الخطاب الديني والتعليم في داخـــل الجماعـــة الواحدة حيث يشوه الأنا الآخر ، وعندئذ تنتقل الجماعة نتيجـــة لتـــأثير الكـــلام

المتعصب الي التجنب ، أي رفض التعامل مع الآخر المختلف في عمله ومسكنة وعائلته ، وأخيراً العنف ضده حيث الضرب والجرح ، ثم الارهاب والمذابح الجماعية (٣٤) .وترتبط الصعوبة **السابعة،** بطبيعة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية السياسية . ففي بعض الأحيان تعيش بعض المجتمعات في ظل حالة من الاحتقان المجتمعي بسبب المشكلات والهموم التي تثقل كاهلها علي كل المستويات من كل الاتجاهات أو المصادر . ومن شأن حالة الاحتقان المجتمعي هذه أن تملأ فضاء المجتمع بالتوتر الذي يعوق مناقشة تجديد قضايا ذات حساسية علي ساحة العلاقة بين الآنا والاخر . وذلك لان الاحتقان الاجتماعي قد يدفع البشر الي الانكفاء علي الذات ، بينما التجديد حالة تتطلب الانفتاح علي الاخر والتسامح بايثارية معه . و ذلك يعني أن الاطار السياسي والاجتماعي العام يعد متغيرا أساسيا في اطلاق طاقات تجديد الخطابات المختلفة بما فيها الخطاب الديني أو وادها في مهدها .

وفي حالة الرغبة في تجديد الخطاب الديني تعد الدعوة الي كلمة سواء أو اتفاق بين الخطابات المختلفة الخطوة الأولي في اتجاه تجديد الخطاب الديني المسيحي ، أي العمل علي خلق مناطق مشتركة بين الخطابات الدينية المتنوعة سواء علي الصعيد المسيحي أو علي الصعيد المسيحي الاسلامي . يذهب هذا الموقف إلي التساءل لماذا لا يتم تجديد الخطاب المسيحي بالمثل كالخطاب الاسلامي ، بحيث تنتهي الصراعات الفكرية بين الملل المختلفة بحيث تكون امام مسيحية واحدة تؤمن بلانجيل والمسيح رغم وجود خلافات جوهرية بين الملل المسيحية بحيث تكون هذه الخلافات ذات خصوصية لكل مله ، يحترمها الاخرون دون التعرض لها بالغمز واللمز وتكون الثقافة السائدة بين المسيحيين هي الحوار حول المسائل الاتفاقية والبعد عن المسائل الخلافية . واذا كانت في

مصر ملل مسيحية ثلاث كالمله هي الأرثوذكسية وهي المله الغالبة في مصر ، وكذلك الملة الكاثوليكية ، وبينها وبين الملة الارثوذكسية كثير من الخلافات العقائدية التي تحول دون اللقاء او التلاقي الدائم بين الملتين ، حيث الكل يدعي انه يمتلك الحقيقة المطلقة، وكذلك توجد الملة البروتستنتية . ذلك يعني أن هناك خلافات عقائدية بين الملل الثلاث ، الا أن ذلك لا يمنع من تجديد الخطاب الديني المسيحي وهو الأمر الذي يلقي قبولها جميعا ، بحيث يكون هناك تعاون حضاري بين كل الملل مبني علي احترام خصوصيات كل ملة من قبل الملل الاخري . علي هذا النحو يؤدي تجديد الخطاب الديني المسيحي الي أن تعيش الملل الثرث في سلام حقيقي ، سلام من الاعماق وعن اقتناع بأن إنجلينا واحد وهذا هو العمود الفقري للملل الثلاث وأن اختلفت في بعض الجوانب الاخري . لذلك يجب أن يكون الخلاف جزئيا وتحت السيطرة ، والا تفجرت نار التعصب التي تاتي علي الاخضر واليابس بين الملل الثلاث ، ويشير هذا الموقف الي ثمة خطوات عملية اتخذت في هذا الاتجاه . حيث يؤكد بداية علي الحقيقة التي تدعو إلي التسليم بوجود تنوع عقائدي في الخطابات الدينية المسيحية في اطار الاتفاق علي جوهر واساسيات الايمان المسيحي . في مواجهة هذا التنوع هناك حوارات مع الطوائف ، قد تستهلك وقتا طويلا لان المسالة ليست سهلة ومع ذلك فقد حققنا قدرا من التقدم في هذا الاتجاه ، فمثلا كانت هناك خلافات محدوده الكاثوليك وبين الروم الأرثوذكس ، كان هناك سوء تفاهم وليس خلاف حقيقي ، حدث اتفاق وسوف يؤدي قريبا الي تاسيس وحده بين خمسة عشر كنيسة ارثوذكسية في اوربا وستة كنائس في الشرق (٣٥) وسوف يؤدي ذلك الي اتفاقات اخري ولو علي المدي الطويل .

وبنفس الاسلوب يري هذا الموقف أن منطق البحث عن وحـده او تكامـل بين الخطابات المسيحية المتنوعة يمكن أن يقود هو نفسه الي البحث عن تكامل بين التنوع والاختلاف المسيحي الاسـلامي . وهـو يـري أن هنـاك بعـض المتعصبين في نظرتهم الي الاسلام مـع أن الاسـلام ينظـر الـي المسـيحية واليهودية كديانات سماوية ويعترف بها . غير أن بعض المتعصبين المسـيحيين لديهم بعض التحفظات التي تحول دون اقامة علاقة متسامحه بـين المسـيحيين والمسيحيين أو بين المسيحيين والأخر حيث اصبح ذلك مهمة قومية حتي يعيش الجميع في سلام حقيقي ، سلام من القلب ، سلام يملا الفكر والوجـدان . فـي هذا الإطار تعد الصيغة الافضل لتجديد الخطاب الديني المسـيحي بـين الملـل والاديان هي الصيغة التي تدفع الجميع إلي التسليم بأن الخلافات امر وارد بـين الملل المسيحية ، أو بـين المسـحيين والمسـلمين وأن لكـل ديانـة او ملـة خصوصيتها. ومن ثم يجب علي الجميع احترام خصوصيات بعضـهم الـبعض وأن يدور الحوار دائما علي ساحة المسائل الاتفاقية ، وهي ذات قماشة واسـعة وكثيرة في مجالات الحياة المختلفة (٣٦) .

وتتمثل الخطوة الثانية علي طريق تجديد الخطاب الـديني المسـيحي فـي العمل علي رأب الصدع بين القديم والجديد أو بالاصح احـلال الثـاني محـل الاول . فالخطاب الديني علي ما يذهب هذا الموقف ينبغي ان يتجدد فـي لغتـة ومضامينة ، حتي يصبح خطابا عصريا يخاطب مؤمنين معاصرين . في هـذا الاطار يذكر أصحاب هذا الموقف أن هناك خطاب مسيحي تقليدي ، يقرؤونـه في الكتب القديمة ، فمثلا في القرن السابع عشر وحتـي النصـف الاول مـن القرن العشرين ، كان رجال الدين يتحدثون بالكلام "المسجوع" وباللغة العربيـة الفصحي وبلهجة خطابية ، حيث كان هذا العصر عصر الخطابة والزعمـاء .

كان الخطاب الديني التقليدي في الكنائس لا يتكلم الا فـــي موضـــوعات تراثيـــة قديمة تكاد تتعلق بالنظريات المسيحية أكثر من تناول الامـــور العمليـــة . الان حدث قدر من التجديد ، فبرغم أن "قداسة البابا شنودة" ضليع في اللغة العربيـــة غير انه لا يستخدمها الا في اللقاءات الرسمية ، ولذلك نجد أن احاديثة اليوميـــة تتم باللهجة العامية الدارجة ، حتي تصبح لغتـــة قريبـــة مـــن تنـــاول قضـــايا ومشكلات الحياة اليومية المعاشة ، ويفعل رجال الدين جمـــيعهم ذلـــك . مـــن مظاهر التجديد في الخطاب الديني المسيحي أيضا اللجوء الي اللغـــة الحواريـــة بصورة مستمرة من خلال الأسئلة والاجابة. فمثلا نجد أن قداسة البابـــا شـــنوده في لقائه مع الناس يعتمد علي الحوار ، هم يسألون وهو يقدم الاجابـــات ، وقـــد يستغرق ذلك نصف اللقاء ، بينما يلقي في النصف الثاني "العظة" عليهم ، وفـــي الغالب تدور العظة حول القضايا التي اثيرت في النصـــف الاول مـــن اللقـــاء ، حيث يكون ذلك اكثر اقناعا وخاصة في مجال الشباب وأكثر اشباعا لاحتياجات البشر جميعا. (٣٧) بالاضافة الي ذلك فخطابنا يعتمد الترغيب وليس الترهيـــب، علينا أن نقول لهم أن الحياة مع الله مفرحة وتساعد علـــي النجـــاح ، الله يحبنـــا والامجاد السماوية تنتظرنا في أخر المطاف . ندعوهم الي التفائل والثقـــة بـــالله لان الله يعطينا اكثر مما نطلب أو نتصور أو نفتكر ، وربنـــا ســـخي ونزعتـــه متفائلة (٣٨) .

وتأتي الخطوة الثالثة في اتجاه تجديد الخطاب الديني المسيحي مـــن خـــلال جعله أكثر إرتباطا بالحياة اليومية بحيث يهتم بقضاياها ومشـــكلاتها. فـــي هـــذا الاطار يؤكد أصحاب هذا الموقف علي ضـــرورة أن ياخـــذ تجديـــد الخطـــاب الديني في الاعتبار الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة. فمـــثلا نحن كاقباط نعيش في مجتمع فيه غالبية مسلمة علينـــا أن لا ننعـــزل عنهـــا ،

وعلينا أن نندمج في المجتمع ليلتقي شبابنا مع الشباب المسلم علي خلفية قيم المواطنة الواحدة . نحاول أن نستخرج من الانجيل ما يؤكد ذلك ونعظ به الشباب وفي خطوة رابعة تشهد علي فعالية وحيوية تجديد الخطاب المسيحي ، يعمل الخطاب علي تضيق المسافة بين النص الثابت والمطلق والواقع النسبي المتغير بتحريك الأخير حتي ينصاع لهيمنة النص وقوته ، مثال علي ذلك مواجهة الكنيسة لقضية إباحة الطلاق فنحن في مجتمعنا "المسيحي" لا يمكن أن نقبل اباحة الطلاق مع أن الغرب يري انه قد آن الاوان لأن تبيح الكنيسة الطلاق . في مقابل ذلك نجد أن فإن الخطاب الديني المسيحي المتجدد يدرك انه اذا حدث الطلاق فسوف تظهر مشاكل كثيرة ، ولذلك فالخطاب لا يركز علي قضية الطلاق ولكن تعمل الكنيسة من ناحية اخري علي تطبيق برامج اجتماعية وثقافية وصحية ونفسية لاعداد المقبلين علي الزواج ، وفي هذا الاطار تعمل الكنيسة قبل الموافقة علي الزواج علي إخضاع المقبلين عليه لهذه البرامج ، حتي تكون الكنيسة قد لعبت دورها واراحت ضميرها (٣٩) . ذلك يعني محاولة أن يتجة تجديد الخطاب في اتجاه تطوير أوضاع الواقع حتي يصبح قريبا من النص الديني وصالحا للتكيف معه ، والتعديل والتغيير في الواقع دون المساس بالنص .

ثالثا : ظروف تجديد الخطاب الديني

الخطاب الديني بطبيعته أحد العناصر البنائية في المجتمع ، سواء كان المقصود بالخطاب الديني المبادئ والقيم الدينية المتضمنه في المواثيق الأساسية، أو كان المقصود هو الخطاب اللغوي الذي يشكل وعاءا تنتقل من خلاله القيم والمبادئ الي جماهير يتجدد سياقها وعصرها ، بصوره دائمة .

الأمر الذي يفرض السعي الدائم لاعادة قراءة ذات المبادئ بهـدف إستكشـاف معاني جديدة لم نكن ندركها غير أنها تلائم الواقع الجديد . ذلك يرجع إلـى أن النص الديني هو نص متكشف ابداً ، كما أن الواقع متكشف كذلك وعلي توازي معه . وفي كل لحظة من لحظات تكشف هذا الواقع تظهر متغيرات جديـدة لـم تكن قائمة من قبل، تدفعنا الي استعادة استكشاف المبـادئ المنظمـة لـه فـي مقولات الدين ومبادئه . وهكذا نجد ان الكون الذي نعيش فيـه متكشـف ابـداً سواء في مبادئه المنظمة له أو في واقعة المتغير وغير الثابـت ، لأن الجميـع يصدر عن مصدر واحد، فهو خلق للاله الواحد . ويصبح علي الانسـان الـذي يمتلك عقلاً أن يظل باحثا أبداً عن تصور الدين لتنظيم التفاعلات الجديدة التـي أشير إليها في وثائق الدين الأساسية ، أو أن يستكشف مبادئ الدين في تفاعلات الحياة اليومية ، بحيث يتحرك العقل الانساني من خلال هذه الحركة المتأرجحـة الي تعميق اليقين من ناحية والوصول الي معرفة القـوانين الضـابطة لايقـاع المجتمع والكون من ناحية ثانية .

ونحن أذا تأملنا الظروف التي يتم فيها التجديد فسوف نجد أنهـا ظـروف أزمة في الغالب . حيث نجد أن المجتمعات الحضارية تلجأ عادة الي مخزونهـا الحضاري لتبحث في اطاره عن حلول تقدمها للمسائل أو المشـاكل المطروحـة في سياق الأزمة . في هذا الاطار فنحن نميز فـي تـاريخ المجتمعـات بـين مرحلتين الأولي مرحلة الاستقرار الاجتمـاعي ، حيـث يسـعي البشـر الـي استكشاف مبادئ الدين المنظم لحياتهم في واقعهم الإجتماعي ، وهـي المرحلـة التي يمكن أن نسميها مرحلة تعميق اليقين . وهي التـي نسـعي فـي إطارهـا إستكشاف مبادئ الخالق في خلقه عملا بقول الله سبحانه وتعالي "سنريهم أياتنـا في الآفاق وفي أنفسهم" . علي خلاف ذلك نجد أن الحركة عكسية فـي سـياق

الأزمة ، حيث يكون الواقع هو الذي يطرح المسائل والمشكلات التـــي تســتحق التأمل وتطلب الحل ، ومن ثم يتجه البشر ، بخاصة المؤمنون، الي مـــرجعيتهم الدينية ومخزونهم الحضاري المستند اليها في محاولة لاعادة فهــم النصـــوص كمرجعية لمشكلات واقعهم المتغيير ، حتي يعثروا علي يقين قادر علـــي تقـــديم الحلول لمشكلاتهم ومسائلهم . وهكذا حركة يحيا البشـــر فـــي نطـــاق رحـــلات وحركة "بندولية" بين النص الديني والواقع . بداية الحركة تعتمـــد دائمـــاً علـــي واقع الحال هل هو واقع مستقر وثابت يؤكد عافية النص وعافية المجتمـــع ، أم أنه واقع يعيش حالة أزمة ويلقي يظل الشك علي الـــنص ، ولابـــد مـــن ضـــخ الحيوية في النص حتي يتكشف عن حلول جديدة لمسائلنا المعقدة .

بالإضافة الي ذلك فنحن نعتقد أن ظروف التجديد تقع عـــادة فـــي ســـياق اختلاف، وهو الاختلاف الذي ينتج عن واقع الأزمـــة . حيـــث نجـــد أن إدراك البشر لواقع الأزمة ومسبباتها يختلف بإختلاف زاوية أو منظور إدراكهـــم لهـــا ومن الطبيعي أن يختلف طبيعة أدراكهم لها بحسب درجة يقينهم الديني وايضـــا بحسب طبيعة إستقبالهم لمتغيرات البيئة المحيطة بالأزمة، البعض يؤكـــد علـــي متغيرات معينة بإعتبارها المسببة للأزمة كضعف فاعليـــة المتغيـــر الـــديني – لأسباب عديدة – في حاضر المجتمع ، او بروز متغيرات معينة أبعدت البشـــر عن يقينهم الديني كالتعليم الذي يغفل أبعاد التأمل وتجديد التراث والحفاظ علـــي الهوية. أو النظام السياسي الذي يعتبر حلقة من حلقات الاتساع أو الإمتداد فـــي تطور الأنظمة السياسية الغربية، وإن لم تكن مرحلة فـــي التطـــور العضـــوي للمجتمع. أو تأثير الأيديولوجيات الوافدة التي فرضـــت علـــي الـــبعض يقينهـــا واستبدلته باليقين الديني ، كتبني البعض للأيديولوجيات الماركسية أو العلمانيـــة المتطرفة أو المشوهة . في موقف الأختلاف يسعي البعض الي أحداث تجديـــد ،

بعضهم يكون سعية ايجابيا بحيث يدفع النصوص الدينية من خلال تأملها الي مزيد من التكشف حتي تكون قادرة علي مواكبة الواقع المتغير وقادرة كذلك علي ترشيدة . بينما يكون سعي البعض الاخر سلبيا ، فهو لا يمتلك مفاتيح تأمل النص الديني بسبب تشوه تعرض له اثناء مرحلة تنشئته الاجتماعية والفكرية ، وبسبب ذلك نجده لا يري النص الي نصا تاريخيا ونسبيا ، علي الأقل في بعض عناصرة . ثم هو أسير الأنبهار بالتطور الغربي ، يعتقد أن العلمانية الغربية هي صانعة الحداثة في الغرب ويمكن إعادة إستنباتها لصناعة التحديث في مجتمعاتنا ، دون أن يدرك أن حضارتنا الاسلامية تحتوي علي المبادئ والقيم القادرة – في حالة أن نعمل علي بعثها وإحيائها – علي بناء تحديث مستقل له هويته . لقد أختار هذا البعض طريق الانبطاح ورفع الرايات البيضاء تسليما بالهزيمة والوهن . فالحياة لديهم في ظل جهد أو نضال أقل أفضل من المقاومة المقترنة بالحفاظ علي الهوية والشرف . علي خلاف ذلك رفض البعض الأول عن كبرياء حالة الوهن والتسليم والانبطاح ، ورأي أن من الأفضل بعث التراث المستند الي قاعدة الدين من خلال إعادة قراءة وثائقة وتأمل نصوصه الأساسية لنواجة بها مشكلات الحاضر ومسائله ، وفي ذات الوقت يستكشف مقولات تطوير الواقع وتأكيد تقدمه ، ومن المؤكد ان كلا الفريقين يساهم بطريقته ومن زاويته – حتي لو كانت ذات مخرجات سلبية – في عملية التجديد .

إلي جانب ذلك تتنوع المتغيرات الدافعة الي التجديد ، وهي المتغيرات التي تفرض ضغوطا علي المجتمع فتدفعه إلي أن يعيد تأمل مقولاته حتي تساعده علي التكيف مع الواقع الجديد . وفي حالة المجتمع الاسلامي فإن المبادئ والقيم المتضمنة في نصوصة الأساسية مطلقة وكلية ، في مقابل الواقع

النسبي والجزئي ، ومن ثم يصبح من حق كل واقع نسبي وجزئـــي متتـــابع أن يعيد تأويل النصوص ، بما توفر له من قدرات عقليـــة وتكنولوجيـــة متطـــورة ورأسمال ثقافي متراكم ، حتي يستطيع ضبط التفاعل المتجدد في واقعة خاصـــة أن النص في طبيعته وبحد ذاته كلي وشامل ولا نهائي يقدم الجديد كلمـــا أعيـــد أستكشاف جوهره ، بحيث يشكل ذلك جدل ومضمون التجديد . في هذا الاطـــار فإننا نجد أن الواقع الاسلامي يتعرض لضغوط تفرض عليـــه نتيجـــة تغيـــرات عديدة وقعت بالداخل وتحتاج الي ترشيد عقلي جديد وضغوط تفرض نفسها من الخارج مستغلة حالة وهن المجتمع الاسلامي الذي قد يلجأ الي إعادة إستكشـــاف نصه ومرجعيته بحثا عن طاقة القوة التي تضخ الحيوية في عروقـــه . يضـــاف الي ذلك أنه اذا كان جسم المجتمع الاسلامي قد أصبح هشا في وقتنـــا الـــراهن برغم أن نصه ليس لذلك ، فإنه من الطبيعي أن تؤدي الضغوط الخارجية الـــي ردود فعل متباينة في الداخل اســـتنادا الـــي عـــدم تجـــانس القـــوي والفئـــات الاجتماعية. وإرتباطا بذلك تتباين ردود أفعـــال القـــوي والفئـــات الاجتماعيـــة المختلفة تجاه هذه الضغوط وتتباين ردود فعلها نتيجة لـــذلك . بعضـــها يتعلـــق بأستار النص حرفيا قابض علي دينة كمن "يقبض علي جمرة من نار" ، بينمـــا البعض الثاني يسقط صـــريعا تحـــت ســـنابك الضـــغط الخـــارجي والمصـــالح المستهدفة، فإذا قيل له أن هذه العلمانية هي مصدر قـــوة المجتمعـــات الغربيـــة يجيب مؤكدا لنكن علمانيين أكثر من العلمانيين أنفسهم . بينمـــا يقـــف الفريـــق الثالث واثقا من نفسه وثوقة من حضارته ، يســـعي الـــي مخـــزون الحضـــارة يستكشف في إطاره من جديد معالم النص وأعماقة ، فيدرك ضالته التي تساعده وتؤهلة لامتلاك القوة . لم يقرر الاستقاله العقلية كالبعض الأول والثـــاني ، بـــل قرر النضال بعقله في إتجاه تجديد قراءته لنصه وليس تجديـــد نصـــة ، حتـــي

يمتلك الطاقة الروحية التي تمدة بالقوة التي تؤكد له "أنكلم خير أمـــة أخرجـــت للناس" .

ذلك يعني أن تجديد الخطاب الديني في مضمونه وشكله تكتنفــه ظـــروف عديدة ، بعضها يطلق عقال التجديد بينما البعض الآخر يقيده . بعضها يفرضــه في إتجاه محدد حتي تستمر حالة الضعف والوهن والهشاشـــة ، بينمـــا الـــبعض الآخر يدفع البشر الي السعي لتجديد خطابهم وإدراكهم حتـــي يمتلكـــوا أســـباب القوة من جديد ، وهو ما يعني أن الظروف المصـــاحبة للتجديـــد لهـــا أبعادهـــا ومصادرها العديدة .

١ -**ظروف تجديد الخطاب الديني وتاريخيته** : يتعلق البعد الاول بظروف تجديد الخطاب الديني بإعتبار أن التجديد ضرورة تراثية وتاريخية ومعاصـــرة . في هذا الاطار يمكن القول بأن عملية التجديـــد والاصــــلاح فـــي الفكـــر الاسلامي هي جزء صميمي من الدين نفسه . مستندين في ذلك الي حـــديث الرسول الكريم "صلي الله عليه وسلم" القائل " أن الله يبعث لهذه الأمة علي راس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها" بالاضافة إلي تفاعلات التاريخ وممارسة التجديد في إطاره ، حيث شهدت المجتمعات الاســـلامية خـــلال الأربعة عشر قرنا الماضية عدداً من الحركات والثورات الاسلامية التـــي شملت الميادين العسكرية والفكرية العديدة . فقد لجأت مجموعات اســـلامية للجهاد والاجتهاد في فترات متكررة ، كما أن المدارس والمذاهب الفقهيـــة والفلسفية والفكرية تعددت خلال التاريخ الاسلامي (٤٠). ويعود ذلك الـــي أن الاسلام كدين يمتد الي فضاءات عديدة في الحياة، بل يكـــاد بشـــموليته ألا يترك مجالا خارج تنظيمه وتفسيره وسيطرته . يضاف إلـــي شـــمولية الاسلام مسألة ثبات البنية النصية للاسلام وصلاحيته لكل زمان ومكـــان ،

خاصة أنه ينطلق في مبادئه من فطرة الطبيعة البشرية . لــذلك تتميــز أو تحتفظ الحلول والرؤية التي يقدمها الاسلام بصلاحيتها ، فهو دين يقبل أي تغيير لا يمس الثوابت ويقتصر علي مظاهر الأمور واشــكالها الخارجيــة في مقابل التأكيد علي الحقائق الآزلية التي هي من ثوابت الكــون "ونزلنــا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدي ورحمــة وبشــري للمســلمين "ســورة النحل" "الآية ٨٩" .وتفسير حديث الرسول القائل بالتجديد كل مئة ســنة أن مئة سنة تعني قرن من الزمان ، ثلاثه أجيال متتابعة ومن المؤكــد غيــر متجانسة من حيث قدرتها علي التكيف مع تغيرات الواقع المتجدد ، وهــي فترة طويلة نسبيا يتعرض خلالهــا المجتمــع لتغيــرات داخليــة عديــدة كالتحولات الاجتماعية والفتن السياسية، ذلك فــي مقابــل أن هنــاك قــيم وعادات وثقافات قد تفد ألينا من الخارج لأننا لا نعيش وحدنا في عالمنــا ، الأمر الذي يؤدي الي ضعف التزام البشر بموروثاتهم ومن ثم بالدين ممــا يدفع الي وهن بعض قواعده في نفوسهم ، ومن ثم فــي ضــبط التفاعــل الاجتماعي (٤١) ، وهو ما يؤدي الي استنفار وعي المعتقدين فــي الــدين لاعادة قراءة النص لتخليصه مما قد علق به أو قراءته في ضوء التغيرات الجديدةالتي طرأت علي حياة الجماعة .

واذا كان التراث الديني يقبل بالتجديد ويدعو اليه فإن التاريخ يشــهد علــي ذلك ايضا ، فتجديد الفكر الديني شكل مسعي أساسيا في مسيرة الثقافة العربيــة الاسلامية منذ فجر الاسلام . وفي العصر الحديث شهد الفكر الــديني حلقــات متتالية من إجتهادات المفكرين ومشاريعهم النهضوية . حيث شكل التجديد فــي كل مرحلة ضرورة ملحة ، انطلاقا من أن هذا التجديد يعتبــر جســر عبــور الفجوة التي فصلت العالم العربي والاسلامي عن العالم المتقدم . وهو ما يعني

أن التجديد كان يعبر عن ضرورة داخلية عميقه تنبــع مــن رفــض العــرب والمسلمين لوضعهم المتردي في العالم ، وهي ضرورة لاصلة لهــا بمطالــب بعض الدول الكبري حتي لو حدث تماس في لحظة من اللحظات . وهي مهمة لا تنحصر في جهد رجال الدين المستنيرين فقط ، بل يجب أن تكون من أولي مهام المفكرين والمثقفين عموما (٤٢).

بالاضافة الي ذلك تلعب السياسة دوراً بارزاً فــي اســتمرار التجديــد أو توقفه . تأكيداً لذلك يشير تأمل التاريخ الاسلامي الي أن القرار السياسي الــذي أصدرة الخليفة العباسي المتوكل بوقف النقاش حول ما عــرف بمحنــة خلــق القرآن ، وحكمة ببطلان أراء المعتزلة يمثل بداية إغلاق باب الاجتهــاد . وأن هذا الاغلاق أستمر منذ القرن الثالث للهجرة . غير أن الاجتهاد وأن كــان قــد توقف في بلاط السلطة السياسية إلا أن الفكر الاسلامي عرف شيئا من حيويــة الاختلاف والاجتهاد خارج نطاق هذه السلطة حتي ســقطت بغــداد فــي يــد المغول، ولم تتوقف محاولات تجديد الخطاب الديني منذ عصر النهضة وحتــي الآن (٤٣). حيث قدمت محاولات تجديدية عديدة ، غير أن التجديد قد توقــف في الفترة المعاصرة بسبب محافظة النظم السياسية وإنغلاقها ، وهي المحافظــة التي تضافرت مع محافظة المؤسسة الدينية ، بحيث أدي ذلك إلــي الاقتصــار علي الترديد الحرفي للنصوص دون محاولة تطوير فهمنا أو تأويلنا لها كآليــة لفهم قضايا الواقع المعاش . مما أدي في بعض الفترات التاريخية إلي العنــف باعتباره رفضا وتجديداً علي مستوي الممارسة، يرفض سلوك النظام السياسي والمؤسسة الدينية علي السواء.

إرتباطا بذلك نستطيع أن نرصد عدة مواقف فيما يتعلق باستمرار التجديد وتاريخيته . بداية نؤكد أنه برغم تاكيد هذه المواقــف جميعهــا علــي

أهمية التجديد وضروريته علي المستوي القومي والإسلامي والعالمي ، غير إن تبرير استمراره أو توقفه شكل نطاق خلاف بين المواقف المتعددة . حيث يؤكد أحد هذه المواقف علي أن التجديد لم يتوقف طيله القرن الماضي وحتي الآن ، فمنذ إسهامات جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وتلاميذ هذه المدرسة التنويرية الدينية في تجديد الفكر الديني وهم مستمرون في القيام بهذه المهمة خير قيام . غير أن التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي حدثت منذ منتصف القرن الماضي وحتي الآن ، جعلت هذه الدعوة المعتدلة إلي الاجتهاد والتحديث في الفكر الديني تتضاءل وتضمحل أمام القيود التي فرضت عليها . سواء من قبل المثقفين اليساريين الذين مدوا الخيط الي آخرة حتي التطرف نحو الشيوعية والعمل علي تهميش مكانه ودور رجال الدين والدعوة (٤٤). أومن قبل الانظمة السياسية التي رأت تنمية مجتمعاتها وفق نماذج غربية ، راسمالية أو أشتراكية، وأسقطت من حسابها إمكانية تجديد أو تحديث الدين ليقود تحديث المجتمع وتطورة . وعلي هذا النحو حوصر الدين ودفع به الي هامش المجتمع، الأمر الذي عطل جهود التجديد لأنه لم يكن لها مبرراتها الواقعية ، كما أنه لم تكن هناك الحرية الكاملة للقيام بذلك .

الي جانب هذا الموقف نجد موقف أخر أكثر توازنا يري منذ البداية أنه حينما تكون مصلحة الجماعة فثم شرع الله علي ما يذهب "بن القيم"الذي يري "أن المسائل الدينية ليس فيها اجتهاد أما المسائل الدنيوية ففيها اجتهاد" ، وهو ما أقره الاسلام وأكده الرسول الكريم "صلي الله علية وسلم" . غير أن ذلك يتحقق بشرط أن لا يخرج الاجتهاد علي المبادئ الكلية للاسلام ، وهي المبادئ التي ترفض الحجر علي العقل . انها مبادئ إرشادية كي لا يخطئ العقل أو يضل، أو حتي يصل الي الحق من أقرب الطرق (٤٥). لذلك نجد

أن العقل الاسلامي يندفع الي التجديد كلما كان المجتمع الواقعي في محنـــة أو مازق . فمثلاً حينما دخل التتار بلاد المسلمين كان المسلمين " أضـــعف خلـــق الله ، وقد كانت الروايات التي صورت لنا غزو التتار والوهن الـــذي دب فـــي قلوب المسلمين مخزية . في هذه الفترة قوي العلم الديني وحدث فيـــه تجديـــد حتي دخل التتار الاسلام . وحينما هاجم الصليبيون بلاد الاسلام قـــوي العلـــم الديني برغم أن البلاد الاسلامية كانت ضعيفة . في خلال هذه الفتـــرة عمـــل الامام "الغزالي" والامام الهويني" علي بناء الأمة فكريا وعقيديا أثنـــاء كانـــت الحرب مشتعلة "(٤٦). ولا يختلف اليوم عن البارحة ، حيث تحـــدث صـــحوة في العالم الاسلامي بإتجاه التجديد الذي تتأكد الدعوة اليـــة كلمـــا بـــدا عالمنـــا العربي والاسلامي علي درجة واضحة من الهوان والضـــعة وكلمـــا تكالبـــت القوي العالمية عليه . كأنما المجتمع يدفع بعض صفوته المخلصة أو جماعتـــه المؤمنة التي بيدها مفاتيح مخزون الطاقة، والتي يمكن ان تبعث فيـــه الحيويـــة لتشكل قوة تزيد من مناعة المجتمع . الأمر الذي يفرض علي رجال الـــدين أن يولوا اجتهادهم الآن شطر الحاضر من حيث قضاياه ومشكلاته وليس باتجـــاه النظر الي الماضي.

ويتكامل مع الموقف السابق موقف الدين المسيحي الذي يـــري أن تجديـــد الدين يعد ضرورة بسبب سوء الفهم والحيرة التي تسود أوساط الشـــباب فيمـــا يتعلق ببعض القضايا ، حتي نقضي علي التطرف الذي قد يقع فـــي المجتمـــع علي الجانب الاسلامي والمسيحي علي السواء *وهو ما يعني أن تجديد الـــدين يقصد به أحيانا توضيح الدين في صحيحة ، بحيث يفرض ذلـــك ضـــرورة أن تعكس عملية التجديد جوهر الدين وروحه ونظرته . وهناك واقعة تاريخية

*ذكر الأنبا "موسي" أسقف الشباب بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية واقعة العثور علي بعض الشباب المسحيين (٣٩ شاب) في هولندا مقتولين "بالسم" لأن أميرهم قال لهم أن المذنب "هالي" قد إقترب من الأرض وهو ما يعني أن "السيد المسيح" علية السلام قادم . وعلينا أن نقابلة ، ومن ثم أمرهم بتجرع "السم" حتي يقابلوا السيد المسيح وهو قادم من السماء الي الأرض .

ترتبت علي قول السيد المسيح لها مغزاها ، حيث قال "يوجد خصيان مثل الاغوات ، وخصيان ولدوا هكذا ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم من أجل الحفاظ علي ملائكيتهم . وبرغم أن الناس جميعهم فهموا مغزي قول السيد المسيح فسر أحد علماء الكنيسة ذلك حرفيا وقام بخصي نفسه حتي يبطل تيارالشهوة ، فحرمته الكنيسة حتي لا يقلده الناس "(٤٧). ذلك يعني أن الدلالة هنا ليست كامنة في حرفية النص ولكن في رمزيته بالأساس ، حيث الآمتناع إراديا عن الشهوات .

ثمة موقف أخير يقف علي يسار كل المواقف السابقة، يري أصحابة أن الشريعة بأوضاعها الحالية لا تصلح لبشرية القرن الواحد والعشرين ، وأن "إصلاحها" وتطويرها إنما يكون بتأسيسها أستناداً الي النصوص الكونية للأسلام فقط (٤٨). ويؤكد هذا الموقف علي ضرورة التجديد لأنه "لا نهاية لكلام الله لأنه حق مطلق وعلم مطلق لا يحده حد من زمان أو مكان ، ولذلك فهو جديد في كل لحظة وصالح لكل جيل . والذين أغلقوا باب الاجتهاد وضعوا نهاية لكلام الله ولفهم كلامه ، وحولوا الخطاب الديني من اجتهاد يحتمل الصواب والخطأ ، ويستدعي إعادة النظر والمراجعة والتجديد الي حقيقة كلية ونهائية (٤٩). ويري هذا الموقف ضرورة أن يعمل التجديد في اتجاه التأكيد علي الانسان بإعتباره سيد الكون وافضل المخلوقات كما أن علية أن يوفر

للانسان أيضا الطاقة الروحية التي يستخدمها لتطوير واقعــه اليــومي . (٥٠) وهو ما يعني أن التجديد ينبغي ان يتم علي البعد الاجتماعي بالاســاس ، البعــد الذي يؤكد علي الانسان بإعتباره سيد واقعة .

٢.**الظروف الداخلية الضاغطة بإتجاه تجديد الخطاب الديني :** إرتباطا بما ســبق تتعلق المجموعة الثانية بالظروف الداخليــة التــي تفــرض تجديــد الخطــاب الديني . وهي الظروف التي تضغط باتجاه أعمال العقل في النصوص حتــي تصبح قادرة علي توجيه التفاعل في واقع المجتمع. بداية يتفق الجميع علي ان الخطاب الديني في حاجة الي تجديد ، وبرغم الاتفاق حول هذه الضرورة فإننا نجد اختلافا أو جدلاً حول الظروف التي تبرر ذلك . الفريــق الأول يــري أن الواقع الذي نعايشة أصبح متسارع التغير ، ومن الضروري العمل علي توفير قراءة تأويلية جديدة للنصوص ، بما يساعد علي ضبط النص لتفاعل الواقــع. "فبدون التجديد الدائم والمستمر للفكر والفقه والخطاب الاسلامي من الطبيعــي أن تحدث الفجوة بين الشريعة الاسلامية – التي هي وضع إلهي ثابت – وبــين مقتضيات ومتطلبات الواقع ، المتغير والمتطور دائماً أبداً . الأمر الذي يعنــي انه لو ساد الجمود والتقليد ، فإن ذلك قد يفضي الي "إنفلات" الواقع المتغيــر من حاكمية الشريعة الثابتة ، فيكون العجز عن أن تظل الشريعة صالحة لكــل زمان ومكان ومن ثم تغيب حجة الله علي عبــاده وهدايتــه لخلقــه ، بعــد أن ختمت الشرائع السماوية بشريعة الاسلام . وإذا كانت الشريعة الاسلامية هــي خاتمة شرائع السماء الي الانسان ، مؤكدة صلاحيتها لكل زمان ومكان ، فــإن ذلك مرهون بالتجديد الدائم في الفكر والفقه والخطــاب الاســلامي لمواكبــة

مقتضايات ومتطلبات مستجدات الواقع المتطور دائماً أبدا ، ولبقـاء حجـة الله علي عبادة قائمة الي يوم الدين" (٥١).

ويؤكد هذا الموقف علي أن الواقع قد طرأت علية تغيرات عديدة تفـرض تجديد الخطاب بما يساعد علي أسـتيعاب الـنص لهـذه التغيـرات أو رؤيـة مضامين النص متجسدة فيها وفي تفاعلات المجتمع . مثال علي ذلك موضوع المعاملات في البنوك ، حيث يميل شيوخنا الي محاولة فهمهـا بـالنظر الـي قوالب المعاملات التي كانت سائدة في القرون الأولي . فإذا لم تتطـابق معهـا أفتوا بالحرام ، بينما الأصح أن علينا أن نفكر بحرية فـي المسـتجدات التـي تطرا علي الواقع ، ولا نقيس الجديد علي القديم فقط ، علينا أن نتأملها بـالنظر النص الذي يحتوي علي الي المبادئ الكلية للاسلام ومقاصـده العامـة (٥٢). ذلك يعني أن نبيح التجديد فيما لا يمس الثوابت ، ولنفتح باب التجديـد علـي مصراعية ليستوعب النص الظروف الجديدة .فالمبادئ الكلية والمقاصد العامـة هي الثوابت التي لا ينبغي تجاوزها ، وهي لا تزيد علـي مسـاحة ٥% مـن النسق الاسلامي ، غير أنها تشكل قاعدة البنـاء الاسـلامي التـي لا ينبغـي المساس بها . فإذا كان الخطاب الاسلامي قديما يقسم العالم الـي قسـمين "دار الحرب" و "دار السلام" فإننا نجد هذه التكوينات أو التقسيمات لم تعد موجـودة الآن . فقد انفتحت الحدود علي بعضها ولم تعد هناك دار حـرب خالصـة ولا دار سلام خالصة كذلك. حيث تداخلت الأمور فهناك جاليات اسـلامية كبيـرة في كثير من الدول الغربية ، فهل نعتبرها مع ذلك دار حرب ، كما أن هنـاك تناحر داخلي داخل بلاد الاسلام ذاتها فهل نعتبرها دار سلام ، وهو ما يعنـي انه لم تعد ظواهر الواقع مستقطبة ولكنها أصبحت كألوان الطيف (٥٣) .

إرتباطا بذلك يصبح من الضروري إعـادة قـراءة الـنص لاسـتنباط المعاني التي تساعدنا علي أصدار أحكام تتعلق بأحداث الواقع المتجددة . مثـال آخر يتعلق بإثبات النسب ، فإذا أنكر الرجل نسبة أولاده من زوجته اليه ولـيس لدية شهود الا نفسه ، فإننا نجد أن القرآن لا يعتمد هذه الشهادة لإقامة الحد علـي الزوجة . حيث تقول الآيات الكريمة بضرورة أن يشهد الزوج أربعـة شـهادات بالله أنه لمن الصادقين أنها زنت، ويشهد شهادة خامسة أن لعنة الله عليه إن كـان من الكاذبين ، وهنا يثبت عليها أقامة الحد . فإذا رغبت في رفع الحد عنها فإنها تحضر أمام القاضي وتشهد أربع شهادات بأنه من الكاذبين ، والشهادة الخامسـة أن غضب الله عليها أن كان من الصادقين ، وهكذا يتبدد الاتهام ولا ينفـق الأب علي الاولاد .وإذا كان القرآن قد أشار الي انه لم يكن لهم شـهداء الا أنفسـهم ، فإننا نلاحظ اليوم ظهور شاهد جديد غير الأربع شهود أو حلـف اليمـين وهـو تحليل D.N.A القاطع الذي علي أساس نتيجته يقام الحد علي المراة أو ينسـب الأولاد الي الزوج، ومن ثم يستحق عليه الانفاق عليهم (٥٤). علي هـذا النحـو نجد أن المرجعية والنص الديني ما زال قائمـا غيـر أننـا يمكـن أن نسـتعين بمنجزات العلم الحديث للتيقن من وجوب فرض أحكامة .

ويتكامل مع ذلك ضرورة أن يمتلك المجدد نموذجاً معرفيـا يحتـوي علي المعايير التي يقنن الواقعة بالنظر اليها . وعلي هذا النموذج أن يؤكد علـي الايمان بوجود الله وأن هناك تكليف وإيمان باليوم الآخر ، وبما ان هناك تكليـف فمن الطبيعي أن يكون هناك التزام ، وأن تكون الحرية فـي اطـار الالتـزام ، والابداع والتجديد لا يكون مطلقا بل ملتزما . بذلك يصبح النموذج المعرفي هو المرجعية التي تمكننا من التعامل مـع الأحـداث بـالقبول أو الـرفض . (٥٥) ويتسق مع ذلك ضرورة أن يتناول التجديد إعادة قراءة النص بالنظر الي قضـايا

جديدة طارئة علي الواقع في بيئتة المعاصرة . علي سبيل المثال لم تشغل حركة الاخوان المسلمين نفسها تاريخيا منذ أن ظهرت عـام ١٩٢٨ نفسـها بقضـايا الحجاب أو النقاب أو اللحية ، لأنه كانت هناك قضـايا أهـم تتصـل بـالوطن والمجتمع. (٥٦) وهو ما يعني أن يكون التجديد في نطاق إهتمام النص الـديني يتمثل في أن تعاد قراءته وإستكشاف معانيه فيما يتعلق بالقضايا الجديـدة علـي واقعنا ونحتاج الي إدراكها بالنظر الي مرجعيتنا .

ويعبر الموقف الثاني عن بعض عناصر النخبة المثقفـة ذات التوجـه العلماني الرشيد والملتزم بالمرجعية الدينية ، حيث تتجـاور بعـض عناصـر توجه هذا الموقف مع بعض عناصر من توجه الموقف السابق المؤكـدة علـي المرجعية الدينية . بيدأ هذا الموقف بالدعوة الي أعمال العقل والاجتهاد "فرأس الكسلان بيت الشيطان" ، مثل شعبي لخص فيه المصـري البسـيط بعبقريـة فطرية فضيلة إعمال العقل والاجتهاد الذي حثت عليه كل الاديـان السـماوية والوضعية . يقول تعالي " وقل إعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنـون وستردون الي عالم الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون" *سـورة التوبـة*الآيـة ١٠٥ . وجاء في العهد القديم في سفر التكوين "الاصحاح الثاني" "العـدد ١٥" "وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها وفي سفر الأمثال لسليمان الحكيم الذي يتناول كلمة فضيلة الحكمة والفهم ، حيث جـاء فـي "الإصـحاح الرابع " العدد الخامس" إقتن الحكمة ، إقتن الفهم" . هذا بعض من كـم هائـل يزخر به التراث الديني الذي يدخل بلاشك علي مستوي الـوعي أو اللاوعـي في نسيج تكويننا الانساني ويعد جزءاً مهما من مرجعيتنا الثقافية " (٥٧).

يري أصحاب هذا الموقف ضرورة إعمال الدين ، بعد تجديد خطاباته في حياتنا اليومية . إذ تكشف متابعة واقع الشارع المصـري ، بـل والمظـاهر

التي طغت علي حياتنا الاجتماعية والثقافية، أنه ظهرت نتيجة لهـا كثيـر مـن الظروف الكفيلة بأن تدفعنا الي أدراك أن هذا التراث الهائل من الحكمة الفرديـة والأمثال والمأثورات الشعبية ، بل والنصوص الدينيـة – رغـم مظـاهر المـد الديني الهائل خلال السنوات الماضية– قد غابت عن حياتنا لتصـبح أثـراً بعـد عين ، أو تم تمييع معانيها الحقيقية وطمس دلالاتها لتصبح مجرد كلمات جوفـاء نتذكرها في المناسبات، وسرعان ما نهجرها أو نضعها علي ارفف منسـية بعـد أن بطلت فاعليتها في أستثارة الهمم وإرادة الفعل . وبعد أن ركنـا جميعـا الـي حالة من الاستكانة والاسترخاء العقلي والتحول التدريجي لنصبح مجرد رد فعـل لحدث أو كارثة ، أو حتي لآخر نراه من وراء خيوط عنكبوتيـة إسـتنادا إلـي رؤية ضبابية لا تحجب عنا فقط رؤيته علي حقيقته أو تمثل حجمة وامكانياتـه ، بل ايضا رؤية ذاتنا وحقيقتنا وأوجه قصورنا " (٥٨). ذلك يتطلب منـا تطـوير فكرنا وثقافتنا وقبل ذلك تطوير خطابنا الديني بإعتباره قاعدة للفكـر والثقافـة . ذلك يعني أن تجديد الخطاب الديني سوف يزوده بالقوة التي تجعله قـادراً علـي ضبط التفاعلات الواقعية ، بحيث تصبح المرجعية الدينيـة قـادرة علـي ضـخ الحيوية في بنية الثقافة والبشر والمجتمع جميعا .

يؤكد هذا الموقف أيضا علي أن ثمة تغيرات هائلة طرأت علـي واقـع مجتمعنا ، بحيث ساعدت علي إدراكنا لقدر تخلفنا عن الركب العـالمي . ففـي عصر العولمه أصبح فضاءنا مفتوحاً في وقت عانت فيـه ثقافتنـا مـن حالـة هشاشة، ومن ثم فقد أصحبنا نعاني من فراغ ثقافي وعقيدي ، وعلينـا أن نجـدد خطابنا الديني بخاصة والثقافي بعامة ، وعلينا أن نسعي لملئ فراغنـا قبـل أن يملؤه غيرنا . في هذا الاطار أدرك العلماء أن تجديد الفكـر والفقـة والخطـاب الديني أصبح اكثر ضرورة وأشد الحاحاً ، لأنـه هـو السـبيل لتقـديم "البـديل

الاسلامي" الصالح لتلبية إحتياجات ومتطلبات مستجدات الواقع الجديد ، وذلك حتي يمتلئ الفضاء الاسلامي بالبديل الاسلامي فيزول "الفراغ" الذي صنعة الجمود والتقليد . والذي يسعي التغريب الوضعي العلماني لملئه والتمدد فيه . إرتباطا بذلك فقد قال "الشيخ العطار" عندما أحتك بعلماء الثورة الفرنسية " أن بلادنا لا بد أن تتغير ، ويتجدد بها من المعارف والعلوم ماليس فيها " . ودعا الشيخ رفاعة الطهطاوي بعد – أن خبر خطر الوضعية اللادينية الغربية في باريس – إلي تجديد فقه المعاملات الاسلامية ليسد الباب ويقطع الطريق بالبديل الاسلامي المتجدد، علي قانون نابليون الوضعي العلماني المتسلل الي دوائر التجارة ومؤسسات الحكم والقضاء والتشريع في عالم الاسلام . وقد عاب الامام محمد عبده علي جبهة الجمود والتقليد بقوله "إنهم وإن أنكروا كثيراً من البدع ، ونحوا عن الدين كثيراً ما ليس منه ، فإنهم يرون وجوب الأخذ بما يفهم من لفظ "الوارد والتقيد به"(٥٩) بدون إلتفات الي ما تقتضيه الاصول التي قام عليها الدين واليها كانت الدعوة ولأجلها منحت النبوة ، فلم يكونوا للعلم أولياء ولا للمدنية أحباء " (٦٠).

ثمة ظرف سلبي آخر يسجلة اصحاب هذا الموقف ويتعلق بسطوة الأنظمة السياسية في المجتمعات العربية والاسلامية وسيطرتها علي الدين والمؤسسات الدينية الأمر الذي يقتل حريتها وقدرتها علي التجديد . في هذا الاطار يؤكد البعض علي ان قصور الخطاب الديني يرجع بالأساس الي خلل حدث في المفاهيم والمصطلحات الناشئة ، وإنضواء الكثير من منابر الخطاب الديني تحت اللواء الرسمي للأنظمة السياسية في المجتمعات الاسلامية طوعا أو كرها ، الأمر الذي قلل من القبول الشعبي لها . ولا يخفي أن الكثير من المؤسسات الدينية في غالبية المجتمعات العربية والاسلامية لم تتحرر بعد من

سطوة الانظمة السياسية البراجماتيه، ومن ثم فهي تتعايش معها وفق اجتهاد مرجوح لا يفي بالحد الادني من تطلعات الشارع الاسلامي، الذي وجد نفسه ميالا الي مرجعيته التي يعبر عنها كل عالم أو مفكر يخرج عن المألوف ، ويطرح طرحاً يلامس أحتياجات البشر ويواسي آلامهم . ولعل نظرة خاطفة علي بروز وأفول الرموز الدينية في العالم الاسلامي خير برهان علي ذلك فالشارع الاسلامي اليوم يعرف الدكتور "عباس مدني" كزعيم سياسي أصلاحي جزائري أكثر من معرفته برفيق دربه العالم السلفي الشيخ "علي بلحاج"، ويعرف الشيخ "أحمد ياسين" و"راشد الفنوشي" و "حسن الترابي" و "عبد المجيد الزنداني" أكثر من معرفته بعالم الحديث "ناصر الدين الآلباني" أو إمام أهل السنة الشيخ "عبد العزيز بن باز" أو فقية العصر الشيخ "محد بن عثيمين" أو ثله من علماء الأزهر أو حتي شيخ الزهر نفسه (٦١).

وقد دفع إفلاس القيادتين الدينية والسياسية الأمة بإتجاه البحث عن بديل مناسب، فوجدوا الصف الثاني من العلماء المارقين علي نهج الحرس القديم بخطابهم المعتدل والتعايشي تؤازرهم فئة التكنوقراط ، خياراً يجمع بين الحد الدني من النص الديني دون الأغراق في تفاصيل فروعه ، ويفي في ذات الوقت بمتطلبات وتفاعلات ووقائع الدولة العصرية التي أغفل أمورها الخطاب الديني التقليدي لعدة قرون . ذلك يفسر خروج الأنظمة السياسية المستبدة عن طورها حينما يتلاحم التكنوقراط مع الجيل الثاني من علماء الصحوة مكونين جبهة أئتلاف قوية في وجه الاستبداد وإحتكار السلطة بإسم الدين خاصة . علما بأن عوار الخطاب الديني لا ينكشف في مسائل العبادة والتنسك بل أمام تحديات كبري كحقوق الأقليات والديموقراطية والمال العام ، حيث يجد الخطاب الديني المتجدد والمتنور

مكانا يستطيع من خلالـــه التعامـــل الفـــوري مـــع مســـتجدات المرحلـــة والعصر.(٦٢) ومن حسن الطالع أن الديني أقوي دائماً من السياســـي فـــي مجتمعاتنا حتي ولو أختلت القاعدة الي حين . وإرتباطا بذلك فإنه لا يمكـــن تهميش التيار الديني ، لأن الدين في مجتمعاتنا العربيـــة والاســـلامية قـــد تجذر في الحياة والفكر، وتموضع جنينيا في دمـــاء الشـــعوب الاســـلامية، لدرجة أن السياسي غير المتدين اذا تمكن من السلطة يجد نفســـه مضـــطراً للبس العباءة الدينية ، صادقا أو متملقا . أمام هذه التحـــديات المفروضـــة علينا من كل اتجاه نحتاج الي تجديد خطابنا تجديداً يقوم به رجـــال ديـــن يمتلكون شجاعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه للبت في قضايا محورية تثقل كاهل الأمة وواقعها ، بعيداً عن الجمود الفكري وأحادية الرأي . من ذلك قضايا الآخر الديني ، وولايـــة المـــرأة فـــي المناصـــب الكبـــري ، والديموقراطية وعلاقاتنا ومصالحنا مـــع الحضـــارات والأمـــم الأخـــري (٦٣). نحتاج التي تجديد خطابنا الديني بما يسمح بتعايش المســـلمين مـــع خصومهم المنفوقين عليهم تكنولوجيا واقتصاديا ، خطـــاب يضـــخ القـــوة والطاقة في عروقنا حتي نصبح قادرين علي دفع مجتمعنـــا علـــي طريـــق التقدم والتطور .

يسعي هذا الموقف أيضا الي تجديد خطابنا الـــديني وتحريـــره مـــن حرفية علماء النفط والخوف من الجديد ، غير المدركين أن عالمنا قد تغير، وأن فقه الحجاب واللحية والنقاب والثوب القصير والحيض والنفاس وان كـــان فقهـــا هاما ، غير أنه لم يعد هو الفقة المحوري المطلوب في عالمنا المعاصـــر وفـــي هذه المرحلة بالتحديد . نحتاج الي فقة يساعدنا علي التمكين الاقتصادي والثقافي والسياسي ، فقه يحافظ علي تماسك الأمة ويعمق قيم المواطنـــة ، ويعكـــس روح

الاسلام في صحيحة .نحتاج الي فقه اسلامي جديد وحضاري يعيد للأسلام روحة الوسطية السمحة التي تجسد قول الله تعالي "أدعو الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنه" . (٦٤) "ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك*سورة . الآية رقم ٦٣ ". نحتاج إلي تجديد يواجه التشوية الذي أحدثته جماعات العنف الاسلامي التي أنفلتت من حاكمية العقل الاسلامي فأصبحت تنهش الذات الاسلامية ذاتها ، وتهز هيبة النظم والدول الوطنية فتخدم بذلك مخططات الأعداء ، برغم النية الحسنة والبراءة التي يتحلي بها أفراد هذه الجماعات .(٦٥) بيد ان تحكيم العقل لا ينبغي أن يلغي عواطف وعقلانية المقاومة ، دفاعاً عن المقدسات الاسلامية ، ودفاعاً عن القيم الاسلامية النبيلة . وعلي هذا النحو فإذا كان تجديد الخطاب الديني مطلوب حتي نستطيع التعامل مع قضايا عالمنا المتجددة ، فإنه مطلوب وبإلحاح لأنه يزودنا بالقوة الواعية التي نحتاجها لنحافظ علي كرامتنا ومقدساتنا .

الموقف الثالث هو موقف التدين المسيحي ، وهو لا يختلف كثيراً عن الموقف الاسلامي المتدين ، وهو موقف يطلب التجديد ليتعامل من خلاله مع قضايا المجتمع والجماعة المسيحية المتجددة .المجري الرئيسي لتجديد الخطاب الديني كما تراه النخبة المسيحية يتحدد بالظروف المتجددة التي حدثت في مجتمعنا والتي ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار . بداية فقد تجدد الخطاب الديني – كما يؤكد البعض – من حيث الشكل ، إضافة الي أن مضامين الخطاب الديني ينبغي أن تكون لها علاقة بقضايا ومشكلات الحياة اليومية . في ذلك يقول أحد رجال الدين المسيحي " خطابنا يتم باللغة الدارجة. من حيث المضمون ينبغي أن تتصل موضوعات الخطاب بقضايا ومشكلات الحياة اليومية. هناك مبدا معروف يؤكد أن الانسان لا يعرف إلا ما يريد ولا يعمل إلا ما يحب ، ونحن

نحاول التعرف علي ما يريده البشر ونناقشة معهم. نتبع الطريقة الحوارية لأنهـا الطريقة الملائمة لأجيال الشباب "يؤكد أيضا أن خطابنا الديني يعمل علي " دفـع الشباب للآندماج في المجتمع علي أساس أن ربنا أوصانا بذلك ، لا سياسة فـي ذلك ولا مجاملات ، فقد قال المسيح مرة "أنتم نور العالم ، فليضئ نوركم أمـام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة وليمجدوا آبائكم الذين في السموات".(٦٦)

الجديد في الخطاب المسيحي أنه "يرفض العزلة والتقوقع ، فوصايا المسـيح كلها إجتماعية ، وهي تعبر عن مضمون ومفعول الايمان. وقد رأينا أن سـلوك العزلة يجب أن يرفع عندما شعرنا أن الأقباط بدأوا يتقوقعـوا بسـبب الأحـداث الطائفية . شعرنا بخطورة ذلك لأنه ضد المسيحية أولاً وضـد المواطنـة ثانيـا وضد مصلحة المجتمع ومصلحتنا جميعا . ولذلك قمنا بتنمية ثقافية ، ندرس فـي أطارها لشبابنا التيارات الثقافية في المجتمع ونحللها ، ونجري بشأنها حـوارات يحضرها شبابنا ورموز مصر الاسلامية والمسيحية . هـذه الحـوارات أسسـت نوعاً من تبادل المشاعر والفهم الايجابي المشـترك لقضـايا تهـم المسـيحيين والمسلمين علي السواء . كذلك طلبنا من شبابنا أن يسجلوا أسمائهم في سـجلات الانتخابات ونشجعهم علي المشاركة في اتحادات الطلاب والنقابات والأحـزاب ، وأن يتوقفوا عن التقوقع لأن ذلك معارضا لقيم المواطنة المستنده الي الانجيـل. لأن المسيح قال انتم "ملح الأرض" والملح يحفظ من الفساد وقد خلق ذلك أنفتاحاً من قبل شبابنا علي المجتمع ، قيدته قليلا الظروف الاخيـرة ، ظـروف الفـتن الطائفية ، بالإضافة الي ذلك عندنا آية في الانجيل تقول "أنـتم رائحـة المسـيح الذكية" ، وآية نقول "أنتم رسالتنا المعروفة والمقروءة من جميع الناس" . تعبيـر آخر يقول "خميرة صغيرة تخمر العجين كله" يقول لنا "حولوا العجين الميت الـي حياة بالخميرة وأنتم الخميرة" . آية أخري تقول "نسعي كسفراء عن المسيح كـأن

الله يعظ بنا ، ونطلب عن المسيح ونقول للناس تصالحوا مع الله بتصالحكم مـــع أنفسكم" .(٦٧) المسيحية لم تكن إنسحابية ولا تنازلية ، هناك ظروف تاريخيـــة وفعت الي التقوقع. ولأننا نعيش في عصر الإنفتاح فقد كـــان مـــن الطبيعـــي أن ننفتح وينفتح خطابنا الديني . خطابنا أهتم بالبعد الاقتصادي، كذلك فمثلا . توجد جماعة كبيرة من المتخصصين تساعد الشباب للحصول علـــي فرصـــة عمـــل، وتعمل علي تغيير ثقافتهم من الارتباط بالوظيفة الحكومية الي بنـــاء المشـــروع الانتاجي الخاص . نساعد الشباب كي يحصل مثلا علي قرض مـــن الصـــندوق الاجتماعي ، أو من جهاز تشغيل الشباب في المحافظـــات فـــي بنـــك التنميـــة ، يضاف الي ذلك أن كثير من الكنائس بها مشاريع صغيرة للاسر المنتجة. ذلـــك يعني أنه أمام الظروف المستجدة لا تكتفي الكنيسة بالبعد الـــديني فقـــط ولكنهـــا أصبحت تهتم بالبعد الاجتماعي والاقتصادي كذلك. (٦٨) يـــدعو هـــذا الموقـــف أيضا إلي ضرورة تجديد الخطاب الديني حتي يصبح قادراً علـــي التكيـــف مـــع الظروف الداخلية المتجددة . فالعالم الذي نعـــيش فيـــه أصـــبح يـــزداد تـــداخلاً وتماسكاً، وعلي الكنيسة أن لا تنعزل وعليها أن تعد شعبها ليكون قـــادراً علـــي التكيف مع الظروف الجديدة ولدية إمكانية التعامل معها .

الموقف الأخير الذي يسعي الي تجديد الخطاب الديني في ظل الظـــروف الداخلية هو الموقف الذي يقف علي يسار كل المواقف السابقة ، هـــذا الموقـــف يتضمن تضاريس عديدة تشترك جميعها في تجانس واحد يؤكد في جملته علـــي أهمية تنحية الدين عن حياة البشر . يسعي هذا الموقف بداية الي تفكيك الـــنص الديني بفصل مضمونه عن قداسته من خلال برهنة مغلوطه . يـــذكر أصـــحاب هذا الموقف أن " كلام الله حقيقة مطلقة متجاوزه للزمان والمكـــان، أي صـــالحة لكل زمان ومكان ، وهذه الصفة بالذات هي التي تفـــرض أن يكـــون الخطـــاب

الديني وقتي ، لأنه تاريخي يلبي في كل عصر حاجــات متجــددة ومتغيــرة ، تنتظر من يكشف عنها ويستخرج لها من كتاب الله إجابة جديــدة تكشــف فــي الوقت ذاته عن وجه جديد من وجوه الحقيقة الإلهية وتزيدها جلاء وبهاء كلمــا إرتقي الانسان وتحرر ، وإزدادت حضارته تطوراً وإرتقاءً" .(٦٩)

بذلك يتحرك هذا الموقف الي نزع القداسة عن الــنص تحــت زعــم أن تطرف إطلاقيته تفترض إطلاقية نسبيته ، اعني التطــرف فــي التأكيــد علــي النسبية ، وتأكيد ما هو نسبي يعد المدخل الي تمزيق وقتل مــا هــو مطلــق . يذهب هذا الموقف الي القول بأن القرآن يتعالي علــي الأوضــاع والأحــداث ، والأشخاص علي حين يسعي الفقهاء في تفسيرهم للقرآن الي التجديــد وتثبيــت المعني من خلال كلامهم عن أسباب النزول التي تربط الــنص بتــاريخ معــين وزمــان معين وأشخاص بالذات * وقد لاحظ هذا الموقف أيضا أن الفقهــاء يميلون الي لغة التقرير التي لا تحتمل الا معني واحداً مباشــراً . ويشــعرون بالارتباك أمام اللغة الرمزية أو المجازية التي يستخدمها النص القرآنــي لأنهــا حمالة أوجه تحررنا من طغيان المعني الواحد ، وتسمح لنا بأن نختار ونتحمــل مسئولية إختيارنا . وفي هذا يقول قاضي البصرة "عبيد الله بن الحسن" كل مــا جاء في القرآن حق ، فالقول بالقدر صحيح ، ومن قال بإختيار الانسان لأفعالــه إستند الي أصل في الكتاب ، من قال بهذا فهو مصيب ، ومن قال بــذلك فهــو مصيب أيضا ، لأن الآية الواحدة ربما دلت علي وجهــين مختلفــين وإحتملــت معنيين متضادين". (٧٠) وهو ما يعني إشاعة حالة من التعدديــة فــي تأويــل النص بلا ضوابط ، الأمر الذي قد يؤدي في النهاية الي تفكيك بنيته .

وفي أعقاب الدعوة الخافته أو المخادعة لتفكيك النص يذهب أصحاب هذا

----

*لا ينبغي أن يغيب علينا أن الحديث عن أسباب النزول التاريخية التي قد يعرض لها الفقهاء ، لا تنال من إطلاقية النص ، وهنا لا يحاول الفقهاء كما يذهب محمد أركون تثبيت النص ، بل الأصح أنهم يحاولون تقديم النص مكتملا بمضمونه وسياقه .

الموقف الي محاولة إدانة من يقومون بتجديد الخطاب الديني لأنهم علي هذا النحو يسعون الي ضخ الحيوية فيه وهم لا يريدون ذلك . يحاول اصحاب هذا الموقف إبراز عزلة التيار التجديدي الذي يدعو الي إستكشاف المعاني الاسلامية بما يلائم إحتياجات واقعنا من خلال ادانه التجديد والمجددين معا . يذهب هذا الموقف قائلا "فقد حاول الاسلاميون في ذلك الوقت تحقيق هدفهم سلميا وبواسطة الطرق الديموقراطية . وقد أتيحت الفرصة لممثلي الشعب أن يقرروا في هذا الأمر ، ولقد قرروا أسقاط المشروع – يقصدون المشروع الاسلامي* رغم أن غالبيتهم مسلمون لأنهم كانوا يرون ما يمكن أن يسببه مشكلات تتعلق بأهم مقومات الدساتير ، وهي كفالة الحريات الديموقراطية والمساواة الكاملة في الحقوق بين المواطنين في البلد الواحد . بالاضافة الي ذلك نجدهم يؤكدون أن هناك بعد آخر وهو أنهم يدركون أن الذين جعلوا رسالة حياتهم تطبيق الشريعة الاسلامية أو تحكيم شرع الله ، لا يملكون فكراً تجديديا يواجه مثل هذه القضايا الجوهرية ، والكثير منهم لا يشعر بالحاجة إليه". (٧١) يؤكد هذا الموقف أيضا علي أننا برغم أننا "شهدنا الكثير من دعاة التجديد ، غير أننا لم نشهد إلا تجديداً قليلاً ، وذلك يرجع الي ان المجددين التمسوا التجديد في المكان الخطأ أو التفكير من داخل الصندوق ، والصندوق هنا هو إطار الشريعة الاسلامية ، وخارج الصندوق هو إطار الأسلام . ومعروف أن

----

*أنسي أصحاب هذا الموقف أن الجماهير هي التي أسقطت حكم الشاه في إيران وفرضت الحكم الاسلامي هناك ، ونسي أيضا أن الجماهير أنتصرت للمشروع الاسلامي من خلال الطريق الديموقراطي في الجزائر غير أن القوي العلمانية وقوي العولمة قطعت الطريق علي الدور الاسلامي ، ولن نعن الجماعات التي تناضل من اجل المطالبه بتحديث مجتمعاتها من خلال الرؤية الاسلامية في مختلف ارجاء العالم الاسلامي فهي كثيره لكنها ممنوعه .

الشريعة – كما يدعون – ليست هي الاسلام ، بل هي جزء منه ، بل هي أوله ومدخلة ومبتداه نحو حدوده الدنيا التي لا يقبل دونها ، في حين أن الاسلام يمتد في الرحابة والسعة حتي يلحق بالاطلاق ، والتفكير من داخل الصندوق إستند الي مسلمات عوقت الحركة نحو التجديد. (٧٢) علي هذا النحو وفي مواجهة الظروف الداخلية المتجددة يسعي أصحاب هذا الموقف الي فصل الدين عن شريعته ليتحول الي مجموعة من المثل التي تصلح لأن تصبح أخلاقا . قد تفلح أو تشارك في تشكيل ضمائر البشر ، لكنها لأتقدم قواعد محددة وفعالة لتنظيم التفاعل الحادث بالواقع . وما دامت سوف تعجز عن ذلك فلنترك الواقع لكي ينظمه قانون آخر، وليكن هذا القانون – من وجهة نظرهم – هو القانون الوضعي .

ويستمر هذا الموقف في البحث عن زاوية آخر لتفنيد قيمة الخطاب الديني ومن ثم قيمة تجديده. لتحقيق ذلك يتساءل هذا الموقف عن قيمة الدين الذي لاتنعكس أو تتجسد مثله في واقعه . كما يؤكد هذا الموقف أنه اذا كان الدين "إيمان قلبي يجعل الإنسان في وضع أن يكون سيد هذا الكون وأفضل مخلوقاته ، وأنه إذا كنا لا نستطيع أن نمارس هذه السيادة ضد ظروف تعطلها، فإن الأيمان الديني يصبح معوقا وكذلك العقيدة . فالدين ليس مجرد شعائر وطقوس لأن الملحد له شعائر وطقوس . الدين يختلف لأنه يمنح الطاقة الروحية التي تولد الفاعلية والقيمة في أفعال وتفاعل البشر، فإذا كنت لا

أستطيع أن أستخدمها في الواقع اليومي، فإن هذه الطاقة تصبح لا قيمة لها . وإذا قالت المسيحية أن " الله خلق الإنسان علي صورته ومثاله، فإن ذلك يعني صورة الله في الخلق وقدرته علي الابتكار والتجديد والإرادة والفعل والحرية ، وكلها مفاهيم أساسية تميل إلي الاتصال بصورة الله . فإذا كان العانسان في المجتمع ليس حراً ولا يستطيع أن يناضل من أجل حريته ، وفي وضع استبعاد واستبعاد له أشكال كثيرة ، حيث نجده مضطر لعبودية البشر أكثر من عبودية الخالق ، إذا كيف يكون للدين معني في حياته ؟ في هذه الحالة يكون الدين مثلما يقول "ماركس" أفيون الشعوب ويستخدم لوأد الطاقة التحريرية الموجودة في أعماق البشر". (٧٣)

وإذا كان الدين المسيحي يتمحور مثلا حول مفهوم "القيامة" ، وإذا كان الفرد لا يستطيع أن يعيش بروح هذه القيامة في المجتمع ، بان يكون الشخص الممكن صاحب الارادة والقادر علي الفعل وإتخاذ القرار . وبالتالي فإذا كان لا يستطيع أن يمارس ذلك في حياته فما هي إذا قيمة الدين في حياته ؟ هل يصبح مجرد طقوس تمارس . القهر الآن يمارس بإسم الدين في المجتمع برغم أن الدين قد وجد من اجل تحرير الإنسان . ففي المسيحية طالب السيد المسيح بتحرير الانسان من القيود التي وضعها المجتمع اليهودي علي الانسان ، طالب الانسان بالتسامح وإستنفر قدرته علي التغيير . كذلك الاسلام حرر الانسان من عبودية الأصنام وحرره من حالة التبعثر وجعلة دولة وأمة . فإذا كان الانسان في المجتمع لا يزال يعبد الأصنام ، والأصنام كثيرة ، يعبد رئيسه في العمل أو يعبد نزعة إستهلاكية أو يعبد رئيس دولة . ذلك يعني أن واقعنا يشهد أنماطاً جديدة من العبودية فإذا لم يساعد الخطاب الديني علي التحرر من كل ذلك ، فما هي قيمته ؟ . لقد طرحت حركة لاهوت التحرير في أمريكا اللاتينية

سؤال : كيف يأتي الملكوت علي الارض في ظل هذا الظلم والدعارة والفساد والمخدرات والاستبداد السياسي ؟ وبالتالي أين يكون ملكوته ؟ إذا فليبقي الله في السماوات لأنه ليس موجود علي الأرض ، غير أنه بالإمكان أن يوجد علي الأرض من خلال نضال إنساني موجود يعلي إسمة ، فإذا لم يكن هذا النضال الأنساني موجوداً فلن يكون له قيمة ، حينئذ يصبح الدين شبيها بشواهد القبور. قد تكون هناك أماكن للصلاة ، وقد يكون هناك من يمارسون الطقوس غير أن روح الدين الحقيقي غير موجودة في المجتمع".(٧٤) هذا الموقف يدرك الدين من خلال وظيفته التحريرية فقط ، من خلال قدرته علي تنظيم الواقع وتأكيد الطابع السيادي للانسان ، فإذا لم يفعل فلا قيمة للدين . وإذا كان الانسان يعيش في الواقع مستعبداً حتي لغرائزه ، واذا لم يحررة الدين من هذه العبودية فلا قيمة للدين . وهكذا نجد أنفسنا في النهاية أمام نوع من البرهنة المعكوسة التي تحاسب الدين بفساد الواقع وتردي أوضاع الانسان دون أن يطرح هذا الموقف وسيلة يستطيع بواسطتها من خلال الجهد الانساني الفعال العمل علي تحرير الواقع أو المحافظة عليه من خلال إعمال روح الدين المجددة .

ويسعي هذا الموقف كذلك ومن خلال منطلقاته العديدة الي أدانه الدين بسبب الظروف الواقعية المتردية ، وبدلا من المطالبة بتجديد الخطاب الديني لمواجهة تردي الواقع ، نجد هذا الموقف يطالب بإقالة الدين من ممارسة دورة في حياة المجتمع ، ودفعة الي الانزواء بيبب التردي الذي أصاب . بداية يسوق هذا الموقف شواهد علي تخريب الدين للحياة ، من خلال تاكيده "أن الخطاب الديني في أحيان كثيرة يعمل علي حماية السلطة . يدين هذا الموقف خروج الرموز الدينية في المجتمع في الانتخابات الأخيرة وتأييدهم لرموز النظام الذين عبرت الجماهير عن رفضها لهم ، وهم يعلمون أن هذا الانتخاب مزيف ولا

يعبر عن شئ . علي هذا النحو نجد رجال الدين يقدمون غلالـــة دينيـــة لســـتر عورة النظام السياسي، وإذا كان الدين سوف يلعب هذا الدور ، فسوف يصـــبح الأمر كارثة . يحدث ذلك حينما يشارك رجال الدين في تزوير إرادة أمـــة قـــال الله تعالي فيها "أنكم خير أمة أخرجت للناس". (٧٥) ويتقدم هذا الموقف خطوة أخري فيطلق طلقته الأخيرة، بتأكيده علي ضرورة أن نتأسي بالغرب في تجديـــد خطابنا الديني ، بأن نطرق طريق العلمانية ، التي تعني في أساسها فصل الدين عن السياسة ، أي فصل الاخلاق الدينية عن الاخلاق المدنية ، وأن نميـــز بـــين سلطة الدين الخالدة وسلطة السياسة المتغيرة ، علي هذا النحو فعلـــي الـــدين أن تتراجع مساحته الي حدود ضمائرنا الفردية . وبغـــض النظـــر عـــن الـــديانات الموجودة في المجتمع ، فإن البشر حينما يتعاملون مع بعضـــهم الـــبعض فـــي واقعهم الاجتماعي، فإن عليهم أن يتعاملوا وفق أخلاق مدنيـــة وليســـت أخـــلاق دينية . وإلا فإننا سوف نفتح أبواب صراع أجتماعي بـــين أصـــحاب الأديـــان والملل لا نعرف مداة ولا نهايته . في هذا الصدد علينا أن نتأسي بالغرب الـــذي ترك الدين للفرد وأبقي علي الاخلاق المدنية للمجتمع . ويتسق مـــع ذلـــك أنـــه لاينبغي أن ننص في دستورنا علي أن الاسلام هو دين الدولة الرسمي لأن ذلـــك يؤسس تناقضا في بنية الدستور ، بين روحة التي تؤكد علي المساواة بين جميع المواطنين وبين التأكيد علي الدين الذي يعبر عن فئة دون فئة أخري . في هـــذه الحالة فإن هذا النص سوف يصبح مصدراً للظلـــم ، ومـــدخلا الـــي التنـــاقض والصراع الاجتماعي. (٧٦)

ويتقدم هذا الموقف خطوات في الاتجاه السلبي ليدين التجديدات التي تؤكد علي أن الاسلام يحتوي علي تصورات مقابلة لنظائرهـــا الغربيـــة . كـــالقول بوجود ديموطراطية في الاسلام تناظر الديموقراطيات الغربية. القول بذلك أثار

كثيراً من الشكوك أكثر مما بعث علي الاطمئنان، ففي لقاء مع أحد القيادات الاسلامية النشطة* قدم لنا الحل الاسلامي لربط الدين بالدولة ، وفي المقابلة

---

* المفكر والنشط الاسلامي الدكتور عصام العريان .

قدمنا له كلاما يؤكد علي فصل الدين عن الدولة . وقد قدم لنا كلاما لا يرفضة أحد ، وفي التعقيب سألته زميلة مسلمة إذا كنت تقدم نموذجا يضاهي الديموقراطية الغربية ، اذا لماذا أسلمتم ؟ ولنا هنا يثور الهاجس حول هذا النوع من الترويج التسويقي الذي لن يلتزم به التيار الاسلامي حين وصوله للسلطة ؟ تثور هذه الهواجس لأن الاسلام لم يقدم الشكل الديموقراطي المعتمد علي النص . عند قراءة النص نجد أن الاسلام هو كلام الله ، وأن كلام الله لا يناقش بل يجب الخضوع له، وأن تداول السلطة فيه تدور حولها علامات إستفهام كثيرة ، إمامة حينا ومبايعة أحياناً. (٧٧) مسائل كلها تحتاج الي وضوح*. وهو ما يعني أن مناقشة تجديد الخطاب الاسلامي في إطار الموقف العلماني يتحقق إما علي خلفية الاستعداد للتخلى عنه فى سبيل اعتناق اخلاق مدنية حسبما تؤكد النزعة العلمانية ، واما من خلال التشكيك فى التجديد الاسلامى ، خاصة من قبل بعض عناصر الاخر فى الوطن بالنظر الى مرجعية المستقبل التى لم تتحقق بعد .

---

*ليس من الضروري أن ينص القرآن صراحة علي الديموقراطية بالمعني اللفظي الغربي ولكن القرآن قدم الحالة الديموقراطية ، أي مشاركة البشر في أتخاذ القرار العام باسلوب يري أنه الأوفق. يستوي في ذلك أن يسمي الفكر الغربي هذه الحالة ديموقراطية أو يسميها الفكر الاسلامي شوري ، والشوري لها نص قرآني ، وهي لفظ له دلالات يمكن أن تتنوع أو يتغير حسب الأحوال . يضاف الي ذلك أن تداول السلطة في الاسلام في عصور الاستناد القوي الي نصوصة ومواثيقة تم أحيانا بالمبايعة ، وثم أحيانا أخري بالتولية كما ولي سيدنا أبو بكر سيدنا عمر ، وحدث أحيانا ثالثة بإختيار حكماء الأمة للحاكم كما

في حالة أختيار عثمان ، وأحيانا رابعة بأختيار الأمة مباشرة كما في حالة سيدنا علـــي ، ويشـــير تنـــوع صيغة التداول السياسي الي قناعة عميقة من قبل الاسلام بالحالة الديموقراطية .

٣- الظروف الخارجية و تجديد الخطاب الـــديني: اســـتجابة للضـــغوط التـــى فرضتها ظروف د اخلية برزت الدعوة الى ضرورة تجديـــد الخطـــاب الـــدينى وهى الدعوة التى لم تقتصر على تجديد الخطاب الدينى فقط بل تجاوزتـــه الـــى محاولة اعادة قراءة أو تأويل النص بالنظر الى ظروف و اقعية جديدة ، وهـــو التجديد الذى يأمرنا به ديننا الحنيف ، ويحـــدد الآليات العديدة لإنجازه . ذلـــك يعنى ان التجديد فى هذا النطاق يعد محاولة إعادة قراءة وتأويل القيم والمبـــادئ الاسلامية للوصول الى منظومة قيمية تتولى قيادة عملية التحديث . فـــى مقابـــل ذلك طرح مطلب التجديد استجابة للضغوط المفروضة من الخـــارج ، غيـــر ان هدفه هذه المرة لم يكن تحديث المجتمع انطلاقا من تراثـــه الثقـــافي والـــديني ، ولكنة كان محاولة لاضعاف هذا التراث بحيث تتم عمـــلية التنميـــة والتحديث بعيدة عن التوجيه الاسلامي . واذا كان تراث الامة هو المحافظ علـــى روحهـــا وهويتها فان تبديد التراث او لنقل إضـــعافه هـــو إضـــعاف للهويـــة و تهديـــد للبقاء .في هذا الاطار برزت ثلاثة مواقف شكلت أدراكا محدداً لدور الظـــروف الخارجية في طرح المطالبة بضرورة تجديـــد الخطـــاب الاســـلامي . ويتمثـــل الموقف الأول في موقف القوي الغربيـــة وعلـــي رأســـها الولايـــات المتحـــدة الأمريكية الذي تأجج عداءها للاسلام بعد أحـــداث ١١ ســـبتمبر ٢٠٠١ حيـــث استدعت هذه الأحداث مضامين العلاقة المتوترة بين الغرب والشرق .

ولتوضيح ذلك يكشف تأمل العلاقة بين الشـــرق والغــرب فـــى التـــاريخ الانسانى الحديث عن وجود ضغط تاريخى مستمر من الغرب فى اتجاه الشرق. وهوالضغط الذى تجلى فى محاولة تقليص الخريطة الاســلامية تاريخيــا مــن خلال قضم بعض أطراف الامتدادات الاسلامية فى اوروبا ، كما هى الحال فى البانيا والشيشان والبوسنة والهرسك معاصرة والاندلس تاريخيــا وبعضــها تــم استيعابه أوربيا باسلامه ، وبعضها الآخر أعيد تنصيره كما هـــى الحـــال فـــى الاندلس. بالاضافة الى ذلك فقد تولي الغرب دائما دفع اى محاولة لامتداد القـــوة الشرقية او الاسلامية الى اوروبا ، في مقابل محاولـــة اوربـــة بعـــض الـــدول الاسلامية التى تقع الى جانب جدارها ، بل والعمل علي إضـــعاف اســـلامها ، وتشكل تركيا المثال النموذجى لذلك ، حيث نموذج مجتمع اســـلامه مســـتأنس و قابل للتآكل ، وهو النموذج الذى يسعى الغرب الان الى فرضـــه علـــي العـــالم الاسلامى . و يبدو ان قدراً من النجاح فى هذا الاتجاه بدأ يتحقق علـــى صـــعيد بعض المجتمعات العربية والاسلامية . وقد تضافرت هـــذه الضـــغوط العدائيـــة تاريخيا مع الحركة الاستعمارية و الامبيرالية التى بدات تاريخيـــا مـــع مـــؤتمر برلين سنة ١٨٧٠ ، باعتبارهـــا تمثـــل مرحلـــة تاريخيـــة عليـــا فـــى تطـــور الرأسمالية . حيث إندفع الاستعمار بقوة و عنفوان فى اتجاه الشـــرق الاســـلامى فى الوقت الذى كانت الامة الاسلامية تعيش فى حاله من الضـــعف و الـــوهن . وكانت النتيجة المتوقعة هزيمة ماحقة ساحقة أشعرت المسلمين بالهوان والمذلـــة و جرحت هويتهم او رجتهم رجا عميقا، الامر الذى استنفر الكراهيـــة والحقـــد تجاه الاخر المستعمر والاجنبى الذى جاء كغالب و قاهر . ونمت العلاقات معـــه ضمن منظور علاقات القوة والغلبة ، خاصة انه بافعاله العدوانية كـــان يـــذكى هذه المشاعر ، ونتيجة لذلك لم يكن التأثر والتثـــاقف ســـهلا . وبـــذلك إنطلـــق

التجديد والاصلاح مستندا الى تأكيد الذات في مقابل قــدح أو ذم الاخــر رغــم تفوقه (٧٨). بالاضافة الى ذلك فانه برغم امتلاك الامــة الاســلامية لحضـــارة عريقة ذات اخلاق قوية ، فان أمة هذه الحضارة تعــيش الان فـــي حالـــة مـــن الضعف ، لذلك اتجهت لتتمكن من البقاء نحو اســتدعاء رصـــيدها الحضـــارى الذى شكل درعا قويا يحميها من التاثير بثقافة واخـــلاق و حضـــارة المنتصـــر ويمدها بطاقة المقاومة ، ونتيجة لذلك فبرغم ان الاستعمار قد بقى علـــىالارض الإسلامية لفترة طويله الا انه لم يحقق ذات النتائج التى حققها فـــى المجتمعـــات الغير اسلامية ، الذى نجح فى تغيير دينها و ثقافتها و لغتها. على خلاف ذلـــك حافظت المجتمعات الاسلامية فى اطار هذا التقابل الحضارى علـــى ثقافتهـــا و حضارتها ، وما فقدته اثناء المرحلة الاستعمارية استعادته بعـــد رحيـــل القـــوى الاستعمارية . ولان كلا الطرفين الاستعمار والحضارة الاسلامية خـــرج مـــن الصراع نصف مهزوم ونصف منتصر ، لذلك بقيـــت للصـــراع طاقتـــه التـــي استمرت تتفجر في جولات اخرى ، متتابعة ومتنوعة ، وظلت القـــوى الغربيـــة بالمرصاد لأمة الشرق والاسلام . غير انـــه بســـبب هـــذا الاتصـــال الثقـــافي والحضاري بين الامتين ، تواجدت بعض المساحات الثقافية التـــى يعـــيش فـــى نطاقها بعض المواطنين الذين استوعبوا الثقافة الغربيـــة وأعجبـــوا بنموذجهـــا ونوعية حياتها ، ولانهم سايروها فقد راودتهم احلام ان تكـــون ثقافـــة الغـــرب وحضارته التى أعجبوا بها هى ثقافة مجتمعاتهم ومن ثـــم دفعـــت هـــذه الفئـــة شعارات التوجهات العلمانية بالمعنى الغربى بإعتبارها التي ينبغـــي أن تشـــكل أيديولوجيا التحديث .

وبغض النظر عن المشاهد التاريخية المتتابعة للتفاعل بـــين الحضـــارة الغربية و الحضارة الإسلامية ، و هى المشاهد التى إتســـمت بمظـــاهر ســـلبية

عديدة ، فان المشهد الذى هوجم فيه برج التجارة العالمية و البنتاجون فـى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، أثار المشاعر وزكريات والعواطف التـى اسـتدعت مشـاعر تاريخية سلبية عديدة تجسدت فى العبارة التى نطق بها الرئيس بـوش بتلقائيـة فى اعقاب وقوع الحدث مباشرة يعبر بها عن طاقة عدائية كامنة فى اللاوعـى الغربي ، حيث قال منبهاً إلي بداية مرحلة جديدة للعلاقة بين الغرب و الشـرق الاسلامى قائلا "باننا سنعلنها حربا صليبية جديدة "و قبل ان تنتهـى التحقيقـات المتعلقة بما حدث ألصقت التهمة بالإسلاميين العـرب . واتخـذت الإجـراءات التأمينية التى طالت العرب و المسلمين الذين يعيشون فى الولايات المتحـدة او المسافرين اليها طابع الإذلال او المذلـة و فـرض الهـوان ، وبـدان العقليـة الأمريكية تنظر الى المسلمين العرب باعتبارهم متهمين الى ان تثبت بـراءتهم. وفى هذا الاطار تصور الغرب ان الإسلام هو الـذى يـذكى روح المقاومـة و الرفض " التى سماها إرهابا "ومن ثم أصبح الهدف هـو الإسـلام. و إذا كـان الغرب و الولايات المتحدة قد تعايشت عن ود مع الخطـاب الـدين الاسـلامى المحافظ فى المجتمعات النفطية لثلاثة أرباع قرن ، عندما كان هـذا الخطـاب يهتم بقضايا إطالة اللحى و تقصير الثياب وتحريم شرب الدخان و التصـوير. إلا أن الامر قد اختلف حينما ظهر نبت او جيـل جديـد " بأجنـدة " جديـدة و خطاب جهادى جديد . يتحدث عن تحرير ارض الاسلام و تطهير مقدساته مـن الصهيونية و " الامبيرالية" الامريكية و تحرير ثروات المسـلمين و مقـدراتهم وإرادتهم. بحيث خالف هذا النبت " السلف الجهادى " تراث سـلفية الخضـوع للسلطان ، هنا اصبح خطاب هذه " السلفية الجديدة "من وجهة نظر الغرب عنفـا وإرهابا ورجعية و ظلامية وتخلفا ". (٧٩) وقد لعبت متغيرات عديدة دورهـا فى اذكاء هذا التوجه الغربى والامريكى السلبى نحو العالم الاسلامى ، وتعتبـر

المسيحية الصهيونية هى المستفيد الاول الذى فجـر الصـراع مـع الاسـلام ، والصراع الذى يستهدف رأس الاسلام و تقليم اظافره . وبـرغم ان المسـيحية الصهيونية لها جذور قديمة فى الفكر والتاريخ الغربى القديم ، حينمـا جعلـت البروتستنتية منذ ظهورها العهد القـديم ، أى " التـراث اليهـودى " مرجعيـة للمسيحية . بذلك قام البروتستانت باحياء فكرة ان اليهود هم شعب الله المختـار، وأن العهد الالاهى لهم بأرض الميعاد دائم و قائم، وأن عـودة المسـيح لـيحكم مائة سنة سعيدة مشروط و مرهون بعودة اليهود الى فلسطين، وتهويد فلسـطين والقدس وإعادة بناء الهيكل على انقاض المسجد الاقصى (٨٠) بعـد الانتصـار فى موقعة "هرمجدون"، ومن ثم اصبح الصراع الغربى ضد الشرق الاسـلامى له بعد دينى و عقيدى .(٨١) وقد كان من الطبيعى ان يستنفر ذلك ردة فعل او استجابة اسلامية خاصة ان الغرب فى هذا الصراع لا ينشد هزيمـة الحضـارة فقط ، ولكن يسعى ايضا باتجاه الحصول على ثرواتها كذلك .

وقد تضافر مع هذا الاساس الدينى للعداء للامة الاسلامية ظهور تنظيـر حضارى يعبر عن وجه نظر الحضارة الغربية المنتصرة فـى اعقـاب انهيـار الاتحاد السوفيتى و تدشينها لعصر العولمة . حيث ظهـر مفكـرون غربيـون يدعون الى الصراع مع الحضـارة الاسـلامية لان خطرهـا منـاظر للحظـر الشيوعى الذى إنهار . تعبيرا عن ذلك يدعو " فرانسوا فوكوياما "إلى ضـرورة الصراع مع الفاشية الاسلامية الرافضة للحداثة ، اى الرافضة للسـير فـى ذات طريق التطور الغربى . (٨٢) و يذهب فوكويامـا إلـي أعتبـار أن انتصـار الحضارة الغربية الرأسمالية يعني نهاية التاريخ ، حيـث لا ينبغـي أن تسـمح الحضارة الرأسمالية المنتصرة بظهور قوة جديدة تناوئها . لقد إعتبر فوكويامـا احداث سبتمبر ٢٠٠١ " حركة ارتجاعية عنيفة ويائسة ضد العالم الحـديث فهـو

صراع ضد الغاشية يعبر بها الاسلام من خلاله عن الاحباطات التـــي فرضـــها الغرب عليه . وهو ما يعني أن الصراع الذي يجب أن نخوضة هـــو صــــراع ضد الفاشية الاسلامية ، أى ضد العقيدة الاصولية غير المتسامحة و التى تقــف ضد الحداثة " و العلمانية . وعليه فان الحرب اوسع بكثير مــن الحــرب علـــى الإرهاب " انها ينبغى ان تستهدف الأصولية الإســـلامية التـــى تشـــكل الخلفيـــة لإطار أوسع من المظالم و أعمق بكثير ، و أكثر انفصالا عن الحقيقـــة مـــن أى مكان اخر. إرتباطا بذلك ستتقدم " مسيرة التاريخ العريضة" – وفـــق رؤيتـــه – بناء على نتيجة الحرب العسكرية فى أفغانستان و العراق التي سوف تسلم إلـــي إصلاح الإسلام من الخارج . غير أن " التطور الثانى والاهم ينبغـــي ان يـــاتى من داخل الإسلام نفسه . فعلى المجتمع الاسلامى ان يقرر ما إذا كان يريـــد ان يصل الى وضع سلمى مع الحداثة ، وخاصة فيما يتعلق بالمبدأ الاساسى حـــول الدولة العلمانية و التسامح الدين .(٨٣) وقد اكـــد صـــمويل هنتنجتـــون ذلـــك صراحة فى مؤلفه صدام الحضارات ، حيث ذهـــب إلـــى ضـــرورة ان تعمـــل الرأسمالية الغربية على تصـــفية او إخضـــاع الكيانـــات الحضـــارية الاخـــرى المرشحة قريبا للصراع معهـــا وابرزهـــا الحضـــارة الاســـلامية و الحضـــارة الكونفشيوسية الصينية ورأي أن الصراع مع الحضارة الاسلامية هو الصـــراع العاجل والفورى اما الصراع مع الحضارة الصينية فهو صراع مؤجـــل (٨٤). قد صاحب ذلك سعى القوى الراســـمالية و علـــى راســـها الولايـــات المتحـــدة الامريكية– لسوء نية لها جذور تاريخيـــة – إلـــى ادراك أن الصــــراع ثقـــافى بالاساس ، إرتباطا بذلك ظهرت اقلام وعقدت مؤتمرات و اجتماعـــات فكريـــة عديدة ضد ثقافة الجهاد و الاستشهاد التى تحرك طاقات الامة الاسلامية لتحرير أوطانها ومقدساتها من الاغتصاب الصهيونى والهيمنـــة الامريكيـــة والغربيـــة.

وضد الخطاب الاسلامى الذى يقدم منهجا شاملا للحياة ، و ذلك لتحويل الاسلام بالعلمانية الى "صيغة نصرانية تدع ما لقيصر للقيصر الامريكى ، مكتفيــة مــن الاسلام بالشعائر والطقوس و المناسك و العبادات" . (٨٥) وقد تم التعبير عــن هذه الحرب الثقافية التى ينتوى الغرب الراسمالى شنها على الاســلام صــراحة من خلال تشخيص أن " الحرب الحقيقية فى المنطقة الاسلامية هى حــرب فــى المدارس وليست في ميادين القتال . ولذلك يجب ان نفرغ بسرعة من الحمــلات العسكرية لنعود مسلحين بالكتب و الدبابات لتكوين جيل اسلامى جديد ، يقبــل سياستنا كما يحب شطائرنا . ان مشكلة امريكا هى مع المــدارس الاســلامية ، التى لا تعلم التسامح مع امريكــا و اســرائيل ، ففــي هــذه المــدارس تكمــن الايدولوجية التى هى الان اخطر على أمريكا من شيوعية الاتحاد الســوفيتى .. إن الدين الاسلامى دين عنف .. والنظام الاخلاقى الذى يســتند اليــه الاســلام مختلف عما هو فى الحضارة اليهودية المسيحية" فى الغــرب" التــي عليهــا أن تخوض الصراع ضد البربرية " فى الشرق ". وعلي ذلك فإن علي الغــرب أن يواصل تعميم حضارته، و فرض نفسه على الشعوب ، وانه لا حل مع الــدول العربية والإسلامية الا ان تفرض عليها أمريكا القيم والنظم والسياســات التــى تراها ضرورية . فالشعارات التى أعلنتها أمريكا عند استقلالها لا تنتهــى عنــد الحدود الأمريكية، بل تتعداها الى الدول الأخرى.(٨٦) ان المعركــة الحقيقيــة هى ضد الأصوليين الإسلاميين الذين يرفضون القيم الغربية والحداثــة الغربيــة والعلمانية الغربية ، ويرفضون ذلك المبدأ المسيحي الذى يؤكد على فصل الدين عن الدولة ، و هذا هو التحدى الايدولوجى الذى هو فى بعــض جوانبــه اكثــر أساسية من الخطر الذى شكلته الشيوعية . واذا كانت الحــرب علــى الاســلام ضروريه ، فان حربا داخل الاسلام هى الأكثر ضرورة لتحويلــه الــى اســلام

حداثى ليبرالى علمانى . ولتحقيق الهدف من هذه الحرب داخل العالم الإســلامي فإنه من الضروري العمل علي تحويل التعليم الاسلامى و الخطــاب الاســلامى باتجاه تبنى الحداثة الغربية . في هذا الإطار فإنه من الضروري العمــل علـــي احكام السيطرة على المدارس الدينية ، وأعداد أئمة أو دعاة مستنيرين للمســاجد لترويج أفكار الغرب ، وغرس الذهنية الغربية فى الجيل الجديد وإعادة صــياغة توجهاته بإتجاه الصراع العربي الاسرائيلى ، ويلخــص هــذا الموقــف رؤيتــه للإسلام بقولــه " ان الاســلام ديــن الإرهــاب ، وهــو ديــن شــرير"(٨٧).

وفى إعقاب إعلان " الحرب على الإسلام " وخطابه الديني المقاوم للهيمنــة الأمريكية وللعنصرية الصهيونية ، توالت على كثير مــن الــبلاد الإســلامية " الطلبات " و " الضغوط " و " الأوامر " الأمريكية لإحداث تجديد فـــى الخطــاب الإسلامي مستندة فى ذلك الى عدة آليات . وتتمثل الآلية الأولى فـــى الضــغوط بالتجاه تغيير مناهج ومواد التعليم الدينى واختزال ساعات تدريس هذا التعلــيم والوقوف به عند الشعائر والعبادات ، دون شئون السياســة والحكــم والمــال و حقوق الشعوب فى تقرير المصير ، مع حذف ثقافة الجهاد والفداء والاستشــهاد من التاريخ الاسلامى والخطاب الاسلامى جميعا .(٨٨) بحيث تتقلص مســاحة الفاعلية الإسلامية فتتآكل الطاقة التحريرية للإسلام ، وهـــى الطاقــة التـــي وان لعبت فى العصر الاسلامى الأول دورا هاما فى رســم حــدود الإمبراطوريــة الإسلامية ، فإنها استمرت فى العصر الحديث لكي تلعب دورا هاما فى تحريــر الشعوب الإسلامية من سيطرة الاستعمار (٨٩) . فــإذا نزعــت هــذه الطاقــة التحريرية من بنية الإسلام كدين وعقيدة وفكر ، فسوف يصبح من السهل إعادة الســـيطرة علـــــى الأمــــة الإســـلامية و اســـتغلال مقــــدراتها . وتتحدد الآلية الثانية فى العمل على تقليص فاعلية المرجعيــة الإســلامية مــن

طريق الصناعة الإعلانية لنوع جديد من الخطـاب الاسـلامى ، عـن طريـق صناعة وعاظ أو دعاة جدد تكون لهم جاذبية جماهيرية ، غيـر متفقهـين فـى الدين بما يكفى للإفتاء ، وان استعانوا فى خطابهم بالعلوم الإنسانية الغربية فـى التفسير تحت قناعة إدعاء أنهم يفسرون حقائق القرآن تضافرا مع حقائق العلـم التى تتطابق مع حقائق القرآن . وهكذا يتزايد المكون العلمـي فـى الخطـاب الديني الاسلامى على المكون الديني، حتى يتاكل وجود الخطاب الأخير. تاكيـدا لذلك عدد الدعاة الجدد الذين بداوا يظهرون على ساحة الخطابـة الإسـلامية ، شباب صغار يسافرون الى الخارج لفترة لا نعرف أين يذهبون ولا ماذا يحـدث لهم هناك ، و يعودوا لكى يخاطبوا الشـباب بخطـاب دينـي يؤججـون بـه مشاعرهم وعواطفهم ، ويقدمون إثناء ذلك تفسيرات مغلوطة وأحيانـا خارجـة عن حدود الدين وأحيانا ثالثة تقلص المكون الديني في الخطاب ، و تساهم فـى النهاية فى تفكيك بناء الخطاب الاسلامي . ومازال الأزهر الشريف لـم يتخـذ موقفا من هذه الظاهرة إما بسبب عدم الوعي بنتائجها وتلك مصيبة ، أو الوعي بها والصمت عليها وحينئذ تكون المصيبة أعظم ، خاصة انها ظاهرة أصـبحت كثيفـة الوقـوع فـى مصـر بلـد الأزهـر الشـريف .

وتتصل الآلية الثالثة فى للتجديد المفروض للخطاب الديني فى الاعتمـاد علـى النخبة العلمانية المثقفة التى لديها ولع بالعلمانية الغربيـة فـي مقابـل رفـض تراثها . هذه الصفوة يقول الكاتب الجزائرى " الطاهر وطار " فـي رده علـى دعوة وزارة الثقافة المصرى له لحضور مـؤتمر عـن " الخطـاب الثقـافي " بالقاهرة ، حيث يخاطب الوزير قائلا " محاوركم يا معالى الـوزير تـدور فـى مجملها حول كيفية تفعيل الثقافة العربية فى زمن العولمة مع توجه واضح الـى الانسياق فى الفلك الامريكى والتوجهات الثقافية التى ترغب الولايـات المتحـدة

فى فرضها على المنطقة العربية والاسلامية . خاصة ما يتعلــق منهــا بتغييــر المناهج التعليمية وإعادة النظر فى رؤية الانظمة الاعلامية للغــرب عمومــا و الولايات المتحدة خصوصا . كما يبدو واضحا النزوع الى تيار الثقافة الكونيــة و المتوسطية ، و هو ما يعنى مباشرة اعــادة النظــر فــى الصــراع العربــى الاسرائيلى ، و الانخراط فى سياق الســلام الــوهمى و التطبيــع مــع الكيــان الصهيونى" ومن الجدير بالذكر مقاطعة عدد من المثقفين المؤتمر ، بل أن ســتة منهم*اصدروا بيانا يعلنون فيه مقاطعتهم له نظرا لأنه يوحى بوجود يد امريكية هى التى و ضعت محاوره. (٩٠) ويصف هذا التطبيع مفكر اسلامى اخر بقوله " وعقب صدور الطلبات و الضغوط الامريكية بتغيير الخطاب الــدينى ، جــاء دور العلماء الحضاريين من ابنائنا ، الذين يسمون باسمائنا و يتكلمون لغتنــا و الذين يمول الغرب علنا دكاكينهم التى يسمونها " منظمات المجتمــع المــدنى " ليصبحوا " صوت سيدهم " . ليتحولوا بقدرة الدولارات المريكية الى أجراء لتجديد الخطاب الدينى ، وهم الذين لم يعرف واحد منهم التخصص فــى العلوم الانسانية . " لقد تجاهل هؤلاء العلمانيون قضايا الامــة الرئيســية فــى تحرير المقدسات ومقاومة الهيمنة الامريكية الامبرياليــة و الفريضــة الغائبــة المتعلقة بالعدل الاجتماعى ، والتشرذم القطرى لعــالم الاســلام و المســلمين . تجاهل هؤلاء كل قضايا الامة و شرعوا فى التركيز على الافتاء العلمانى فــى مفهومهم الامريكــى لتجديــد الخطــاب الــدينى للاســلام و المســلمين "(٩١) وتؤكد الالية الرابعة على ضرورة العمل باتجاه تفكيك روابط الشــباب بدينــه ، عن طريق العمل على توسيع المساحة الغريزية فى بناء الشخصية الشــابة مــن خلال الاعلام وتكنولوجيا المعلومات، بحيث تعمل هذه الآليات باتجاه تقلــيص

القيم والمبادئ الدينية الطاهرة بالمقابل . تاكيدا لذلك المشـورة المـدمرة التـي أوصـى بهـا رئيس الـوزراء الاسرائيـلى السـابق "بنيامين نتنياهو"

---

*هؤلاء السته هم الأساتذة جمال الغيطاني ، وعبد العظيم أنيس ، محمد البساطي ، رضـوي عاشـور ، صنع الله إبراهيم ، طارق البشري .

الإدارة الأمريكية بضرورة ان تدعم قناة " فوكس" الأمريكية ، وهى القناة التـي تقدم الأفلام الجنسية الإباحية للشباب الايرانى والإسلامي ، لانهـا القنـاة التـي بواسطتها تستطيع تقويض أسس المجتمع الايراني المسلم (٩٢) ، ومـع أنقعـاد موتمر السكان عام ١٩٩٤ صاغ المجتمع الغربي و"مفاهيمه الانحلالية الداعيـة الى تجريم وتحريم الزواج المبكر وجعل الزنا المبكر بديلا عن الزواج المبكـر ، وجعل النشاط الجنسي حقا من حقوق الجسد حتى للمراهقين و المراهقـات" . ومن المثير للدهشة والريبة في ذات الوقت أنه بـرغم ان منظمـات المجتمـع المدن قامت بفضح ختان الإناث فى العالم الاسلامى حتى صورت افلام يراهـا العالم ويتفرج عليها ، إلا أن هذه المنظمات أصابها الصمت و الخرس امام ٦٠ ألف أمرآة بوسنية مسلمة تم اغتصابهن فى معسكرات المنظمة الدوليـة، و لـم نسمع صوتا لمنظمة واحدة تتحدث عن هذا العنف البربرى مـن قبـل الـدول المتقدمة التى تدعى الدفاع عن حرية و حقوق المرأة . وحينما حاكمـت مصـر ٥٣ شابا بتهمة الشذوذ الجنسى طلب الكونجرس الامريكى والبرلمان الالمـانى قطع المعونة عن مصر وقامت مظاهرات فى باريس شارك فيها العـرب مـن الشاذين والمؤيدين لهم ، و قد شارك معهم مجموعة مـن المثقفـين العـرب ، يتظاهرون ضد مصر التى تحاكم الشواذ و تدافع عن العروبة والاسـلام ضـد

الفساد . (٩٣) وهو ما يعنى نشر منظومة قيمية تصبح مرجعية للبشر في دار الاسلام ، بحيث تعمل هذه المنظومة – كما هو مستهدف – فى إتجاه ان تحل محل القيم و المبادئ الاسلامية النقية والطاهرة ، خاصة ان هذه المنظومة تدعمها الطاقة الغريزية للشباب التي يتم تأجيجها بالأساليب المتنوعة لتكنولوجيا الاعلام الغربى .

وتشير الالية الخامسة الى الضغط على الحكام فى الانظمة السياسية العربية والاسلامية ، باسم شعارات الاصلاح السياسى و ضرورة التحول الديموقراطى . فى هذا الاطار فان العالم باجمعه يدرك ان الولايات المتحدة كانت على تحالف تاريخى دائم مع النظم الدكتاتورية ، ومن ثم فهي ليست نصيرا حقيقيا للحرية والديموقراطية فى العالم العالم العربى والاسلامى. ثم ان النظم فى المجتمعات العربية الاسلامية فى غالبها نظم معادية للديموقراطية و الحرية ،لانها نظم غير شرعية لا تستند الى ارادة الشعوب ولكنها تعتمد علي دعم القوي الخارجية المستغلة لمجتمعاتها . و بذلك فانه حينما ترفع امريكا شعار الحريه و الديموقراطية إنما تستخدمها كآلية لابتزاز النظم السياسية لدفعها فى اتجاه مزيد من الخضوع (٩٤) للحصول علي الثروات العربية والاسلامية دون إحتجاج من قبل هذه النظم ، ولدفعها الى تعديل دينها الذى يشكل قاعدة هويتها . ذلك يفسر هرولة المجتمعات الاسلامية نحو إصدار القوانين التى تحاصر التعليم الدينى والخطاب الدينى . بل ومراجعة المقررات الدراسية بخاصة الدينية . وفى ظل ظروف الخوف فاننا نحن الذين ننزع اظافرنا بايدينا ونبدد طاقة المقاومة من فضائنا ، و نكسر سيوفنا لانها اصبحت فى رأينا عبثا لا تحتمله مذلتنا في هذا العصر .

وتتصل الالية **السادسة** بتقديم النموذج الاسلامى الذى يريــده الغــرب، وهو نموذج الاسلام التركى الذى أسسه كمال اتــاتورك " الــذى أجبــر تركيــا باصرار شديد على ان تهجر ماضيها الاسلامى لتلبس معطفا و قلنسوة غربية". الامر الذى وقف بالاسلام و خطابه فيهــذا المجتمــع عنــد مســتوى الشــعائر والعبادات و المحاريب و القلوب . فيكون دينا علمانيا " يقبل بفصل الدين عــن الدولة . وقد ألح المسئولون الامريكيون نذكر منهم " بوش ، باول ودولــوفتيز " على هذا النموذج بوصفه النموذج الذى يلبى طموحات العالم الاسلامى و يلبى طموحاتهم قبل ذلك بالأساس، لان هذا النموذج يدعو العالم القــديم الــى قبــول العالم الجديد . وعلى هذا النحو تقدم تركيــا صــورة مقنعــه بعــدم ضــرورة التضحية بالمعتقدات الدينية لصالح مؤسسات ديموقراطية علمانية حديثة بتعبيــر وولفتيز ولكن بمحاولة ملاءمة الأولي لاحتياجات الأخيرة. وقد تم التعبير عــن هذه الصيغة للاسلام الحداثى فى اطار الاهتمام بــالامن القــومى و المصــلحة الامريكية بتعبيرات مختلفة " كالاسلام الليبرالى " او " العلمانية المؤمنــة " او " الاسلام العلمانى " او " الاسلام المعتدل ". (٩٥) هذا النمــوذج التركــي يــراه الغرب النموذج الوحيد الصالح لنقل المجتمعات الاسلامية مــن التخلــف الــى الحداثه ، وإدماجها فى العولمة أو النظام العالمى الجديد ، وانقاذها بالطبع مــن التطرف والارهاب . وقد بدات الحكومة التركية ومعها دوائر امريكيــة تــروج بالفعل لنقل هذه التجربة العلمانية الى افغانستان و باكستان . فى هــذا الســياق ايضا طرحت التجربة التونسية ، التى قادها التونسيون المتفرنسين والتى شكلت – كما يدعى – اسلاما عصــريا علمانيــا (٩٦) لا يعكــس الــروح الحقيقيــه للاسلام . ذلك يعنى ان الطرف الخارجى فى الجدل الدائر حول تجديد الخطاب الاسلامى يستهدف اجراء تعديلات فى الخطاب الاسلامى يجعلــه يتخلــى مــن

ناحية عن روح المقاومة والجهاد ، ويقصله من ناحية ثانية الى حدود الطقـوس و العبادات المشكله للضمائر الفردية ، حتي لا يصبح للاسلام اهتمـام بالشـان العام ، و من ناحية ثالثة تدفع به – حسب النموذج التركى _ باتجـاه التحـديث الغربى و منظومة القيم العلمانية بالمعنى الغربى ، حتى يتساقط الاسلام أشـلاء فى النهاية .

ويتشكل الموقف **الثانى** فى الجدل المتعلق بقضـية الظـروف الخارجيـة الضاغطة باتجاه تجديد الخطاب الدينى من الصفوة الاسلامية، التى تدرك بدايـة أن التفاوت بين الغرب والمسلمين فجر الحاجة الى التجديد . فالمقارنـات التـى قام بها رواد النهضة والمصلحون الاوائل بين الحالة التى آلت اليهـا أوضـاع الامة الاسلامية و بين التفوق الغربى فى جميع المجالات جعلتهم يوقنـون بـان الثقافة الاسلامية بعلومها ومناهجها ومقولاتها قد أصبحت تتحرك خارج التاريخ المعاش . كما أعتقدوا ايضا بان النهوض بأحوال أى أمة من الأمـم لا يكـون بقطعها عن جذورها الثقافية ومطالبتها بالتخلى عن موروثها ومعتقداتها الدينية، وإنما بمراجعة مخزونها الثقافى وإعادة تأويله حسب حاجات المرحلة التاريخيـة دون الاخلال بمبادئ المرجعية الدينية ، بحيث يساعد ذللك فى النهاية على حـل مشكلاتنا وأيضا على تأكيد الحيوية الذاتية التى يتميز بها الاسلام. (٩٧) يؤكـد هذا الموقف أيضا علي أننا اذا كنا نحتاج الى تجديد ثقافتنا وعقولنا مـن خـلال إعادة قراءة مضامين نصوصنا ، فان ذلك لن يضيرنا اذا كانت حركتنا للتجديـد قد تزامنت مع الدعوات الامريكية من إجل التجديد ، فان ذلك لا يعد خضـوعا لضغوطها (٩٨) بل ادراكا لمتطلبات احوالنا و كذلك الوفـاء بالتزاماتنـا نحـو دينا ومجتمعاتنا.

ذلك يعنى ان خطابات التطوير و الاصـــلاح و التجديـــد الـــدينى فـــى اطارها الشامل ، هى أقدم وأرسخ وأقدم عمقا فى تاريخنا الثقـــافىو السياســـى من خطابات الكونجرس و الاتباع العلمانيين المحليين . ذلـــك يعنـــى أيضـــا أن خطابات و مشروعات التجديد الدينى داخل بنيـــات الفكـــر الـــدينى الاســـلامى والمسيحى ليست بدعة و لاحدثا عارضا وانما بدات مبكرة فى القـــرن الثالـــث الهجرى . ان تاريخنا التجديدى والاصلاحى ولحظات تألقه وازدهاره كانـــت و لا تزال تعبيرا عن إحتياج فقهى و روحى و مجتمعى و تاريخى تولد بالأســـاس من داخل البنيات الداخلية ، ولم يكن محض تعبيـــر عـــن ضـــغوط ومطالـــب خارجية . وإذا حدث احيانا فقد كان استجابة لنمطين من المتطلبات و المؤثرات الداخلية و الخارجية علي السواء. و فيما يتعلق بالأخيرة لم يجد أكابر الفقهـــاء و المجددين حرجا فى التصدى لها بالابداع الفقهى الاصيل و المتجدد ، و لـــيس بالانصياع او المجاراة لسلطة المتغلب الاستعمارى او الامبيريالي او اتباعـــه. (٩٩) واذا كان التجديد مشروع التجديد ثابت و مستمر فى بناء ديننا الحنيـــف ، فاننا نجد ان الدعوة الحالية الى التجديد تكتنفها احيانا مخاطر عديدة .

ويتمثل اول هذه المخاطر فى التحركات المريبة التى تقطعهـــا الـــدوائر الغربية فى إتجاه الضغط نحو " اصـــلاح " الاســـلام ، و اســـتخدامهم اســـاليب متنوعة لتحقيق هذا الهدف . تاكيدا لذلك فقد طرحت الدوائر الغربيـــة تصـــورا يذهب الى ان " عناصر من ذوى الاصول الاسلامية الذين هاجروا الى الغـــرب و اندمجواو ذابوا فى مجتمعاته و استوعبوا منظومته القيمية وأبنيته الفكرية هـــم الاولى بان يكونوا من خلال كتاباتهم و ممارساتهم النموذج الذى ينبغى نقله الى المجتمعات الاسلامية ليحتذى و يقلد. على زعم ان هؤلاء قد خرجوا من خـــلال وضعهم الفريد هذا بصيغة عصرية حديثة متطورة عن الاسلام صالحة للعـــيش

والتأقلم مع المجتمع الحديث . وفى تطور مواز اخذ الاعلام الغربى " يكتشف " ان هناك داخل و خارج المجتمعات الاسلامية مفكرين و كتاب كذلك، اصحاب باع فى تطوير واصلاح وتجديد وتغيير وتحديث الاسلام . وأنه يجب على الدول الغربية ان تشجعهم وترفع من شانهم بالتلميع الاعلامى تارة والدعم المالى والسياسى تارة أخري، حتى يمكن نشر أفكارهم في نطاق الاوضاع الدينية و الاجتماعية و الفكرية فى المجتمعات الاسلامية.(١٠٠) بحيث يؤدي ذلك إلي احداث تغيير جذرى حاسم فى البنية الفكرية العامة للاسلام عقيدة و شريعة و قيما و ممارسة، تؤدى فى النهاية الى ثنائية العلمنة و التغريب ، بحيث يخرج الاسلام من هذه العملية مسخا مطوعا للتآلف و الانضواء تحت منظومة العالم الغربى فاقدا لتميزه و تفرده و مفرغا من مضمونه الحقيقى .

ويتحدد الحظر الثانى في عملية التجديد التى فرضتها ظروف او ضغوط خارجية فى تشكل مفاجئ يجمع فى سلته غلاة العلمانيين واللادينيين المتغربين الذين لم يعهد عنهم أدني اهتمام او انشغال بالهم أو الفكر الاسلامى ، بإستثناء الهجوم الدائم على الاسلام . حيث أصبحوا فى ظل الضغوط الخارجية هم الاعلى صوتا و الاكثر نشاطا فى الدعوة. و هم الذراع الداخلى للتحرك الخارجى. (١٠١) هم دائما الذين يدعون الى مؤتمرات الغرب للتشاور حول الخطط المرحلية لتشويه الاسلام ، و لا مانع من رفع شعارات ذات طبيعة شفافة كحوار الحضارات أو حوار الثقافات أو العلمانية أو حتى تجديد الخطاب الدينى . و اذا كان الغرب يضغط ببعض المثقفين العرب و المسلمين الذين تربوا فى دياره على الاسلام من اعلى ، فانه يضغط بالصفوة العلمانية المفتونة به و التى تتحدث عن الاستنارة على الاسلام من أسفل ، وضع اشبه

ما يكون بمحاولة حشر الاسلام بين مطرقة مثقفية المسـلمين المتغـربين مـن الخارج وسندان مثقفية المسلمين العلمانيين من الداخل .

ويتصل الخطر الثالث على عملية التجديد – كما يرى اصحاب هـذا الموقف – بالمقاومة الشرسة التى يبديها أصحاب المؤسسات الدينية المحافظـة الذين و جدوا فى تحالفهم مع السلطات التسلطية و الأبوية السياسـية الحاكمـة فرصه تاريخية لخنق و استبعاد المجددين و رفض أيـه محـاولات اصـلاحية لمؤسسات و تعليم و انتاج الخطابات الدينية (١٠٢) المتطورة و المتلائمة مع

الواقع الجديد . على هذا النحو نجد ان هذا التحالف يعارض التجديد لانه سوف يفضح كسل المؤسسة الدينية التقليدية المحافظة التي عجزت عن تطوير قـراءة متجددة للنصوص الدينية لاستخراج الاحكام التى تواكب تطور الواقع . وذلـك لان رفض التجديد سوف يساعد على ترسيخ التخلف و بقـاء الاوضـاع علـى ماهى عليه ، و هى اوضاع ملائمة للحفاظ على بقائها و استمرارها .

فى مواجهة هذا الموقف التى تبنته النخبـة الاسـلامية فـى مواجهـه الضغوط الخارجية من اجل تجديد تجديد الخطاب الدينى ، يبرز موقـف ثالـث يتشكل من النخبة العلمانية التى حاولت تأمل التجديد بـالنظر الـى الظـروف الخارجية التى فرضته . يتبنى هذا الموقف ذات الرؤية الغربية المتحيزة ، التى تتخذ من سلوكيات بعض الجماعات التى تطرفت بالاسلام فخرجت عنـه تكـأة للنيل من الاسلام كانما الاسلام هو ديـن التطـرف ولـيس ديـن الوسـطية و الاعتدال و التسامح و الرحمة التي هى طبيعته . يعبر أحد أشاوس هذا الموقف

عن ذلك قائلا " لقد تازمت علاقتنا بالعالم حتى وصلت الأزمة الى ذروتها ، فالمسلمون يدمرون تماثيل بوذا فى افغانستان و يذبحون السياح الاجانب في الاقصر ، و يميزون انفسهم عن الاخرين و يرفضون الاندماج فى المجتمعات الاوربية ، و يعتدون على معابد اليهود فى تونس و يقتلون مئات الاستراليين فى بالى ، و يفجرون مساكن الامريكان في الرياض و يشنون الهجمات الانتحارية فى نيويورك و واشنطن فيزهقون الآف الارواح البريئة ، ثم يعلنون على العالم أنهم يفعلون ذلك باسم الاسلام، جهادا فى سبيل الله و إعلاء لكلمته*. ومن الطبيعى ان يكون رد الفعل عنيفا عنف الفعل ، وأن يتمثل فيما يتعرض له المسلمون و مازالوا يتعرضون له فى انحاء العالم من مقاطعة وتمييز تعددت صوره . فالمسلمون يراقبون في مختلف انحاء العالم، ويطاردون ويعتدى على اشخاصهم و مساكنهم و مساجدهم في الولايات المتحدة، وهناك مفكرون غربيون يبشرون بصراع الحضارات ، ويتنباون بحرب عالمية تشتعل بين المسلمين و الغرب . وها هى حكومة الولايات المتحدة تمتثل لهذه النبوءة وتشن الحرب علي أفغانستان والعراق وتهدد بشنها علي بلاد أخري .

لابد اذا من مواجهة هذه الأزمة ، ومن الضروري إعادة النظر في خطابنا الديني الذي أوقفنا من العالم موقف الخصومة والعداء ، وبرر للقوي الاستعمارية والتيارات العنصرية في أوربا وأمريكا وإسرائيل أن تعلن الحرب علينا ، وأن تستخدم فيها ما يباح ولا يباح . وبوسعنا أن نبحث عن مواقع الصدام بيننا وبين الحضارة الحديثة لنجدها تتمحور حول الحكومة الدينية ، وتطبيق الشريعة أو إقامة الحدود ، حقوق الانسان ووضع الأقليات الدينية في المجتمعات الاسلامية ، ووضع المراة المسلمة ، وعلاقة المسلمين

*نسى اصحاب هذا الموقف المشوه و الذى يفتقد الكبرياء الانساني والوطني ما حدث لنساء البوسنة و الهرسك من إغتصاب جماعي او المقابر الجماعية للمسلمين هناك ، تناسوا ما حدث فى افغانستان و العراق و يتفرجون كل يوم – بلا حساسية و لا الم – على مايحدث لاهل فلسطين ، و من المدهش بعد ذلك ان يتحدثوا عن ارواح الاخرين ، كان ارواح اهاليهم رخيصة وكأن تماثيل بوذا أغلي بكثير من عذرية وشرف نساء المسلمين .

بالمجتمعات الأخري ، بوسعنا أن نجمل هذا كله في مسألة واحدة جامعة هي العلمانية وفصل الدين عن الدولة .(١٠٣) ما سبق يوضح إذن العدائية للاسلام، وأيضا عجز هذا الموقف عن التفرقة بين الجماعات التي تطرفت للإسلام حتي خرجت منه * والجماعات تقاوم من الحفاظ علي الأرض والكرامة العربية وهو في ذلك يتبني الرؤية الغربية المتشدده والتي تتهم الإسلام ، والتي تعد سابقة مرفوضة للتوحيد بين الجماعات المتطرفة والاسلام .إضافة إلي أنه موقف يدعي التفقة في الدين دون أن يكون لديه الرصيد الفكري الذي يؤهله للحديث في أمور الدين . علي هذا الموقف نستدعي شطر بيت شعر قاله الشاعر العربي أبو الطيب المتنبي "يا أمة ضحكت من جهلها الأمم" .

رابعا : تجديد الخطاب الديني ، شروطه ومنهجه .

تجديد الخطاب الديني يقع في نطاق سياق إجتماعي ولا يقع في فراغ. وحتي يتحقق الهدف من التجديد بما يلائم أوضاع المجتمع فإنه من الضروري

*أثناء توزيع سيدنا محمد "صلي الله علية وسلم" للغنائم في أعقاب إحدي الغزوات قال له أعرابي "أعدل يامحمد" فرد عليه الرسول "صلي الله عليه وسلم" " أن لم أعدل أنا فمن يعدل" فقال سيدنا عمر وقد كان بالموقف" "أأضرب عنقة يا رسول الله ، فأجابه النبي قائلاً "إتركه ، فسوف يكون له قوم يتفقهون في الدين فيتطرفون به ، فيخرجون منه كما تخرج السهم من الرمية "

أن يعطي إعتباراً لبعدين ، حيث يتمثل البعد الاول في ضرورة مراعاة بعض المعايير أو الشروط حتي لا ينحرف التجديد عن الهدف المرجو منه . أي حتي لا يضر بمضمون الخطاب فيعجزة عن التلاءم مع أوضاع الواقع المتجددة . كما أنه ينبغي أن يستجيب لا حتياجات المجتمع الذي يهدف الخطاب الي تطوير طاقاته وفاعليتة ، بينما يتحدد البعد الثاني بمنهج التجديد بحيث لا يؤدي التجديد الي تبديد مضمون الخطاب . حيث

يؤدي الاهتمام بهذه الابعاد الي الوصول إلي الخطاب الديني المجدد والمحقق لأهدافه وغايته وهو ما نعرض له فيما يلي :

١ – **شروط تجديد الخطاب الديني :** تجديد الخطاب الديني لا ينبغي أن يتحقق بصورة عشوائية ، لأن المساس أو العبث به يعد عبثاً بأساس المجتمع وقاعدة ثقافتة . لذلك أصبح من الطبيعي أن تعمل المواقف المختلفة المهتمة بتجديد الخطاب الديني علي تطوير مجموعة من الشروط التي تري ضرورة أن تراعي في جهود تجديد الخطاب الديني .ويمكن تقسيم هذه الشروط إلي نوعين ، الأول تلك الشروط المتعلقة بالسياق الاجتماعي

لتجديد الخطاب الديني ، ويتعلق النمط الثاني بالشروط ذات الصلة بالتعامل مع مضمون الخطاب الديني .

أ – التجديد كإستجابة للسياق الاجتماعي المتغير : فيما يتعلق بضرورة أن يراعي تجديد الخطاب الدين التوازن بين الحفاظ علي مرجعيته وبين طبيعة إحتياجات السياق الاجتماعي المحيط ، يشيرتأمل المواقف في هذا الصدد الي بروز ثلاثة مواقف متباينة حول إشتراط ضرورة أن يكون هناك تلاؤم بين المرجعية التي يعبر عنها الخطاب ، وبين إحتياجات المجتمع المتغيرة والمتزايدة من النص . وهو ما يعني أن هذا التباين يدور بالأساس حول طبيعة العلاقة بين تجديد الخطاب الديني والسياق الاجتماعي كأحد الشروط الأساسية التي ينبغي أن تراعي في عملية التجديد . يتميز الموقف الأول بأن له توجهاته الدينية البارزة ، ويتساءل بداية ما الحاجة إذن الي نص مقدس أصلاً ما دامت القضية برمتها مرهونه بالوقائع المتغيرة ، وبذبذباتها التي لا تكف عن التسارع ؟ أن النصوص المقدسة في الاسلام وفي كل الاديان هي التي تضبط مسار الوقائع المتغيرة وتقنن حركتها المتدفقة ، وهذه وظيفة الدين . علي خلاف ذلك يريد المبددون أن يعكسوا طرفي المعادلة ، فالنص عندهم يعاد النظر فيه تبعا لحركة الواقع ، متجاهلين أن النص تنزيل إلاهي ثابت دائم ، وفي هذا الثبات وتلك الديمومة ما يحول بين البشر وبين إهتزاز المعايير ، وإضطراب الموازين وإختلال المقاييس . واذا كان المطالبون بذلك قد تحدثوا عن تطويع النص للواقع والمكان فإنهم قد تحدثوا أيضا عن الاسلام والزمان بإعتبار أن الزمان أحد إحداثيات الواقع . إرتباطا بذلك نجدهم يؤكدون أنه نظراً لأن القرآن والسنة صالحان لكل زمان ومكان ، فإن ذلك يقتل إحساسنا بالزمن،

وأن ما حدث قبل ألف عام يمكن أن يتكرر . يرد هذا الموقف – صاحب التوجهات الدينية – علي ذلك بأن المبادئ والأسس والمعايير لا تقاس بتقادم عهدها ولا بتغير مكانها ولا بمدي أخلاقيتها وخيريتها التي قد تحدث في الواقع ، فغالبية الفضائل قديمة العهد ، ولايفسدها كرالعصور ومرالدهور ولا يحولها إلي رزائل لأنها عبارة عن مباءئ وتوجيهات عامة . ولنلاحظ أننا نتحدث عن نصوص الوحي التي أنزلت لتكون هدي للناس جميعا بأزمنتهم جميعا وبأمكنتهم جميعاً ومن البديهي أن تكون تعاليمها ذات المصدر الالاهي متسقة مع الجوانب الثابتة في الطبيعة البشرية، أعني الجوانب القاعدية ، تعالجها بعلاج ثابت ، ومتسق في الآن نفسه مع الجوانب المتبدلة في الطبيعة البشرية، التي تعالجها بعلاج متغير كذلك .(١٠٤) يري هذا الموقف أيضا أن النص مقدس لا ينبغي المساس به ، ففية حالات الواقع المتغيرة مضمنة أو كامنة في البناء الثابت للنص لأن هذا النص إلاهي وكلي الأبعاد ، وما علينا إلا البحث في مخزونه نستكشف من علي ساحته ما يلائم الواقع المتغير .

ويتمثل الموقف الثاني الذي يري في أحتياجات السياق الاجتماعي أحد الشروط التي تفرض ضرورة التجديد ، هذا الموقف الوسط يري أن الحقيقة تدرك بنوع من المصالحة بين الواقع والنص علي قاعدة التوازن بين الطرفين ، لأنهما معاً صادران عن جذر واحد . يري هذا الموقف أيضا ضرورة تطوير الواقع المتماسك بما يلائم مضمون النص الديني . كما يذهب هذا الموقف الي أن قضية تجديد الخطاب الديني زادت حدتها في عصر العولمة التي تدعوا إلي التجانس، وسقوط الحدود بين الدول وانتصار النزعة الانسانية والدعوة الي حضارة انسانية واحدة يصبح للبشر

في أطارها حقوقاً انسانية واحدة بغـض النظـر عـن انتمـاءاتهم الدينيـة والثقافية . هذا الموقف يؤكد علي أهمية قبول الآخر بغـض النظـر عـن انتماءاته ، وهو ما يعني القضاء علي التعصب ، حتي يتطابق واقعنـا مـع النص الديني ، "فالناس سواسية كأنسان المشـط" ولا"تفرقـه بـين عربـي وعجمي عجمي الا بالتقوي". (١٠٥) يذهب هذا الموقف أيضا الي ضرورة أن يستهدف الخطاب الديني المتجدد تأكيد وحدة المجتمع وذلك مـن خـلال الاعتراف بأن الخلافات أمر وارد بين المسلمين والمسيحيين وأن لكل ديانه خصوصيتها، وعلي الآخرين إحترام هذه الخصوصيات فالاديان كلها فروع نبتت عن شجرة واحدة فالمسيحية تقول "المجـد لله فـي الأعـالي وعلـي الأرض السلام وبالناس المسرة" ، والاسلام يقول "وأن جنحوا للسلم فـأجنح لها" .في هذا الاطار تتمثل مسئولية الجميع ، المسلمين والمسـيحيين علـي السواء في العمل علي تطوير خطاب ديني علي الجانبين نستبعد في اطارة المتعصبين من حياتنا أو يستدمحهم في مجراها الرئيسي، ونفسـح المجـال أمام المعتدلين لأن المحبة تبني الحياة الحلوة والتعصب يأتي علي الأخضـر واليابس في حياتنا. (١٠٦) ذلك يعني أن هذا الموقف يـري أن الخطـاب الديني المجدد ذو الأصل الإلاهي فعال في قدرته علـي تنظـيم الواقـع ذو الطبيعة الانسانية بما يخلصه من شروره وإنقساماته. إرتباطا بـذلك يـري هذا الموقف أن الخطاب الديني بمرجعيته له قانونه الخاص فـي تطـوره ، ولا يرتبط بتطور اجتماعي أو حالة إجتماعية وأن الواقـع فـي إسـتقرارة وتغيره خاضع لحالة الخطاب الاسلامي ، الأمـر الـذي يعنـي أن تجديـد الخطاب سوف يشـكل طاقـة متجـددة تتـولي تغييـر الواقـع وإعـادة تجديده .(١٠٧)

علي خلاف ذلك نجد الموقف الثالث العلماني في طبيعتــه، والــرافض للإلتزام الديني في فلسفته .يقلب هذا الموقف معادلة الحــوار رأســا علـــي عقب ، حيث يري أن شرارة التجديد تنطلق من أحتياجات الواقــع بإتجــاه نصوص الخطاب ذاتها . يري هذا الموقف أن تأسيس مجتمــع الثقــة يعــد شرطا ضروريا لتجديد الخطاب الديني . فمجتمعات الثقة هـــي المجتمعــات التي تشكل الحرية الفكرية عمادها ، هي مجتمعات قادرة علـــي التحصـــين ضد التجمد والتحلل في وقت واحد . ينظر هذا الموقف إلـــي أن الاجمــاع القائم يعد سكونا قد يسلم الي الموت أو الكسل ، وأن خرق الاجماع فـــي أي مجال يكون عادة بداية لتأسيس إجماع جديد . وذلك يشكل جوهر التقــدم إن شئنا أن نتقدم . أليس معني هذا أن الفكرة التي تكون كــافرة محرمــة فـــي وقت ما تصبح هي حاضنة التطور والتغير في وقت آخر ؟ اليس هذا هــو معني الصيرورة، التطور من خلال ممارسة مستمرة للنقد ، الذي ليس هــو بالمناسبة نقضا كما يشيع في الخطاب العام أحيانــا، حينمــا يتعلــق النقــد بالخطاب الديني . يؤكد هذا الموقف أيضا علي أننا نحتاج الي حماية حــق الخطأ في الاجتهاد والتجديد ، والتعبير عن الراي .(١٠٨) ذلك يعنـــي أن هذا الموقف علي عكس الموقف الأول يري الصيرورة الاجتماعية لأحــول الجماعة والمجتمع هي المتغير المستقل الذي يفرض ضرورة تجديد الــنص بما يجعله يستجيب لإحتياجات الواقع . وحتي يتحقق ذلك وبكفــاءة عاليــة يطالب هذا النص بحصانه الاجتهاد ، حتي ولو تناول هذا الاجتهــاد الــنص ذاته ، وحتي لو كان هذا الاجتهاد بلا مرجعية .

ويتقدم بعض المنتمين الي هذا الموقف قليلاً حينمــا يؤكــدون أن ثمــة مبادئ ثلاثة ينبغي أن توجه جهودنا في البحث عن فقــه جديــد . ويتمثــل

المبدأ الأول في التأكيد علي أن الاسلام دين لكل زمــان ومكــان ، ولــيس معني هذا أنه يتجاوز التاريخ ويتجاهل قوانينة ، بل معنــاه أنــه يســتجيب للتاريخ ويتطور معه ويخضع لقوانينة . ويؤكــد المبــدأ الثــاني علــي أن الاسلام وحي وتنزيل من ناحية ، وفهم لهذا الوحي مــن ناحيــة أخــري ، والوحي إلاهي لكن الفقة بشري . والمسلمون الاوائل آئمة مجتهدون لكــنهم ليسوا معصومين ولا مقدسين ، ونحن نرجع اليهم وننتفع بتراثهم لكننا لســنا مقيدين بهم ، لهم فقههم ولنا فقهنا وباب الاجتهــاد مفتــوح دائمــا علــي مصراعية. ويذهب المبدأ الثالث الي أن الاسلام في النهايــة لــيس مجــرد نصوص ولكنه قبل كل شئ غايات ، فكل ما يحقق غاياته يعــد منــه ولــو خالف النص ، وكل ما يتناقض مع الغايات أو يبتعد عنها يخــالف الاســلام ولو تطابق مع نصوصه .(١٠٩) ثم يسعي المعبرون عن هذا الموقف الــي التأكيد علي ضرورة حقن الواقع بأفكارهم ، حتي يجعلــوا مــن الجمــاهير ظهيراً قد يدعم أفكارهم . إرتباطا بذلك نجدهم يؤكدون علــي ضــرورة أن يتسع الحوار حول تجديد الخطاب الديني ليشــمل قطاعــات متعــددة فــي المجتمع ، لأن الاصلاح أو التجديد الدينيلا ينبغي أن محصورا في رجــال الدين فقط حتي يؤتي ثماره، بل ينبغي أن يشمل المجتمــع ككــل ، خاصــة قطاعات الابداع والاعــلام والتربيــة والتعلــيم ، والأحــزاب والنقابــات ومؤسسات المجتمع المدني ، وأساتذة الجامعات فضلاً عــن رجــال العلــم والدين أنفسهم . وترتيبا علي ذلك، ينبغي تعريف الــراي العــام بالعلمانيــة وإزالة الالتباس الذي لحق بمفهومها ، والتأكيد علي أنها لا تعارض الــدين كدين ، بل تعارض تسيس الدين .(١١٠)

ب – شروط التجديد المتعلقة بمضمون الخطاب الديني . واذا كان مضـــمون الخطاب الديني مضمن عادة في قاعدة نصية من القرآن أوالسنة أو هما معا ، فإن الفقهاء علي مدي التـــاريخ الاســـلامي قـــد قـــدموا تفســـيرات لهـــذه النصوص – إستناداً إلي قراءتها وتأويلها – تجسدت في المذاهب الأربعة . ذلك يعني أنه اذا كان الفقة أو التفسير نتيجة ، فإن الأمر المؤكد يشير الـــي أن هناك أدوات أو مقومات تساعد علي تحقيق التفسير المقنع او حتي علـــي الحفاظ علي النص الديني . إضافة إلي مراقبة أن لا يخرج الفقة أو التفسير عن حدود النص . فيما يتعلق بمضمون الخطاب الديني برزت عدة مواقـــف إشترطت شروطا محددة فيما يتصل بالتعامل معه . ويتحدد الموقـــف الأول بالموقف الاسلامي المحافظ ، وهو الموقف المدافع عن المضـــامين الدينيـــة الصحيحة في مواجهة محاولة العبث بها . يؤكد هذا الموقف علي أن تجديد الخطاب الديني في مضمونه ينبغي أن يلتزم بثلاثة قواعـــد . حيـــث تؤكـــد القاعدة **الأولي** علي أنه اذا أكد البعض علي أهمية الحرية كمنطلق للتجديـــد أو حتي للتفاعل في المجتمع ، فإن الخطاب الديني لا ينبغي أن يرفض ذلـــك ولكنه يؤسسها علي الضمان الإلاهي . أن الحرية في المفهـــوم الاســـلامي ليست منة من مخلوق ولا تفضلاً من بشر ، ومن ثم فليس لأحد أن ينـــتقص منها طالما كانت حرية مشمولة بالدين ملتزمة بمعطياته . وتـــذهب القاعـــدة **الثانية** الي ضرورة ربط مشروع تحـــديث المجتمـــع ونهضـــته بالخطـــاب الديني . فالإسلام لا يرضي للمسلمين أن تكون أمة خانعة ، ولا مســـتجدية ولا مستكينة ولا يرضي للمسلمين أن تكون مصائرهم في أيدي الآخـــرين . وإن مجرد وجود هذه الظواهر ينبئ عن خلل في تصور الأمة ، وأن تخلـــي الأمة عن دورها الحضاري ينبئ هو الآخر عن خلل في كيانهـــا الاســـلامي

الذاتي . إرتباطا بذلك فإن الخطاب الديني ينبغي أن يضع علي عاتق الفـرد هموم الأمة بنفس المقدار الذي يحمل به همومه الشخصية . وتشير القاعـدة **الثالثة** إلي ضرورة ربط الخطاب الديني بالتحديات التي تواجه الأمة . وإذا كانت الأمراض الاجتماعية السائدة مبعث قلق ومصدر هـم ، فـإن علـي الخطاب الديني أن يضع مقاومتها في صدر أولوياتـه . فالأنانيـة الفرديـة والنفاق الاجتماعي وعدم الجدية في العمل واستباحة المال العام والتكاسـل عن آداء الواجب كلها سوءات في جبين الأمة . والخطاب الـديني السـديد يجعل مقاومتها علي المستوي الفردي والجمـاعي أقـوي تحدياتـه وأكبـر مطامحه (١١١) .

واذا كان هذا الموقف قد حدد القواعد الأساسية التي تساعد علي تفعيـل مضمون الخطاب الديني في واقع المجتمع . بحيث يلعب هذا الخطاب دوراً اساسيا في تخليص الأمة من مشكلاتها ، ويدفعها علي طريق الارتقاء. فـإن هذا الموقف ذاته يري أن مضمون الخطاب الـديني لـه حـدود لا ينبغـي تجاوزها أو الإفتئات عليها ، سواء نصوص الوثـائق الأساسـية أو الفقـه المترتب عليها . حيث برزت دعوات تذهب الـي امكانيـة إسـقاط السـنة والاكتفاء بالقرآن كوثيقة أساسية ووحيدة، كما تذهب الي امكانية الاسـتغناء عن فقه المذاهب الاربعة بإعتباره فقة تاريخي واستبداله بفقة جديد . علـي ذلك يرد هذا الموقف رافضا المساس بالفقة مؤكداً "أن الفقة الاسلامي إنمـا هو ميراث النبوة ، انه شرح للوحي أو بتعبير أدق إنـه ترجمـة للـوحي ، وإستنتاج من قواعدة العامة ، وإتباع لسـلوك الرسـول "صـلي الله عليـة وسلم" . بإعتباره المسلم الأول أو بإعتباره المطبق الـدقيق لمـا أوحـاه الله تعالي علي قلبه رسالة الي الانسانية لهدايتها الي الصـراط المسـتقيم . وأن

الفقة الاسلامي إتباع وليس إبتداعاً ، وأنه محاولة جاهـدة لكشـف الآثـار النبوية والتزامها وليس إختراعاً يؤلفه البشر . ولقد كان أئمتنـا رضـي الله عنهم ينتمون بأقوالهم ونزعاتهم وسلوكهم الي الأمـر البـديهي عنـد ذوي الشعور الديني . لقد كان شعار ائمتنا جميعا رضي الله عـنهم ، "إذا صـح الحديث فهو مذهبي"، "إنما انا متبع لا مبتدع" "كل إنسان يؤخذ منـه ويـرد عليه إلا صاحب هذه الروضة الشريفة ، هو وحده الامام لأنه الوحيد الـذي إجتباه الله رسولا وخاتما للانبياء . وكل ما أتي به ما ينطق عن الهوي" وما ينطق عن الهوي أن هو إلا وحي يوحي " "قل أن كنتم تحبون الله فـاتبعوني يحببكم الله" . وما من شك في أن الانسان منذ أن وجد علـي ظهـر الأرض وهو ينزع نزعة بشرية بحته ، ويتصرف في الوحي الإلاهي نقصا وزيادة، وبترا وإضافة ، وتغييرا وتبديلاً ، يحاول أن يقيم كل ذلك علي قواعد يزعم أنها صحيحة .(١١٢) فإذا الأمر ينتهي به الي الخـروج عـن المضـمون الحقيقي للدين بإختزال نظريته وقواعده الإلاهية الي نظرة وقواعد أنسـانية محدودة وعارضة ومؤقته ، إنه علي هذا النحو يستبدل اليقين الديني بصدق إنساني عارض يحتمل زيفه إن لم يكن الآن ففي المستقبل.

إلي جانب الموقف السابق يظهر موقف ثـاني يقـدم نظـرة عقلانيـة لمضمون التجديد ، حيث يرفض علي النحو السابق حصار النص في قفص الماضي . وبدلا من ذلك يطالب هذا الموقف بحل وسـط يبـرز مضـمون الخطاب الديني محافظا علي ثوابته مع التأكيد علي قدرة هـذه المضـامين علي التعاون والتلاءم مع الاوضاع المعاصرة . في اطار ذلك يضـع هـذا الموقف مجموعة من الشروط أو القواعد الأساسية التي ينبغـي أن تضـبط تجديد الخطاب الديني . ويتمثل الشرط **الاول** في ضـرورة قـراءة تـراث

السابقين وفرزة بالكامل لاستخراج ما هو صالح منه ، سواء بحكم كونه خاطئا منذ البداية ، أو بحكم انتهاء صلاحيته الزمنية التي وجدت في زمانها . ولعل هذا الشرط هو ما اشار اليه القرآن الكريم في عمق شديد وبلاغة أخاذة ، حينما قال تعالي "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين إتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه" ففي ذلك تأكيد علي الاتباع بإحسان ، أي بالتجديد والتطوير وهو ما لا يمكن تحقيقة الا من خلال النقد الرشيد الذي يفرز الصالح من الطالح .(١١٣) ويتحدد الشرط **الثاني** لتجديد الخطاب الديني في ضرورة إعادة تأمل أو قراءة النصوص المرجعية للجماعة . وفي حالة المسلمين فإن المرجعية الأساسية هي القرآن الكريم ، وعنها تتفرع وإليها تحتكم جميع المرجعيات الأخري بما فيها أحاديث الرسول "صلي الله علية وسلم" . وبرغم ما أحتوته من مسائل من نوع إختلاف السياق والمضمون بين آيات القرآن المكي وأيات القرآن المدني وتدرج التشريع ، والنسخ عند من يقولون به ، وصلاحية الاسلام لكل زمان ومكان حتي يوم القيامة ، وبلاغة القرآن الكريم ، والايمان بالقضاء والقدر . فبرغم تضمن هذه القضايا لتصورات تقدم أوسع الآفاق لأي حركة تجديدا وإحياء علي إمتداد التاريخ الانساني إلا أنه قد جري إهدارها بالكامل والنظر اليها بشكل سطحي غير عميق وغير محدد .(١١٤)

ويتصل الشرط الثالث لنجاح التجديد أو الاحياء بضرورة الخبرة بأوضاع المجتمعات وظروف الحياة ومتغيراتها، حيث أهملت بالكامل دلالات إهتمام القرآن الكريم بتوصيف أوضاع مجتمع المدينة نفسه ، وإهتمامه ببيان الفئات الاجتماعية التي تعيش في المدينة، وقواعد تعامل

الرسول "صلي الله علية وسلم" والمسلمين مع هذه الفئات في أوضاع السلم والحرب علي السواء. (١١٥) وهو ما يعني أن تجديد الخطاب الديني من الضروري أن يتضمن تصورات واقعية للتعامل مع الأوضاع المتباينة في المجتمع والفئات المختلفة في إطاره ، تعاملات تعكس ألوان الطيف جميعاً، ولا تختزل الوجود الاسلامي علي ما تذهب بعض الجماعات المتطرفة، الي دار الحرب ودار السلام ولا إلتقاء بينهما ، بل عداء مستحكم الي أن تقوم الساعة . ويؤكد الشرط **الرابع** علي ضرورة أن يؤكد التجديد علي إبراز قبول المضامين الدينية لمبدأ التنوع والاختلاف ، وهو مبدأ أكده القرآن الكريم بقوله تعالي "إن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبين والنصاري والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة أن الله علي كل شئ شهيد". سورة الحج* الآية ١٧ . وقوله تعالي "وقالوا كونوا هوداً أو نصاري تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين. قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الي إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسي وعيسي وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون" البقرة* الآيات ١٣٥ ،١٣٦ "، وهو ما يعني أن عملية التجديد يثريها الحوار والجدل . واذا كان الله قد خلق الحقائق كلية بطبيعتها ، فإن إدركنا البشري لها جزئي في طبيعتة في المقابل. ومن خلال الادراكات الجزئية المتنوعة والمختلفة نستطيع الوصول إلي الإدراك الكلي للحقيقة. ذلك يعني ان من صميم الخطاب الاسلامي في أصله والمجدد التأكيد علي الاختلاف والتنوع وقبول الأخر ، فلا أحد يحتكر الحقيقة ، وهو ما أكدت عليه المذاهب الفقهية المتعددة .

ويتعلق الشرط **الخامس** بمستويات تجديد مضمون الخطاب الديني ، إذ لا يكفي لحركة التجديد أن تطور الأفكار والمبادئ الدينية من خلال اعـادة قراءتها لكي تساعد علي إعادة العلاقة العضـوية بـين القـراءات الدينيـة المعاصرة ، والأوضاع الحاضرة لواقع المجتمعات . ولا يكفـي أن تلعـب حركة التجديد أو الأحياء دورها في تعميق حالة التدين العامة في المجتمـع، ذلك لأنه برغم حالة التدين العامة التـي بـدت مظاهرهـا فـي المجتمـع الاسلامي والتي تجلت مؤشراتها في زيـادة الإقبـال علـي آداء الشـعائر والعبادات حتي تحول آداء الحج والعمرة الي عادة يمارسها مئات الألـوف ويسهدفون بها تحقيق الخلاص الفردي ، إضـافة الـي الصـوم والمكـوث بالساعات لصلوات التراويح بالمساجد . وبرغم اسلمة كثير مـن النقابـات المهنية كنقابات الأطباء والمحامين والمهندسين إلا أننا نلاحظ أن هذا المـد في العواطف الدينية لم يؤد الي تقلـيص مسـاحة الفسـاد فـي المجتمـع الاسلامي، ولم يؤد الي وقف تدهور الأخـلاق المهنيـة للمهـن المختلفـة (١١٦) . ذلك يرجع بطبيعة الحال الي أن ثمة اختلاف بين تجديد الخطـاب من حيث أفكارة ومبادئه وعواطفة ، وبين تجديد السـلوك الـواقعي الـذي يتلاءم مع معاني وقيم هذا الخطاب المتجدد ، وهـو مـا يعنـي أن تجديـد الخطاب ينبغي أن يشمل المستويين معاً المبادئ والأفكار والقيم والعواطـف من ناحية والسلوكيات الواقعية في مختلف المجالات مـن ناحيـة أخـري . فالتجديد الفعال الذي يشكل طاقة للتحديث والتقدم هو الذي ينجح في تحقيـق ذلك .

يضاف الي ذلك ، فإنه لكي يكون التجديد فعالا فإن علينـا أن نتـذكر القول الذي حدثنا به الأمام "أبو حامد الغزالي" قبل ألف عام في مؤلفه إحياء

علوم الدين عن فقه المناظرات حيث قال إن التعاون علي طلب الحق ، بعـد تحرير موضوعه والاتفاق علي مضمونه له شروط ، من بينها تقديم الأهـم علي المهم ، حيث لا معني للانشغال بفـروض الكفايـات عـن فـروض الأعيان، ومن بينها أن يكون المناظر مجتهداً يفتي برأيه ولا يقلـد غيـره ، حتي إذا ما ظهر الحق في مذهب آخر التزم بالحق ولم يلتـزم بالمـذهب . ومنها كذلك ألا يناظر إلا في مسألة واقعة أو قريبة الوقوع ، أي في شـأن راهن حتي لا ينساق المتناظرون وراء قضايا إفتراضية أو غيـر حالـة ، الأمر الذي يحول المناظرة الي جدل عقيم" .(١١٧) ونضـيف الـي ذلـك ضرورة أن يكون المجدد أو المجتهد عارفا بالمجال الذي يقدم رأيـا فيـه ، فقد انتشر في عصرنا فقه غير االعارفين بالدين ، ومن المدهش أنهم الـذين يحملون رايات التجديد التي هي في الحق رايات تبديد ، حيث تتجسد هـذه الممارسات الهزلية فيما أصبح يعرف "بفقة الشارع" .

ويختلف الموقف الثالث "العلماني" مـع الموقـف الأول الـذي أحـاط بالنص والمضمون الديني خوفا من المساس بهما، كما يختلف مع الموقـف الثاني الذي تعامل مع المضمون الديني بحذر وبصورة متوازنـة ، وازنـت بين الحفاظ علي النص ، وإبراز أمكانياته علي التفاعل مع معطيات الواقـع المتجددة . وبديلا لذلك إتجه هذا الموقف ألي تحديد الشروط التـي يحـاول في إطارها تجديد الخطاب الديني بلاضفاف ، حتي يكاد يأتي علي قدسيته . بداية يتجه هذا الموقف للإحاطة بقدسية النص نافيا عنه أصلة الإلهـي مـن خلال التأكيد علي أن النص القرآني منتج ثقافي في نشـأته ، لكنـه صـار منتجا لثقافة جديدة في التاريخ . غير أن إنتاج الثقافة لـم يتأكـد الا بـالفهم الذي حققه المسلمون وفق آفاق مواقعهم الفكرية . وإذ نفهم ذلك سنسـتطيع

أن نتفهم تلك الثقافة التي أنتجها المسلمون بإعتبارها ثقافة زمانية يمكــن أن نحللها ونفهمها فهما نقديا سواء تجلت في الفقه أو التفســير أو فــي علــوم الحديث واللغة حتي نمتلك تراثنا ولا يكون عبئا علينا. (١١٨) وحتــي يــتم تحييد السلطة والمؤسسة الدينية المتحالفة معها لكي تنطلق يد ممثليه عابثــة بالمضامين الدينية. بالإضافة إلي ذلك يطالب هذا الموقف بضــرورة تــوفر عدة شروط حتي يكون التجديد ناجحا وفعالاً . يتمثل أول هذه الشروط فــي عدم الفصل بين الدعوة إلي تجديد الثقافــة الدينيــة والمطالبــة بالاصــلاح السياسي ، وذلك يرجع إلــي أن الأخــذ بالديموقراطيــة وحريــة الــرأي كأحدعناصرها يمكن أنه يصبح مدخلاً لابدأ آراء وتحليلات قد تطور النص ذاته ، وهو ما يعني أن هذا الشرط علي ما يقولون حق أريد بــه باطــل . ويطالب هذا الموقف من خلال الشرط الثاني بضرورة أن تعمل الســلطة – بإعتبارها المسئولة – في انجاه توفير مناخ التفكير والبحــث والمراجعــة ، وأن تحد من إحتكارها لوسائل الاعلام الجماهيرية وأن تراجع برامج التعليم وتعيد هيكلة المساجد إذا ما أرادت أن تمحو من الذاكرة دورها فــي جمــود الفكر الديني . حيث يسعي هذا الموقف من خلال هذا الشرط إلــي تقلــيص دور السلطة في الحفاظ علي تراث المجتمع ، وأيضا علــي دينــة ، حتــي يكون فريسة له يتولي تقطيع نسيجه وأوصاله. ويذهب الشرط الثالــث إلــي أنه ليس من الضروري الاتفاق علي إستراتيجية واحدة بين دعــاة التجديــد (١١٩) وهو ما يعني إمكانية أن تكون هناك إستراتيجيات متنوعة للتجديد . حيث يمكن أن يؤدي التعدد وعدم الاتفاق في ظل غيلب القــوي الضــابطة للتعامل مع النص الديني إلي نوع من الفوضي الفقهية التي تلعب دورها في تفكيك النص الديني وتبدد تماسكه .

ويصل هذا الموقف إلي منتهي مبتغاه حينما يذهب بعض ممثلي هــذا الموقف "العلماني" إلي وضع مجموعة من الشروط التي تلائم أيديولوجيتــه من بينها التأكيد علي أنه لكي ينجح التجديد فإنه من الضـــروري أن نفــتح منافذ الحرية ، وأن يكون الحـــوار هـــو أســـاس ادارة الاخــتلاف ، وأن لا يصبح النبذ الاجتماعي مصير أي شخص يمتلك رؤية مختلفــة . وإرتباطــا بذلك يصبح التجديد التدريجي أو الجزئي غير واقعي، التجديد الحقيقي هــو تجديد شامل يمتلك فيه المجدد القدرة علي طرح تصورات شاملة للمجتمـــع وليس مجرد ترتيبات جزئية أو تنكيس لبنـــاء قـــائم. (١٢٠) يـــذهب هـــذا الموقف إلي أن الخطاب السائد الآن هو الخطاب "الوهـــابي" وهـــو خطـــاب يتصادم بشكل واضح مع غير المسلمين سواء الذين يعيشون تحــت مظلـــة الوطن أو علي الصعيد العالمي . هذا الخطاب ينفي المواطنة من أساســـة ، ويدفع الي عزلة غير المسلمين لأنه يختص أهل دين واحــد بكـــل المزايـــا ويحرم منها آخرين (١٢١) . علي هذا النحو يطالب الموقف العلماني بكـــبح جماح النص الديني بأن نفرض تراجعه الي حدود الضمير الفردي ، ومـــن ثم تترك ساحة المجتمع للقوانين الوضعية التي تتولي ضبط ساحة التفاعـــل الاجتماعي ، اضافة الي تقليص النص الديني الـــي حـــدود العبـــادات دون المعاملات ، التي يتولي القانون الوضعي المعاصر تنظيمها أيضـــا.(١٢٢) يتحرك هذا الموقف إذن بإتجاه نفي الدين عن حياة المجتمع . يعبر عن هذا الموقف علمانيون متطرفون وغلاه السلة التي تضمهم واسعة تحتوي علـــي بشر من آفاق شتي ، في هذه السلة نجد الماركسيين السابقين الذين يبحثـــون عن أي معارضة أو موضوع يتجادلون بشأنه ، يدخل فيه أيضا العلمـــانيون المتطرفون الذين بهروا بالليبرالية الغربية دون أن يدركوا أن هذه الليبرالية

هي التي سببت تخلف مجتمعاتهم ، ونجد في إطاره أيضا بعض المتغـربين الذين تعلموا في الغرب وأصـبحوا رسـلاً أو مغـرزة متقدمـه لـه فـي مجتمعاتهم .

٢ – **منهجية تجديد الخطاب الديني :** تتفق جميع المواقف علي أن تجديـد الخطاب الديني لا يتم بصورة عشوائية ، بل يتم حسب منطق ومنهج محـدد يصل بنا الي نتائج تمتلك درجة عالية من الثقة . في هذا الاطـار نتصـور ان منهج التجديد من الطبيعي أن يتناول ثلاثه قضـايا أساسـية . وتتعلـق القضية الأولي بمرجعية التجديد ، حيث تتأرجح المواقـف بـين مرجعيـة النص ومرجعية الواقع . وتتمثل القضية الثانية في منهج التجديد وحـدوده ، هل المنهج يؤدي فاعليته مع حذر الإقتراب من حدود الـنص أم أن مـنهج التجديد ينطلق بلاضفاف حتي إسقاط القداسة عن النص . وتتعلـق القضـية الثالثة بآليات التجديد ووسائله التي يلتمس بواسطتها الباحث التعامـل مـع النص علي خلفية إدراكة لاحتياجات الواقع ، وإلي أي مدي هـذه الوسـائل الباحث في تحقيق المصالحة بين النص واحتياجـات الواقـع المتغيـرة أو المتجددة أو تعميق القطيعة وعدم الالتقاء بينهما .

أ – الجدل حول المرجعية الضابطة لتجديد الخطاب الـديني: تهتم القضية الأولـي في منهج تجديد الخطاب الديني بالمرجعية الضابطة لتجديد الخطاب الـديني ونظراً لأهمية هذه القضية ، نجد أنه برغم إتفاق مختلـف المواقـف حـول أهمية المرجعية لعملية التجديد لأنها التي تقوده وتوجهه، إلا أن الخلاف ثار حول طبيعتها ، هل هي مرجعية النص الذي ينبغي التأكيد علية ولا مسـاس به ؟ أم أن الواقع هو الذي ينبغي أن نحترم حاجاته هو المرجعية التي يجب

أن يتم التجديد بالنظر اليها . إستنادا الي هذا الطرح برزت ثلاثة مواقــف ، يؤكد الموقف **الاول** علي أن النص ذاته ينبغي أن يشكل مرجعيــة التجديــد فالنص له عمق ، ثم إنه نص يتكشف بصورة دائمة ومســتمرة ، طالمــا أن الواقع هو الآخر متغير يقدم دائما متغيرات وإحتياجــات جديــدة ، حيــث يصدر الاثنان عن أصل واحد كما اشرت . فالنص ثري بداخله من المعاني القابلة للتكشف وعلينا دائماً أن نتأملة لنفض تكشفه لكب نســتخرج أحكامــا جديده ومعاني جديدة ، غير أنه يظل في أذهاننا أنه محرم المساس بــالنص الإلاهي كما نتعامل مع أي نص انساني آخر "إذ لا يعقــل أن نتعامــل مــع النص الديني سواء كان قرآنا أو إنجيلا كما نتعامل مع نص إنســاني أدبــي يخضع لكل قوانين البشر خطأ أو صوابا . ولهذا تبقي للنص قدسيته مهمــا كانت الرغبة في الاجتهاد . واذا كان تشريح النص الأدبــي جــائز، فــإن الأديان كل الأديان، لا تسمح بذلك وترفضه خاصة فيمــا يتصــل بثوابتهــا وأهمها الكتب المقدسة" (١٢٣) . وإذا كان بعض غلاة العلمانيــة يؤكــدون صراحة أن "لا قدسية لنص كما فعل الشاعر "أدونيس" بجامعــة الكويــت ، وأساتذة ما فعلة أدونيس مرة أخري في مؤتمر القاهرة الأخير الــذي عقــد عن الخطاب الثقافي فإن أئمة ومثقفي وجمهور المسلمين يرفضــون وجهــة النظر هذه جملة وتفصيلا . يذهب أصحاب هذا الموقف إلي التأكيــد بأنــه سوف تبقي للنص القرآني قدسيته في التعامل وكذلك الخطاب الديني وحتــي اللغة .. أما أن نفتح الباب لكل من هب ودب فهذه كارثة كبري لكلي يصبح فقيها في الدين . لا يعقل أن أترك ميكانيكي سيارات يعبث في قلب مــريض ويجري له عملية تغيير صمامات .. ولا يعقل أن أترك ناقداً لا يفهــم شــيئا في اللغة نحوا ولا صرفا ولا حتي نطقا، يتعامل مع نص قرآني كما يتعامل

مع قصيدة شعر ركيكة ، ويقول أن ذلك تحليل للنص .. لقـد كـان نقادنـا الكبار يتعاملون مع النص القرآني بتقدير وتقديس خاص بعيداً عن مـذاهب النقد ومدارسة" (١٢٤) .

ذلك يعني أنه من الضروري أن يراعي أي تجديد المرجعية المتعلقـة بالنصوص الثابتة بدون جدال، لأن تجاوزها يعني الخـروج عليهـا وذلـك يتطلب بطبيعة الحال متابعة الواقع وملاحظتة حتي يمكن تطبيـق القواعـد الملائمة علية .(١٢٥) في هذا الاطار من الضروري التأكيد علـي تكامـل المرجعية ، والمرجعية الاسلامية المتكاملة هنا هي القرآن والسنة. ومن ثم فإن القول بإمكانية التخفف من السنة فيه إسـقاط لجـزء مـن المرجعيـة وإنتقاص لأصل من أصول الإسلام الذي أشير إلي ضرورة الأخذ بها قولـه تعالي "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول" فإذا إعترفت بالقرآن فقـط دون السـنة فإن معني ذلك أن المسلم لن يعرف كيف يصلي ولا كيـف يعبـد الله ، لأن الصلوات الخمس وشعائرها أتت من السنة . لن يعرف المسلم كيـف يحـج لأن مناسك الحج جاءت من السنة ، لن يعرف كيـف يخـرج الزكـاة لأن مقادير الزكاة وأحوالها وما يعرف منها وكثيـر مـن أحكامهـا مصـدرها السنة . ذلك يعني أن السنة مكملة للقرآن ويسـتحيل إيجـاد صـيغة ثابتـة للاسلام كفكر وتعامل بدون السنة، فالقرآن والسنة مرتبطان ببعضمها ، وقد قال الفقهاء أن السنة موضحة ومفسرة ومبينة ومفصلة للقـرآن. (١٢٦) إن أنكار حجية السنة هي محاولة للتفلت من القيود وتوسـيع مسـاحة الحركـة يقوم بها الراغبين في الخروج علي النص والاجماع ،لأن السنة فـي هـذه الحالة تشكل قيداً علي حركتهم ، وسيفا مسلطا علي رقابهم ، فكلما حـاولوا الأفلات يجدوا "حديثاً" يمنعهم . وبالتالي فإن المطالبة بالتخفف مـن السـنة

هي محاولة لإبطال حجية السنة . بحيث تصبح السـنة تطبيقـات لزمانهـا ومكانها لا تتجاوزها ، ومن ثم لا تشكل علي هذا النحـو حكمـا مطلقـا ، بإعتبار أن القرآن أحكامة مطلقة تتجاوز الزمان والمكـان . يحـاول هـذا النمط من المبددين وليس المجددين أن يتخففوا من قيـود السـنة بالمطالبـة بالغائها ، بحيث يتحقق ذلك حسب خطة محددة ، أنه كلما خففت قيود السـنة كلما حل محلها التفكير العقلي الذي سوف يملأً الفراغ الذي تركه إنسـحاب أحكام السنة ، وربما بقيود وقوانين مستمدة من القانون الوضعي . إسـتجابة لهذا السلوك نجد أن غالبية المسلمون يرفضون إلغاء حجيـة السـنة التـي استقرت عليها الأمة من زمن النبي الي يومنا هذا . بالإضافة الي ذلك فـإن السنة تلعب دوراً أساسيا في تشكيل الهوية الإسلامية ، ومـن ثـم يصـبح العبث بالمرجعية أو السنة مروقا ولا يعتبر تجديداً ، وبـذلك فهـو باطـل ويلاقي اعتراض ورفض (١٢٧) .

ويوازن الموقف الثاني بين قداسة المرجعية واحتياجات الواقـع وهـو وإن كان يحترم قدسية النص ويؤكد عليها ، إلا أنه يدرك أن الواقع المتغير فرض احتياجات ملحة وضاغطة تحتاج الي إعادة تأمل النص لاستكشـاف أحكام جديدة من داخل كليته، قادرة علي التعامل مع أحداث الواقع المتغيـرة والمتجددة والعارضة لكنها ضاغطة . يبدأ هذا الموقـت بالتأكيـد علـي أن الواقع الذي نعيش في إطاره يطرح بإستمرار متغيرات جديدة . فقد ظهـرت في عالمنا وقائع جديدة لم تكن قائمة من قبل. ظهـرت الشـركات العـابرة للقارات، ظهرت بنوك ودول ومؤسسات لها أحكـام مختلفـة عـن أحكـام الشخص الطبيعي . ظهرت في حياتنا وقائع جديدة نحتاج الـي أن نحللهـا ونفهمها ونضع لها أحكاما، غير أن هذه الأحكـام ينبغـي أن تسـتند الـي

معايير، وأهمية المعايير تقودنا الي التأكيد علي أهمية النموذج المعرفـــي . هذا النموذج المعرفي يستند الي الايمان بوجود الله وان هناك تكليــف مـــن الله للانسان ، وأن هناك اليوم الآخر .. هذا النموذج المعرفـــي هـــو الـــذي يمكننا من التعامل مع الاحداث .

علي هذا النحو فإنه من الضروري التفكير العميق في مســـائل الواقـــع مع ضرورة أن ندرك في نفس الوقت مقتضيات النص المتدرجة فـــي ظـــل المآلات والمقاصد ، وفي هذا الاطار توجـــد مقاصـــد أساســـية ومقاصـــد ثانوية . المقاصد الأساسية هي حفظ النفس والعقل والدين والعرض والمال، وفي الطريق الي هذه المقاصد توجد مقاصد أخري لا بد أن تراعـــي حتـــي لاتتسبب الفتاوي التـــي تصـــدر فـــي وقـــوع خســـائر علـــي الانســـان أو المجتمع .(١٢٨) وحتي يصبح الأمر واضحا يضع هـــذا الموقـــف ثلاثـــه شروط منهجية لتجديد الخطاب الديني ، ويتمثل الشرط الأول في ضـــرورة أن ندرس النص دراسة عميقة ، ويمكن ان نستعين في ذلك بـــآراء الفقهـــاء حتي نستكشف ما يتيحه النص من أحكام وفتاوي تتعلـــق بواقـــع الحـــال .. ويذهب الشرط الثاني الي ضرورة دراسة الواقع ، ومن الممكن فـــي هـــذا الاطار الاستفادة من منهج ومعطيات ونتائج العلوم الانسانية التـــي تســـاعد علي فهم مشكلات الواقع واستكشاف سبل حل هذه المشكلات . بينما يؤكـــد الشرط الثالث علي ضرورة الوصل بين الـــنص والواقـــع (١٢٩) ، حيـــث ينبغي البحث عن علاقة ايجابية بين احتياجات الواقع التي تدعو الي تأمـــل النص واستكشاف معانية ، والبحث عن أحكام تتولي تنظيم وضبط أحـــداث وتفاعلات الواقع بما لا يمس قدسية النص ولا يعقد مشكلات الواقع .

يسعي هذا الموقف ايضا الي الابتعاد عن الموقف الأول قليلاً فيقلص مساحة المرجعية التي لا ينبغي المساس بها ويتيح ما دون ذلك . يبدأ هذا الموقف بالتأكيد علي أهمية أن ينشغل الاجتهاد بالحاضر ولا ينظر الي الماضي (١٣٠) . هذا الموقف يري أن تجديد الخطاب الديني يأتي من خلال التفكر والتدبر والتبصر وإعمال العقل فذلك "فرض عين" علي كل مسلم ، لأن الله أمر كل جيل بإعمال العقل في زمانه . فعجلة الزمن تدور، والانسان خليفة الله في الأرض وعليه إعمارها ، الأمر الذي يوجب عليه إعادة فتح باب الاجتهاد تحدثا بنعمة الله علي عباده وإرتقاء بمجتمعاتهم . وذلك لا يتحقق الا بإطلاق الطاقات البشرية غير متوقفة عند ما إنتهي اليه السلف مع تباين لغات العصور ، حبذا لو تباينت لغة الخطاب الديني مع كل مجتمع من منظور إحتواء همه الايماني لهمه الدنيوي ، من خلال منظور معاصر لأحكام القرآن والسنة وداخل شريعتها . لقد أمرنا الله بتدبر ما حولنا بإعتباره "فرض عين" ومن المحال أن يري الانسان بعين أو أذن أو عقل سلفة ، فلكل زمان متطلباته ، وعلي العقل أن لا يقترب من أمور تعبدية مفروضة. (١٣١) يذهب هذا الموقف كذلك الي أن لعقل المسلم أن يصوغ أحكاماً جديدة أو ينقل أحكاماً جديدة عن غيرنا تلائم الإحداث الواقعة في مجتمعنا الاسلامي شريطة أن لا تتناقض أو تنحرف عن المبادئ الإسلامية والمقاصد الخمسة أو تفوض أساسها ، وهي القواعد العامة للفقة الإسلامي . ونحن اذا تأملنا هذه الثوابت الإسلامية التي لا ينبغي المساس بها فسوف نجدها محدودة لا تتجاوز نسبتها ٥% من بناء المقدس الإسلامي . وهو ما يعني أن المرجعية الإسلامية في جملتها تعد مرجعية مرنه تتيح مساحة واسعة من حرية التجديد .(١٣٢)

ويستمر هذا الموقف في التأكيد علي أنه اذا كان التجديد لا ينبغـــي أن يمس العقائد فإنه من الممكن أن يطول التفسيرات التي قدمها الفقهاء . فنحن اذا تأملنا ما حولنا فسوف نجد أن الاسلام الذي يتعبد به المســلمون اليــوم ليس هو أسلام القــرآن والرســول، ولكنـــه إســلام الفقهــاء والمحــدثين والمفسرين الذين وضعوه خلال ألف وربعمائة عــام ، وأن هــذا الاســلام يختلف عن إسلام القرآن ، وأن هناك فرقاً شاسعاً بينهما يصــل الـــي حــد التناقض . فعلي سبيل المثال يقول القرآن "من شــاء فليــؤمن ومــن شــاء فليكفر" بينما يروي لنا الفقهاء حديثا "أن من بدل دينه فأقتلوه" . ذلك يعنـــي ضرورة العودة الي القرآن مباشرة دون أن نتقيــد بتفســيرات المفســرين ، وضبط السنه بمعايير من القرآن . واذا ثبت أن الســنة لايمكــن أن تكــون معياراً فيما يتعلق بواقعة معينة فإن ذلــك يرجــع إلـــي عمليــة التحريــف والوضع التي تفشت فيما الحديث والسنة ، ومن ثم فلم يبق سوي الاحتكــام إلي القرآن . فإذا كانت السنة مبينة للقرآن ، فمن البديهي أنها تلتزم بالقرآن ويدعو هذا الموقف في النهاية إلي عدم الالتــزام بالأحكــام الفقهيــة التـــي وضعها أئمة المذاهب الربعة أو غيرهم .(١٣٣) ويتصاعد هــذا الموقــف ليؤكد أن "الاحاديث" لها تأثير كبير في حياتنا وينبغي أن تكون متوافقة مــع القرآن ، بعض "الاحاديث" يتعلق بالفضائل والاخلاقيــات والآداب العامــة ووجودها لن يضر . غير أن هناك أحاديث هامة لها تــأثير فـــي حياتنــا ، روايتها ضعيفة وبها بعض الاختلاف مع القرآن، وتــرك هــذه الأحاديــث يصبح ضاراً . وعلينا أن نتأسي بالرسول "صلي الله علية وسلم" في ذلــك ، حيث ذهب مذهبا مختلفاً تماماً حينما فصل أمور الدين عن أمــور الــدنيا ، وقدم لنا ما يمكن ان نسمية علمانية راشدة ، أي علمانية لها أصــول دينيــة

حينما قال "إذا جئتكم بشئ من عند الله فخذوه ، وإذا جئتكم بشئ من عنـــدي فما أنا إلا بشر" . وكان الصحابة علي وعي بذلك ، فحينما كان يقول شـــيئا من أمور الدنيا والسياسة وغيرها كانوا يسألوه . هل هذا من عندك أم مـــن عند الله . اذا كان من عند الله فلا مناقشة، وإذا كـــان مـــن عنـــد الرســـول فإمكانية المناقشة قائمة .(١٣٤)

ويقف الموقف الثالث علي يسار المـــوقفين الســـابقين ، وربمـــا علـــي نقيض الموقف الأول . يذهب هذا الموقف الي التأكيد علي أحوال المجتمـــع والجماعة وإحتياجاتها ، فلها كل الاعتبار ولو كـــان ذلـــك علـــي حســـاب المرجعية . يعمل هذا الموقف بداية علي تآكل المرجعية "فيذهب الي القـــول بأن القرآن ليس صوت الله ولكنه وحي يوحي ، وحينما جمعه سيدنا عثمـــان كانت هناك اختلافات في اللفظ ، هذا الوحي عبر عنه الرســـول بأســـلوبه ، وحينما سعي عثمان لجمع القرآن وجد أشياء كثيرة متكررة ، ووجد أخطـــاء كثيرة فقام بحرق المصاحف وأبقي علي واحد أعتقد أنه الأكثر اكتمالا وهـــو الذي أصبح يعرف بمصحف عثمان" .(١٣٥) واقعة أخري يشير إليها هـــذا الموقف لتبرير التفلب من بعض عناصر المرجعية بتأكيده أنه في وقت وفاه الرسول "صلي الله علية وسلم" قال آتوني بكتاب ودواء ليقيد لهم النصـــائح الأخيرة التي إذا عملوا بها فلن يضلوا بعده أبداً . غير أن الخليفـــة الراشـــد "عمر بن الخطاب" رفض قائلا لـــدينا كتـــاب الله" .(١٣٦) ويضـــيف هـــذا الموقف تآكلا آخر حينما يؤكد أن التجديد يعني العودة الي الأصول ، وهـــذا الأصل يكمن بالأساس في الفترة المكية من تاريخ الرسالة ، كانت الـــدعوة فيها الي الله ، وعلي هذا الأساس جمع الرسول "صـــلي الله عليـــة وســـلم" الناس حوله في العقبة الأولي والعقبة الثانية ، خـــاطبهم ، وكـــان الخطـــاب

الديني حينئذ كما ينبغي أن يكون الخطاب الديني لأنه تحدث مع الناس ، مع عقولهم وإنسانيتهم . ذلك يعني أن المسلمون الحقيقيون هم الذين بـدأو مـن مكة ، إذا فتجديد الخطاب الديني يجب أن ينصب بالأساس علـي الخطـاب المكي ، الذي هو كوني عام ، والذي كان خطابه يبدا دائما بيأيهـا النـاس. (١٣٧) علي عكس ذلك نجد أن الخطاب المدني عملي ومرتبط بضـرورات واقعية للدفاع عن المسلمين وليس عن الاسلام حتي لا يكون المسلمين فئـة مستضعفة .(١٣٨)

يذهب هذا الموقف أيضا إلي أن الشريعة قد تكون في وقتهـا حكيمـة ورشيدة، وفوق كل ذلك كانت متقدمة علي ما سواها من نظم قانونية تقـدما كبيراً . غير أن عصرنا الراهن هو زمان ألتوق إلـي الحريـة والسـلام ، زمان الديموقراطية والمساواة وحقوق الإنسان . وأي محاولة لنقل الشـريعة من إطارها التاريخي ووضعها في هذا الإطار العصـري دون أصـلاح أو تجديد، سوف تصبح خاسرة وسوف تسئ إلي الشريعة إساءة بالغـة لأنهـا سوف تظهرها بالقصور الفادح عما هو متاح وممارس في عالم اليوم مـن حقوق ، كما أن الكثير منها أصبح مستحيلاً عمليـا مثـل الجهـاد والفـتح والرق، خصوصا بعد أن انعكست الآية وأصبحنا نغزي ونستعمر ولا يقـام لنا وزن .(١٣٩) وعلينا أن نتأمل هجرة الرسول " صلي الله علية وسـلم" من مكة الي المدينة ومن المدينة عائداً منتصراً الي مكة ، إنهـا لـم تكـن هجرة مادية أرضية فقط، ولكنها أيضا هجرة في المعـاني ، فقـد هـاجرا الرسول من مكة في البداية بعد أن خاطب المسلمون وقـدم لهـم المبـادئ الانسانية العامة ،غير أنه حينما هاجر الي المدينة ظهرت الشـريعة كجـزء من المرجعية الدينية لتنظيم المجتمع الجديد . ومن ثم فإن الهجرة المعاكسـة

من المدينة الي مكة ثانية تعني في هذه الحالة هجرة صاعدة مـن مسـتوي الخطاب الايماني المحلي الي مستوي الخطاب الايمـاني الكـوني (١٤٠) ، حيث التأكيد علي ذات الخطاب الذي كان في البداية ومن جديد .

وينتقل هذا الموقف بعد أن فرض التآكـل علـي المرجعيـة الدينيـة كمرجعية للتجديد، إلي التاكيد علي أن الجماعة واحتياجاتها هي التي ينبغـي أن تكون مرجعية للتجديد . يبحث هذا الموقف عن التأييد من خلال التأكيـد علي أن "فقهاء المسلمين رأوا قديما أن الجماعة المعصومة التـي تحتضـن الشريعة هي الأصل في المشروعية ، فقد آمنت بـدين الله وهـي تعيشـه . ويعصمها إجماعها من الضلال ، بل ومن الخطأ والخطل الكبيـرين ، مـن دون أن يشمل ذلك أفرادها طبعاً . أما القول بـأن الشـريعة هـي أصـل المشروعية ، فهذا يعني وضـعها خـارج الجماعـة ، وإرتهـان جماعـة المسلمين لحاكم او لقلة تزعم أن الشريعة بيدها". (١٤١) يضاف الي ذلك كما يذهب أصحاب هذا الموقف الي أن أغـلاق بـاب الاجتهـاد – بحجـة الحفاظ علي المرجعية – من شأنه أن يحنط النصـوص والمبـادئ الدينيـة ويجعلها بمنأي عن أن تكون موضوعاً للتفكير والمناقشـة ، ويمنعهـا مـن الدخول في أي حوار مع الواقع الحي ، لأنها في نظر الذين أغلقـوا بـاب الاجتهاد نصوص كاملة مكتفية بنفسها، تخاطب الواقع من فوق الواقـع ولا تتحاور معه . إنها أوامر ونواهي يجب علي المسـلمين أن يصـدعوا بهـا ويذعنوا لها وليست إجابات علي أسئلة أو حلولا لمشكلات ، فالدنيا كلهـا لا تساوي جناح بعوضة ، والنص الديني سلطة عليا لا يمكن أن يخضـع لأي مساءلة ، وليس للمسلمين أن يبحثوا فيه عمـا يحقـق مصـالحهم أو يلبـي حاجاتهم ، أو يؤكد صلتهم بالحياة أو يسـاعدهم علـي أن يتطـوروا مـع

الزمن .(١٤٢) لقد نزل الوحي بلغة البشر ليخاطب البشر ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ، ومن ثم فلا بد أن يكون الوحي مفهوما ومعقولاً . وما دام الانسان هو اشرف المخلوقات ، وهو خليفة الله في ارضه ، فالحياة الانسانية علي هذا النحو عاقلة مقدسة ، بل هي المعجزة التي تجلت بها الحقيقة الإلاهية ، وفي هذا يقول الحديث القدسي "كنت كنزا مخفيا ، فأردت أن أعرف ، فخلقت الخلق ، فيه عرفوني" . إذن فالفصل الحاد بين الوحي الإلاهي والعقل الانساني ليس إلا أثر متخلف من العقائد والأفكار البدائية التي كانت تفصل بين الروح والجسد ، وتعتبر الحياة دنساً وسقوطا ، والموت صعوداً وطهارة . متفقين جميعنا علي أن الاسلام في جوهرة النقي يقدس الحياة ويحترم العقل ويمجد الحرية ، فنحن متفقون علي أن حياتنا التي نحياها في هذا العالم هي مرجعنا الأول في تجديد الخطاب الديني .(١٤٣)

وينتهي هذا الموقف الي التأكيد علي مرجعية الواقع ورفض مرجعية الدين ، ومن خلال هذا التأكيد نجده يصل بشأن تجديد الخطاب الديني الي ثلاثة نتائج أساسية. وتتمثل النتيجة الأولي في ضرورة رفع الحصار عن العقل ليلعب دوره كآلية من آليات التجديد ، حيثينبغي أن نعمل عقلنا المجدد في كل اتجاه ، فآفاق التجديد ينبغي أن تكون بلا ضفاف والحديث عن وجود مناطق فكرية آمنة بمعزل عن التساءل والنقد والنقاش الحر يعد مقدمة للحجر علي العقول ، وممارسة سلطة رقابية لا وجود لها في تاريخ الفكر الاسلامي . وحين وجدت كان ذلك إيذانا ببداية النهاية ودخول عصر الجمود والانحطاط في كل المجالات .. لذلك ينبغي أن تتسع دعوة التجديد لتشمل كل مجالات الفكر والابداع ، وأن تتسم بقدر هائل من التسامح مع

بعض النتوءات بل ومن بعض ما يمكن تصور أنه خروج علي الإجمــاع . وأن الحرية هي وحدها التي تحمي نفسها وتحمي المجتمع من التآكل ومــن التستر علي فساد يحتمي بمقولات زائفة تتعلق بالحفاظ علي الهوية وحمايــة القيم .(١٤٤)

وتشير النتيجة الثانية إلي التأكيد علي تعدد المرجعيات وليس الإســناد إلي المرجعية الدينية فقط . ارتباطا بذلك يذهب هذا الموقف الي القول "بأننا لا ننظر إلي القرآن أو السنة أو الواقع مجردين من كل قصد وكل ثقافــة ، بل نقرأ القرآن والسنة ، ونتأمل الواقع ونواجه مشــكلاته بعقــول مفكــرة ومعارف شتي وتجارب متفاوتة . وإذا كان الإسلام قد ظهــر منــذ خمســة عشر قرنا شهدت أجيالا متعاقبة من المسلمين الذين تركوا لنا تراثا غنيــا لا نستطيع أن نتجاهله ونبدأ كما لو كنا أول جيل . فإن علينا أن نقرأ القــرآن في ضوء التراث ، كما نقرأ هذا التراث في ضوء القرآن والســنة والواقــع قراءة نقدية تنقية مما ثبت خطره أو خطأه وتجاوزه الزمن ، وتكشف عمــا فيه من ثغرات ، وما يحتاجه من إضافات ، وهذا بالضــبط هــو الخطــاب الديني . فليس الخطاب الديني إلا ما نفهمة من القرآن والسنة في ضوء مــا نستشعره من حاجات وما نعانية من مشكلات ماديــة وروحيــة ، فرديــة واجتماعية ، قومية وإنسانية"*.(١٤٥)

وتذهب النتيجة ألثالثه لتؤكد علي الهدف النهائي الذي يســعى إليــه هــذا الموقف ويتمثل في الدفع المجتمع في اتجاه تبنــي العلمانيــة الغربيــة . حيــث ينفصل الدين عن السياسة وبذلك ينسحب الدين عن أن يشكل أخلاق المجتمــع ، وليتولى المجتمــع في إطار العلمانية صناعــة أخلاقة ، أخــــلاق بــلا مثــل طاهــرة نقية صادرة عن السماء ، بل أخلاق صادرة عن حيــاة الإنســان فــي

المجتمع بإيجابياتها وسلبياتها، أخلاق تتميز بالنزعة المساواتية الظالمة التي تتساوي في إطارها الطهارة والنقاء مع الممارسات الجنسية خارج أطرها الشرعية وحتي "اللواط" . أخلاق يؤكد مفكروا العلمانية أنها تنتج عن تفاعل البشر مع بعضهم، وحسبما تكون طبيعتهم تكون أخلاقهم . وحيث تصبح مسائل الحياة الدنيا هي التي تشغل اهتمام الإنسان ، أم الحديث عن الآخرة وقوي

---

*لا أعتقد أن أكثر خبراء الولايات المتحدة كفاءة في تمزيق أنساق القيم سوف يكون أكثر كفاءة من هذا المفكر الشيطاني الذي يرغب في تنقية القرآن مما يثبت خطأه والإضافة إليه . ومع ذلك فهو يعيش علي أرض إسلامية وفي ظل مآذن شامخة وفي بلد الأزهر الشريف ، ولا تعلق رقبته علي مقصلة ، لأنه يعبث بقواعد هوية الأمة .

الغيب فهي قضايا مؤجله أو مزاحة من المجال العقلي للبشر، وأن ظواهر الواقع الذي نعيش في أطارة هي الأولي بالاهتمام ، وحيث يحل العلم وحدة محل الدين في تنظيم أوضاع البشر في الحياة الدنيا .

ب – أبعاد التجديد ومبادئه : من الطبيعي فيما يتعلق بتجديد الخطاب الديني أن تظهر علي السطح قضية المنهج الذي ينبغي أن يتبع لتجديد الخطاب. ونقصد هنا بالمنهج مجموعة الاجراءات والقواعد الأساسية التي ينبغي إتباعها ومراعاتها حتي يمكن أن يتحقق التجديد . علي هذا النحو نعتقد أن تجديد الخطاب الديني ينبغي أن يتضمن ثلاثة مكونات أو أبعاد أساسية . البعد الأول ويتعلق بالأساس بمجموعة المعايير التي ينبغي أن تراعي في عملية التجديد ، وذلك حتي تصبح عملية التجديد منضبطة تحقق أهدافها. بينما يحاول البعد الثاني تحديد الآليات والأدوات التي يستعان بها عادة في انجاز عملية التجديد ،

علي حين يؤكد البعد الثالث علي منطق عملية التجديد ذاتها . علي هـذا النحـو سوف نعرض لطبيعة المواقف المختلفة من الأبعاد الثلاثـة لعمليـة التجديـد ، برغم أدراكنا أن الخلاف حول القضايا المنهجية بـين المواقـف الثلاثـة مـن المحتمل أن لا يكون بنفس درجة التباين التي بـرزت فـي المواقـف السـابقة بإعتبار أن غالبية قضايا المنهج هي عادة موضع قبول وإتفاق ، علـي خـلاف التباين الذي قد يبرز فيما يتعلق بالمضامين التي يتناولها أو يسلم اليها المـنهج ، وكذلك الاتجاه الذي يستخدم فيه .

فيما يتعلق بالبعد الأول والذي يتناول مجموعة المبـادئ أو المعـايير الأساسية التي ينبغي أن توجه جهود تجديد الخطاب الديني ، نجـد أن ثمـة مواقف عديدة تختلف حول طبيعة المبادئ الموجهة لجهود التجديـد. تأكيـداً لذلك نجد أن الموقف الأول يلتزم التزاما يكاد حرفيا بالنص أو المرجعيـة الاسلامية . ومن طبيعة هذا الموقف انه يفتح نافذة ضعيفة أمـام محـاولات التجديد حفاظا علي قدسية النص . يبدا أصحاب هذا الموقف بالتأكيد علـي ان دعوة التجديد التي نعايشها الان تقع تحت ضـغط حضـاري وانسـاني لعبور الفجوة الماثلة بين الدين الإسلامي والثقافة العالمية الراهنة وأطرهـا الاجتماعية وقيمها المعرفية وآلياتها الدستورية والسياسـية والاقتصـادية . هذا الضغط من شأنه أن يدفع المجددين الي أحـد طـريقين ، الأول تبنـي منطق "المقاربات" حيث نجدهم يمـاثلون بـين نـص الشـورى القرآنـي والديموقراطية ، غافلين عن تعـارض المنظـومتين الإسـلامية والغربيـة ومرجعيتهما المعرفية . وفي المقابل يجنح الـبعض الآخـر إلـي منطـق "المقاربات" منطلقين من "مثالية" المبادئ المكتسبة من الإسلام علـي نحـو تميزة بعدالة إنسانية اجتماعية لاهي بالرأسمالية ولا بالاشـتراكية ، وتقنـين

وضع الفرد في إطار الجماعة بمعزل عن ليبرالية الحقوق الفردية الغربية وتبعاتها الاجتماعية والأخلاقية السلبية . ومن الواضح أن هناك فارق كبير بين المنطقين ، وحتي يؤدي من تبنوا منطق المقارنات دورهم فإنهم يضطرون إلي أعادة قراءة وتأويل النصوص الدينية في القرآن والسنة والتراث وبطرق ومداخل معرفية مختلفة ، تتسع غالبا حتى إعمال آليات النقد الذي يوجه الاتهام إلي ثقافات المجتمعات الإسلامية التي فرضت نفسها علي النص القرآني والنبوي فصادرته. (١٤٦) من الواضح أن هذا الموقف لا يري ضرورة الاقتراب من المفاهيم الغربية بقدر ما ينظر إلي الإسلام بإعتباره نسق فكري يحتوي علي مفاهيم قادرة علي تنظيم الحياة الاجتماعية بكفاءة متوازية مع نظائرها الغربية التي أصبح المسلمون يفتتنون بها ، هو الافتتان الذي يعبر عن حالة من الضعف التي تمر بها الأمة الإسلامية ، وأنه من المفترض أذا أردنا أن نجدد خطابنا فإنه من الضروري أن يتم ذلك بالنظر إلي لزوميات مرجعيتنا وفي حدود ما ترتضية .

ارتباطا بذلك يري هذا الموقف ضرورة أن نتعامل مع النص في كليته ولا نقرأه قراءة جزئية حسبما يفعل بعض المفكرين الاسلاميين أصحاب الموقف الثالث الذين يخدمون أهداف قوي عالمية ضاغطة لتعديل الخطاب . حيث "يتخذ هؤلاء من نقد التراث ومن آيات القرآن التي تقرأ مجزأة دليل علي هذه العصرية، بمنطق تأويلي يفارقون به أصول المنهج العلمي نفسة في التعامل مع كلية النص ، بإعتباره منتجا لحالة ثقافية كلية وبالتالي لايمكن تجزئتة . فهم يمارسون بمنطق التجديد والرأي ما يعيبونه علي مدرسة النقل والسلفية من تجزئة للنص والانتقاء من بين عناصره

خارج سياقه الكلي ، حالهم في ذلك حال المقتسمين الذين أنتقوا النصوص مجزأة للإستفاده منها في برهنة متميزه ، هؤلاء قال فيهم تعالي "كما نزلنا علي المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين *الحجر آية ٩٠-٩١* " فلإ بطال تعدد الزوجات يتم الاستدلال بجزء من النص القرآني " فإن خفتم فواحدة *النساء* آية ٣٠" . وكذلك " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم *النساء* آية ١٢٩" ونفس الأسلوب يستخدم لإبطال آيات الجهاد حيث تقدم آيات الحوار والمجادلة الحسنة " أدع الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن *النحل* آية ١٢٥" وكذلك " لا إكراه في الدين *البقرة* آية ٢٥٦" والتأكيد علي وسطية الأمة "وكذلك جعلناكم أمة وسطا (البقرة آية ١٤٣)" ويستندون الي عهد الصحيفة التي وقعها الرسول "صلي الله علية وسلم" بين المهاجرين والأنصار واليهود في المدينة المنورة في السنة الأولي الهجرية" كقاعدة لتأكيد التعايش بين الأديان . إضافة الي أعتبارهم الأمر الإلاهي بالشوري مدخلاً للديموقراطية مستندين إلي قواه تعالي "وأمرهم شوري بينهم". هؤلاء الذين إجتهدوا بأنفسهم أو ساعدهم غيرهم قدموا إجتهادا خانوا فيه المنهج العلمي في قراءة كلية النص، الكلي بطبيعته ، من خلال التجزئة والتعضين والانتقاء . ولو أنهم بذلوا جهودهم في فهم النص الكلي من داخل بنائه العضوي الموحد لأسهموا في تحقيق نوع من التجديد النوعي الذي يتمتع بمصداقية كبري" (١٤٧) .

وبين الموقف الأول والثالث يلتقط الموقف الثاني الخيط من الموقف الأول في جزئية التأكيد علي ضرورة الاجتهاد في نطاق الخطاب الاسلامي، بإعادة قراءة وأستكشاف المعاني التي تساعد علي الإلتقاء

وحاجات الواقع المتجددة . يذهب هذا الموقف الي التأكيد علي "عالمية الاسلام التي تعد اصل من اصوله الكبري منذ أن جاء لكل البشر زمانا ومكانا ، وبما قد يحتاج من أهله الذين كرمهم الله به أن يشرحوا تعاليمه وينشروه فكراً وسلوكا وتاريخا وحضارة وواقعا، بما يساعد علي توصيل رسالته الي الفرد والعالم من خلال التعريف بالثوابت والمقدسات وقضايا الفكر ، بالاستعانه بالمنطق وأخلاقيات العلم ، مع إستمرار فتح باب الاجتهاد وأبواب الابداع ، "مع المتابعة الناقدة بعيداً عن الشطط والفوضي والتجاوز أو قريبا من المنهج الصحيح في الخطاب الديني العقلي الوجداني، بمطلقاته التلقائية بما فيها من تناغم الفطرة وصحة القياس ، وما يحيطها من جدية الحوار واحترام الآخر، بما يتميز به الخطاب من الصدق والمباشرة والشفافية والمكاشفة بعيداً عن الالتواء أو المكر أو الغموض أو المراوغة ، فهو إذن منهج نقدي اجتماعي عقلي ، يحترم النص ويجتهد في الاستنباط والاستنتاج اجتهاده لتوظيف ذلك في الاسترشاد المستند إلي البراهين والحجة والدليل والإقناع" (١٤٨).

ذلك يقودنا إلي المبدأ الثاني الذي يذهب إلي أن الإسلام يعظم من دور العقل ، ويعظم من دور التفكير العلمي الذي يقوم به العقل يؤكد ذلك جملة الآيات التي تشير الي التفكير، حيث لا تكتفي الآيات القرآنية بمجرد توجيه الإنسان الي التفكير بشئ من العمق وبعد النظر فحسب ، بل أنه يصف الذين لا يفكرون تارة بعدم التعقل وتارة أخري بعدم التبصر. ومن هنا يتضح أن القرآن الكريم يعد أول كتاب سماوي جعل التفكير فريضة علي أتباعة . هذا التأكيد يلقي بالتبعة علي المجتهدين من فقهاء المسلمين الذين عليهم أن يعملوا العقل في نصوصهم وفي واقعهم علي السواء "فيوم يكف

العقل عن مواكبة العصر وبمثل سرعته في مجال استنباط الأحكام للجديد والمحدثات ولو لم يكن لها سوابق في كتب السابقين نكون قد أسأنا الي الشريعة وحكمنا عليها بالعقم . وما دام الفقية المسلم قد أحجم عن إقتحام الجديد بالرأي الجديد النابع من فكرة ومن اجتهاده فقد ظلم الشريعة وعطل مسيرتها .إن العقل لا يناقض الأيمان والعلاقة بين الاثنين علاقة تلازم ، والشريعة تحترم العقل لدرجة أن جعلته واحداً من مقاصدها التي دعت لحفظها وحمايتها ، لذلك كان أسلوب القرآن في الدعوة الي الايمان اسلوبا عقليا محضا ، والعقل بعد ذلك هو وسيلتنا الي تنفيذ الأمر الإلاهي بالتعرف علي سنة الله في خلقة ، وهو ما يسمي بلغة البحث العلمي ، ومن له إلمام عقلي بالإسلام يدرك أن الله تعالي زودنا في الواقع بكتابين لا كتاب واحد ، كتاب القرآن وكتاب الكون . "فإذا كان هذا مكان العقل في شريعة الإسلام ، فكيف يقف المسلمون اليوم ، وبينهم أصحاب الرأي والاجتهاد جامدين أمام سيل المتغيرات والتطورات التي كررنا مراراً أنها لا تتناقض مع رأي الإسلام ما دامت تعمل في خدمة الإنسان أيا كانت عقيدته". (١٤٩)

ويتعلق المبدأ الثالث الضابط للتجديد بضرورة القيام بواجب الوقت ، حيث يذهب أصحاب هذا الموقف الي التأكيد بأن أباؤنا قاموا بواجب وقتهم كل في عصره ، وعلينا أن نقوم بواجب عصرنا كما قاموا بواجب عصرهم . وذلك يعني أن التجديد لا ينكر الماضي ولا يدخل في صراع معه ولكنه يقف عنده ، وهو ما يعني ان هناك احترام لهذا الماضي ، الأمر الذي يفرض علينا أن لا نقول أنه أخطأ أو نتهمه بالقصور أو التقصير بإعتبار أنه لا يصلح الآن . في نطاق ذلك يختلف الإصلاح عن التجديد ، وذلك يرجع الي أن الإصلاح يفترض أن الماضي كان علي خطأ ، وأن

الاستمرار في هذا الخطأ يعد خطأ أكبر . الإصلاح مبناه الصدام بينما التجديد مبناه الوفاق والاستمرار والبناء لا يلتفت للماضي لكي يصارعه ، ولكن لكي يستلهم مناهجة ويضيف اليها ولا يناقضها ، على هذا النحو فكانه قد أحيا السلف . ولو كان الامام الشافعي يحيا الآن لغير كثيراً من أفكاره وفقا لمنهجة هو نفسه وطبقا لمقتضيات العصر الذي يعيش فيه وطبقا للأغراض النبيلة والمآلات الي أخره" (١٥٠) يؤكد هذا المبد إذن علي استمرارية المنهج واستمرارية المضمون أو القضايا وان كان قد ذهب الي إمكانية اختلاف نتيجة القراءة أو التأويل في كل عصر ، ذلك يرجع بالأساس الي فاعلية متغيرات الزمان والمكان .

ويتصل المبدأ الرابع بتوفير المناخ الموضوعي الذي يساعد علي التجديد، ويتمثل أول أبعاد هذا المناخ في التأكيد علي ميدا الحريات ، ذلك أن إطلاق الحريات في كل أتجاه من شأنه أن يساعد علي ازدهار الإبداع ، أما القهر أو الخوف أو فرض القيود يؤدي بطبيعته إلي قتل الإبداع وقتل الشفافية وتبديد التجديد . في هذا الإطار لابد من تبديد مخاوف البشر من الإسلام، فقد أقنع الأعلام الناس في مجتمعاتنا بأن أي تجربة أسلامية ستكون تجربة "طالبان" أو "الجماعة الإسلامية" في الجزائر . كأن الإسلام لا يدرك الا من هذه الزاوية الدموية الجامدة . لقد حدث تلويث للإسلام وأعتقد أن علي المهتمين بتجديد الخطاب الديني أن يهتموا بتبديد هذه السمعة السيئة في عقول بعض الآخرين، ويردوا بذلك إلي الإسلام طبيعتة السمحة والمثالية . بينما يتمثل البعد الثاني في التأكيد علي مبدأ التدرج حتي يستوعب البشر مضمون التجديد ، ولنأخذ مثال علي ذلك من تحريم الإسلام للخمر حيث تم التحريم علي ثلاثة مراحل ، وقد كان بوسع الله أن

يحرمه جملة واحدة . في البداية قالي تعالي "لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى " وكان ذلك يعني إباحة السكر لكن في غير وقت الصلاة، ثـم انتقـل الـي مرحلة ثانية حينما أشار تعالي الي الخمر بإعتبار أن فيها أثم وفيها نفع لكن الأثم أكبر من النفع ثم أنتقل الي مرحلة ثالثة إلي حيـث التحـريم الكامـل للخمر وعقاب شاربها (١٥١) . ويشير البعد الثالـث الـي دعـوة الجميـع للمشاركة في تجديد دينهم ، حقيقة أن المتخصصـين هـم الـذين يقومـون بالتجديد والعمل به في توجيـة سـلوكياتهم وسـلوكيات الآخـرين بقيمـة ومبادئة . علي هذا النحو يصبح من غير الموضـوعي ولا المنطقـي فـي عملية التجديد عزل حركة الاخوان المسلمين عن المشـاركة فـي نهضـة المجتمع (١٥٢) ، وهم المفروض عليهم كجماعة أن يلعبوا دوراً أساسيا في نشر نتائج التجديد علي الجماهير لتستوعبة وتعمل به . فحركة التجديد هـي فكر وممارسة ، واذا كانت حركة تجديد الخطاب تسـتهدف الديموقراطيـة وحقوق الانسان ، فإن حرمان البعض من المشاركة يعـد مخالفـة لمعـاني الديموقراطية واحترام حقوق الانسان ، وهي ممارسات تتناقض ومتطلبـات التجديد .

ويقف الموقف الثالث علي يسار الموقفين السابقين ، ويضـم جماعـة متنافرة في مفرداتها بعضهم ذو توجهات علمانية غربية، بعضـهم الثـاني متفقه بالدين وإن كان علي قناعة بالعلمانية الغربية، بينما الـبعض الثالـث علي قناعة بالعلمانية وإن كان غير متفقه في الدين، حيث نجده ينطلق فـي أفكاره من فقه الشارع . يطرح هذا الموقف بدورة مجموعة مـن المبـادئ التي يري أنها كفيلة بضبط عملية التجديد . ويتمثل المبدا الأول في تأكيـده علي أهمية أن لا تنطلق جهود تجديد الخطاب الديني مـن نفـس الأسـس

اللاهوتية التي إستقرت في الفكر الاسلامي منذ القرن الثالث الهجري (١٥٣) . يسعي هذا الموقف الي تجديد الخطاب الاسلامي إنطلاقا من أسس جديدة ، حيث تتعلق هذه الأسس بطرح التساؤلات المكبوته أو المسكوت عنها ، مثال علي ذلك يشير النظر الي القرآن – حسبما يذهب هذا الموقف – الي إعتباره محتملاً لأنماط عديدة من المعاني والدلالات ، الحديث منها والقديم ، الأصولي منها والليبرالي ، ويتساءل أشاوس هذا الموقف عن أي المعاني سينتصر ويسود ويقهر المعاني الأخري ويحبسها في سجن الهرطقة والردة والكفر أو الأصولية والتطرف والارهاب ؟.(١٥٤) ويتقدم هذا الموقف الي مبدأ ثاني يحاول تمزيق المقدس في إطار مناخ الحرية والديموقراطية الذي يطالب به ، حيث يطرح هذا المبدأ عدة تساؤلات تتعلق بمعني كلام الله ؟ ما طبيعة الوعي وكيفيتة ، ما معني التنجيم ودلالته، ما معني أن القرآن لم يوح الله به الي محمد دفعة واحدة ، بل نزل مفرقا حسب الأحوال والملابسات ؟ هل القرآن نص واحد أم كثرة من النصوص لكل نص منه سياقة الخاص ؟ لماذا حين جمع القرآن في مصحف لم ترتب النصوص حسب تريب نزولها ، وما حكمة الترتيب الحالي ؟ كيف بدأت عملية الجمع والتدوبن في المصحف وكيف تطورت وما علاقة ذلك بتعدد القراءات ؟ (١٥٥)* .

ومن الواضح أن القول بذلك محاولة للعبث بالنص الديني وليس تجديد الخطاب الديني ، ونتساءل هل ستؤدي الاجابة علي هذه التساؤلات الي تحديث المجتمع ، أليس من المنطقي أن يعمل التجديد علي أعادة تأمل التراث للبحث عن مبادئ وقيم التحديث فيه بدلاً من العمل علي نشر الفوضي في إطاره ؟ والسؤال الذي نطرحة يتعلق بمن الذي فوض هؤلاء

بالعمل علي إعادة ترتيب ديننا ، أن الدين يشـكل المعـاني التـي توجـه سلوكيات البشر في المجتمع ، ومن ثم فالعبث بهذه المعاني يعد أضـرار

*كأن مهمة هذا الموقف أن يمزق أستار المقدس في حياتنا . حتي تتحول الي حياة بلا مثل ولا قيم ، كـأن قيمة المنتمين إلي هذا الموقف هي العمل علي هز رواسخ الأمة حتي يدفعوها الي مزيد من الركوع مستغلين بذلك حماية القوي الطاغية المسيطرة علي العالم والتي تضيق حرية التعبير، أي تعبير ، في كل أمة هنـاك محرمات لا ينبغي المساس أو العبث ها ، كالدين الذي يعتبر جزء من الهوية بخاصة في العالم الاسلامي . في فرنسا حينما رأت أن الحجاب معاد لقيم العلمانية أصدرت قانونا يمنع الحجاب ، بل وفصلت من العمل أو مكان الدراسة كل من يرتديه ، فهل نعمل مثل فرنسا بأن نسكت صوت هؤلاء بأقالتهم من حياتنا ، لأنهم يرتكبون الخيانة لهوية الأمة مستغلين مناخ حرية التعبير أو أن هذا المناخ هئ لهم لكي يقدموا هذا التفكيـر العبثي .

بتراث المجتمع وتشويه لعقول البشر يقوم بها بشر يسعون الي نشر الفوضي في حياتنا ، والله أعلم بالخفايا والنوايا.

ومن خلال المبدأ الثالث يذهب هذا الموقف إلي ضرورة التفرقة في كـلام الله ودلالته لنميز بين "التاريخي والأزلي" فهذا التمييز سـوف يسـاعدنا علـي اكتشاف أن كثيراً من "الحدود العقابية" مثل قطع يـد السـارق وجلـد الزانـي والزانية ، والعين بالعين والسن بالسن الي غير ذلك هـي قـيم سـابقة علـي القرآن . في أطار ذلك يمكن أن ندرك أن "الأزلي" في القرآن هو تحقيق العـدل بالعقاب ، أما شكل العقاب فهو التاريخي ، لا ينبغي أن ننحاز إلـي التـاريخي علي حساب الأزلي (١٥٦). ويتكامل المبدأ الرابع مع المبـدأ السـابق حينمـا يذهب إلي أن الشريعة الإسلامية دون تطوير أو أصلاح لا تصلح لبشرية القرن الواحد والعشرين وأن إصلاحها وتطويرها إنما يكون بتأسيسـها إسـتناداً إلـي النصوص الكونية للإسلام. (١٥٧) علي هذا النحو ينبغي أن يتجة التجديد نحو

قراءة نصوص الشريعة قراءة جديدة متأثرة بالحياة العصـــرية ، كـــذلك بحقـــن الثقافة الإسلامية التقليدية ببعض صور التفكير العقلاني . بالإضافة إلـــي ذلـــك فالشك ينبغي أن يوجة بالأساس إلي النص ، أي نصوص الشريعة ، لأن الـــداء يكمن في نسق النصوص التي تستند إليها الشريعة .. وإذا كانت هذه النصـــوص قد إختارها الفقهاء الأوائل لكونها كانت تنسجم مع حاجة عصرهم ومجتمعـــاتهم، واذا كانت هذه النصوص قد أنبتت حضارات عظيمة شكلت مساهمة المســـلمين في الحضارة الانسانية ، فقد إستنفذت هذه النصـــوص الآن أغراضـــها وفقـــدت صلاحيتها . وقد آن الأوان للمسلمين المعاصرين أن يمارســـوا الجهـــد الـــذي مارسة الفقهاء الأوائل ، بأن ينتخبوا نصوصا أخري مـــن القـــرآن والأحاديـــث النبوية ، هي تحديداً النصوص الكونية للأنســـانية ليجعلوهـــا اســـاس التشـــريع والثقافة والفكر ولكي تساعدهم في بناء حضارتهم من جديد ، حتي يتمكنوا مـــن المساهمة في الحضارة الإنسانية للقرن الأول من اللفية الثالثة. (١٥٨) علـــي هذا النحو ينبغي أن يكون الهجـــر والانتقـــاء مســـتندا إلـــي أســـس القطيعـــة والاستمرار .القطيعة تكون مع الأسس الثقافية التي استنفدت أغراضها وانتهـــت مدة صلاحيتها ، وأصبح استمرارها يشكل عقبة كؤود أمام تقدم الحياة. بينمـــا تتحقق الاستمرارية من استقاء الأسس الجديـــدة مـــن العناصـــر المفتاحيـــة أو النظرية الأساسية للفكر الإسلامي ، تلك القادرة علي التفســـير الكلـــي للقضـــايا وعلي تقديم إجابات منسقة لمختلف القضايا المعاصرة . قد يكون هـــذا الجهـــد التجديدي خروجا علي المألوف ، غير أن الفكر التجديد قد يبدو كصوت نشـــاز. أو تغريد خارج السرب في البداية ، ومن شأن ذلك أن يحدث بمـــرور الوقـــت صدمة في النفوس وتحديا للعقول وإستنفزازا لسدنه القديم وذلك لأنه يأتي للبشر من المستقبل (١٥٩) .

علي هذا النحو يعمل هذا الموقف علي تبديد النص أو المرجعيـة مـن كل اتجاه . هو ينطلق بذلك من خلال رفض إتساق المعاني الاسلامية كمـا تظهر في الكتاب والسنة ، حيث يسقط هذا الاتسـاق أمـام تعـدد المعـاني والدلالات . بالإضافة إلي ذلك يرفض ترتيب عناصـر النسـق الاسـلامي وبخاصة وثيقته الأساسية المتمثلة في القرآن ، حيث يدعو إلي أعادة ترتيبة من جديد كمخل آخر لاشاعة الفوضي في بنائه ، وإنشغال الأمـة بقضـايا أصلاح دينها بدلا من استجماع الطاقة المتجددة في الدين بما يسـاعد علـي عملية التحديث ومواجهة التحديات . ثم بعد ذلك يسعي إلـي التأكيـد علـي تخلف الشريعة عن حركة الواقع دون أن يتأمل طبيعة الظروف أو الشروط التي ينبغي أن تراعي لتطبيق الحدود ، ثم هو أخيراً يري المبادئ الكونيـة للاسلام هي المصدر الذي ينبغي أن نقصده لإنجاز جهود التجديد والتحديث ، وليست الشريعة لكونها تاريخا أو ثقافة قديمة إرتبطت بعصر قـديم . إذا تأملنا المبادئ التي طرحها هذا الموقف لضبط عملية التجديد ، فسوف نجـد أنها سوف تقود في النهاية إلي تقويض أسس الدين وتبديد هويتـه ، وهـو هدف الخارجين علي الأمة أو الساعين إلي تبديد وجودها .

ج – **منطق تجديد الخطاب الديني :** عرضنا المرجعية التي ينبغـي أن ينطلـق منها التجديد ، ولاحظنا تباين المواقف المختلفة من المرجعية التي ينبغي أن تكون ضابطة لعملية التجديد ، بالإضافة إلي فإننـا قـد عرضـنا للمبـادئ الأساسية التي يمكن تتم عملية التجديد في ظلها. ونهتم فـي هـذه الفقـرة بالمنطق الذي ينبغي تتحقق إستناداً إليه عملية تجديد الخطاب الديني ، ومـا هي العناصر الأساسية التي يمكن أن تشكل بناء هذا المنطق . إستناداً إلـي

ذلك ينقسم المهتمون بتجديد الخطاب الديني إلـــي ثلاثـــة مواقــف . يـــري أصحاب الموقف الأول ان التجديد مطلـــوب بإعتبـــاره يســـتجيب لواجـــب الوقت، فقد أكدت وثائق الاسلام الأساسية علي التغير دون الثبات ، فـــالتغير سنه الله في خلقه ، وهو ما يعني أن الواقع الذي نعيش فيه متغيـــر ، ومـــن الطبيعي أن يكون النص القرآني يحتوي هو الاخر علـــي رؤيـــة للتغيـــر ، طالما إتفقنا علي كونه نص مطلق وشامل وصادر من عند الله تعالي . علي هذا النحو فالتجديد مطلوب غير أنه ينبغي أن يحترم الـــنص ويلتـــزم بـــه ، ويجتهد في الاسنباط والاستنتاج إجتهاده في التوظيف والاسترشاد من وراء البرهان والحجة والدليل والإقناع .وإطلاقا من سمو الهدف ورغبة النهوض وتجاوز العثرات والكبوات التي قد نقع فيها إذا لم نتملـــك أدوات الاجتهـــاد ونتسلح بأخلاقيات المجتهدين (١٦٠).

ذلك يعني أن هذا الموقف يدعو لمحاولة البحث عن تكشف النص عـــن معاني جديدة من خلال الأدوات المنهجية التي يقرها الاســـلام . فـــي هـــذا الاطار نجد للقرآن منهجة وضوابطه التي نستطيع بالاستناد إليهـــا مواجهـــة مختلف الإشكاليات بالنظر التي تقدم الإجابات لهذه القضايا أو المشـــكلات. هذا النحو يوجد كتاب وميزان وقسط علي ما يذهب المنتمين لهذا الموقـــف مستشهدين في ذلك بالاية الكرمة "لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنـــا معهـــم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شـــديد ومنـــافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز *الحديد* آية ٢٥ " . فالقرآن ليس آيات تتدفق تبعا لكل منهج وغرض، ولكنـــه يتضـــمن وجود ميزان "منهج" ضابط للتناول ، وبصرامة كحديـــد الأرض الصـــلب . ومن ثم يصبح القول بأن الإسلام إشتراكي أو رأسمالي أو حتي علماني انما

هو قول غير منهجي ، فالإسلام ليس أي من هــذه التصــورات المنهجيــة السابقة بل شئ يختلف عنها. أنه هو في ذاته ، الاسلام اســلامي بطبيعتــه وذاته ، وموافقة نابعة من ذات منهجيته . علي هذا النحو لا ينبغي أن نعقــد تماثلاً بين شوري الاســلام والديموقراطيــة الغربيــة ، ولا يمكــن القــول بديموقراطية الاسلام . فالفارق بــين النســقين قــائم نهجيــا . وإذا كانــت الشوري لم تطبق في الاسلام في تاريخنا من بعد الحقبة النبوية الشــريفة إلا لماما وجزئيا ، فإن الأمر المؤكد أن للشوري الإسلامية منهجها الاســلامي. (١٦١) يري هذا الموقف أن ثمة تحديد واضح للمنهج الاسلامي ، كما يري ان الاسلام له منهجة الذي هو أساس تصورة أو نظرته للحياة ، وإذا أردنــا أن نفهم هذا المنهج ، فلابد أن نتلمسه من داخل الاسلام ، وحسب القواعــد التي أقرها الاسلام كذلك .

الموقف الثاني ملتزم بالمرجعية الإسلامية ونصوصها ولــو أنــه راي أهمية التجديد في تأمل هذه النصوص ولو بآليات وأدوات حديثة ، غير أننــا لا ينبغي أن نفعل طرفه عين عن طبيعتها وعن كونها نصوصــا مقدســة لا ينبغي المساس بها.(١٦٢) تأكيداً لذلك يذهب هذا الموقف قــائلاً "لقــد ظــل القرآن يفهم وإلي يومنا هذا في المعاهد الشرعية والكليــات والأكاديميــات بوسائل وآليات منضبطة . تتمثل في دلالات الألفاظ المعجميــة فــي لغــة العرب وعلوم النحو والصرف ودلالاتها ، وأصول الفقة والمنطق الصوري وهو القدر المتفق عليه بين الفقهاء مثل الكل اكبر من الجــزء وأن الســماء فوقنا والأرض تحتنا . بالإضافة إلي وسائل أخري تساعد علي فهم الــنص المقدس منها مراعاة السياق وكيفية التعامل مع أسباب النزول، بحيث يقــود ذلك إلي الأخذ بها في مواطن وعدم الأخذ بها والعبرة بعمــوم اللفــظ فــي

مواطن أخري. (١٦٣) بالإضافة إلي ذلك فإن القرآن متعدد الرؤى ، ويـــتم إدراك معانية بأدوات مضبوطة ، ولا يترك لأي شــخص أن يفهمـــه كمـــا يشاء. ومن هنا جاءت أزمة بعض الباحثين الــذين حـــاولوا فهـــم الـــنص القرآني بغير أدواته ، وأعتبرت محـــاولاتهم ذات طبيعـــة عبثيـــة . ومـــن الطبيعي في هذا الاطار أن ترفض البنيوية والتفكيكيـــة والمـــذاهب الأدبيـــة التي عاملت النص القرآني كما لو كان نصا بشريا يمكـــن التلاعـــب بـــه. (١٦٤) ذلك يعني أن فهم النص القرآني يتطلب المعرفـــة بـــادوات محـــددة يفتقدها غالبية المطالبين بضرورة التجديد . ذلك أنه لكي نسعي إلـــي فهـــم مضامين أو معاني النص فإنه من الضروري أن يكون لـــدينا المـــنهج وأن نمتلك الأدوات والإمكانيات التي تيسر لنا ذلك .

نفس الأمر بالنسبة للمطالبن بتأويل الـــنص ، وقـــد بـــدأت المطالبـــة بالتأويل إستناداً إلي الجهـــود التـــي بـــدأها "شـــلاير مـــاخر" فـــي نطـــاق الهرمينوطيقا، حيث التأويل بدون الأدوات التقليدية ، وإســـتبدالها بـــأدوات حديثة كالأسلوب الذي بشر به العالم البكســـتاني "فضـــل الـــرحمن" وهـــو الأسلوب الذي يدرس في الجامعات التركية لتجديد الدين . غير أنه يختلـــف عن التاويل المنصوص عليه في الكتاب . وإرتباطا بذلك هناك تأويل قام به المفسرون غير أنه كان تأويلاً منضبطا غير منفلت ، تأويل يخضع لمـــنهج وأدوات محددة. ذلك أنه إذا كان التأويل بدون أدوات وغير منضـــبط فإنـــه يعتبر نوع من العبث أو التأويل المنفلت ، نموذج لذلك إنحرافـــات التأويـــل التي ذهبت اليها الباطنية. والتي أكد فيها أن الصـــلاة تعنـــي التوجـــه إلـــي الإمام، والصيام هو كتم سر الإمام ، والحج هو قصد الإمام. لقـــد حـــدثت

أنحرافات التأويل هذه بسبب الخروج علي المنهج وعدم أمـتلاك الأدوات ، وكذلك الخروج علي النحو والصرف ودلالات اللغة (١٦٥) .

يؤكد هذا الموقف أيضا علي أنه لقراءة النص في محاولة لفهمة ينبغـي أن تراعي قاعدتين ، الأولي تتعلق بطبيعة النص القرآنـي أو كثيـر مـن الأحاديث الموثوق بها . حيث نجد أن الـنص متجـاوز للزمـان والمكـان بطبيعته، ومن ثم فهو قابل للفهم المتعدد، لكونه يقدم معاني متنوعة للواقـع المتغير وإن لم تكن هذه المعاني متناقضة أبداً . فقد قال الله تعالي "سـنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم" وقال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه "أنه جمال أوجه "وقال الرسول "صلي الله عليه وسلم" "لا تنتهـي عجائبـه" كما قال تعالي فيه "هدي للمتقين" . علي هذا النحو فالنص يقـرأه مـن أراد العبث به فينغلق عليه ويقرأ المؤمن المتقي فتتكشف أمامه معانيه . ذلـك أن القراءة الذاتية للنص قائمة وتأويله مستمر، غير أن التأويل ينبغي أن ينجـز وفق قواعد ضابطة ، تساعدنا علي استكشاف معاني موثوق بهـا للـنص ، تعكس بعض حقيقته . وتتمثل القاعدة الثانية في ضـرورة معرفـة الواقـع بنفس درجة معرفتنا للنص حتي يتحقق الإدراك السليم . في هـذا الاتجـاه لابد أن نبذل جهوداً تستهدف إعادة تأمل النص بصورة مستمرة لإستكشـاف معاني جديدة، متنوعة ومتغيره . وتحتمل إطلاقية النص أن تستكشـف فـي إطارها معاني نسبية عديدة. ذلك لأن واقعنا الأن يختلف عن الواقـع الـذي كان يعيش في أطارة المسلمون الأوائل ، حيث كان واقعهـم غيـر متغيـر بمعدلات عالية ، أما واقعنـا الأن فقـد أصـبح متسـارع التغيـر بسـبب التكنولوجيا وشبكات الاتصال الحديثة ، فقد أصبح العالم الذي نعـيش فيـه يشكل من قرية صغيرة (١٦٦).

ويؤكد هذا الموقف الذي يسند عملية التجديد إلي حالة متوازنة ومتفاعلة بين النص والواقع علي أهمية بناء النموذج المعرفي الإسلامي الذي يشكل حلقة بين التراث والوثائق الأساسية للإسلام وبين احتياجات العالم الواقعي المعاصر المتجددة والمتغيرة ، نموذج يمتلك القدرة علي ترشيد تجديدنا لإبداع فقة جديد يلائم أحوال الواقع المتغير ، وقادر علي إنتاج الأحكام التي تستطيع تنظيم تفاعله. ويتم بناء هذا النموذج المعرفي من خلال اشتقاق عناصر من المبادئ الأساسية للإسلام ومقاصدة الخمسة أو هذا النموذج من شأنه أن يساعدنا في التعامل مع الأحداث إما بالقبول أو الرفض (١٦٧) ، كمايوجهنا إلي الأسلوب الأمثل للتعامل مع الواقع المتغير وإصدار الأحكام ، بحيث يصبح هذا النموذج المعرفي هو الإطار الذي يستبعد شطط التفسير والتأويل ، ويحافظ دائماً علي إستنباط الأحكام التي تعكس روح النص وفي ذات الوقت هي الأحكام الأكثر ملائمة للواقع المتغير .

علي يسار الموقفين السابقين نجد الموقف العلماني ، الذي يعتمد بالأساس منهج النقد باعتباره المقدمة الضرورية لنقد الخطاب الديني . يؤكد هذا الموقف أن الخطاب الحافز علي الازدهار والتقدم هو الخطاب الذي يعلي من شأن النقد ، نقد الواقع ونقد التراث سعيا لبلورة إجابات معاصرة تتناول مشكلاتنا المختلفة بالأساس. (١٦٨) حيث يتضمن هذا الخطاب النقدي علي ما يذهب المنتمين لهذا الموقف تجديد الخطاب بما يجعله مستجيبا لاحتياجات الواقع وشروطه . بالإضافة إلي ذلك يري هذا الموقف أن هذا النقد ينبغي أن يكون محكوما بثلاثة قواعد أساسية. القاعدة الأولي تفرض لزومية الحرية لنجاح هذا الخطاب النقدي في تحقيق أهدافه ، فبدون

الحرية التي تعني رفض القيود لن يزدهر فكر ، وبدون الفكر الحر فلن ينجح أي مشروع ، مصنعا كان أو مزرعة دواجن . ذلك يعني أننا في حاجة ملحة وعاجلة لحرية البحث في التراث الديني بوصفه شرط أولي للتجديد . (١٦٩)

وتتمثل القاعدة الثانية في ضرورة أن يتجه النقد إلي قتل القديم بحثا عن الجديد أو بحثا عن العناصر الحية أو المتجددة في إطاره . في هذا الإطار قال الشيخ أمين الخولي "أول التجديد قتل القديم بحثا"، ولا يفهم معني القتل إلا في سياق الخطاب التجديدي للشيخ، حيث يقول " تعد الفكرة حينا ما كافرة تحرم وتحارب ثم تصبح مع الزمن مذهبا، بل عقيدة وإصلاحاً تخطو به الحياة خطوة إلي الإمام". إنها سنه الحياة المتطردة المتكررة في حياة الفكر الانساني عامة ، وفي حياة الفكر الديني بصفة خاصة . هذه الظاهرة المطردة لا تعني أن التجديد وثب في فراغ ، أو سعي نحو مجهول . أنه يبدأ من قتل القديم بحثا، ولكنه لا ينتهي عند هذا . فقتل القديم إنما يعني تسليط منهج النقد التاريخي بضوئه الكاشف ليميز بين ما في التراث من عناصر قابلة للنماء ، وما فيه من عناصر جفت وصارت من شواهد التاريخ. (١٧٠) وتشير القاعدة الثالثة إلي أن عملية التجديد تتطلب رفع الحصار عن العقل فإذا تأكدت هذه القاعدة أو هذا الشرط فإن التجديد ينبغي أن يكون بلا ضفاف . وهو ما يعني أن الحديث عن ضرورة وجود مناطق فكرية آمنة بمعزل عن التساؤل والنقد والنقاش الحر هو مقدمة للحجر علي العقول، وممارسة سلطة رقابية لا وجود لها في تاريخ الفكر الاسلامي، وحين وجدت كانت هذا إيذانا ببداية النهاية، ودخول عصر الجمود والانحطاط في مختلف المجالات، وليس في مجال الخطاب الديني

وحدة. (١٧١) وإذا كان هذا الموقف يؤكد علي النقد كآلية نمتطيها لتجديد الخطاب الديني، فإن هذا النقد لكي يصبح نقدا منطقيا فإنه ينبغي أن يتم بالنظر إلي المرجعية الإسلامية في مبادئها ومقاصدها الأساسية. غير أنه إذا تم من مرجعية مخالفة فإن المنطقية تنتفي عنه لأنه في هذا الحالة يسعى إلي تحريك النص موضوع النقد ليتبنى طبيعة مضمون المرجعية المضادة التي ينطلق منها النقد ، وهو الخطأ الذي وقع فيه هذا الموقف . حيث ذهب إلي نقد الخطاب الاسلامي السلفي بالنظر إلي الأطر التصورية للمرجعية الغربية ، الأمر الذي يعني الوصول إلي نتائج محددة سلفا ، وهي بطبيعة الحال نتائج رافضة لمضمون الخطاب الاسلامي ، ومؤكدة علي عدم تلاؤمة مع الواقع المعاصر . فالنقد العلمي الموضوعي للخطاب الديني ينبغي أن يكون بالنظر إلي مرجعيتة ، فإن لم يكن فبالنظر إلي مرجعية الواقع الذي قد يتجاوز إمكانيات الخطاب – غير الديني بطبيعة الحال – أما نقد الخطاب بالنظر إلي مرجعية أخري أو مضادة ، وهي المرجعية العلمانية فأمر يجانبه الصواب .

د – آليات تجديد الخطاب : من المنطقي أن تتكامل آليات تجديد الخطاب الديني مع المبادئ الأساسية التي تضبط عملية التجديد ومع المنطق الذي يتحقق به التجديد ذاته . ونقصد بالآليات هنا مجموعة الوسائل التي يمكن أن تعيننا في تحقيق التجديد بالنظر إلي منطقة وبما لا يخون مبادئه . ونحن اذا تأملنا هذه الآليات فسوف نجد أنها قد تآثرت كذلك بظلال المواقف المختلفة وطبيعة توجهاتها الأساسية في تجديد الخطاب .

يتأكد ذلك أننا اذا نظرنا إلي الموقف الديني المتشدد نسبيا والذي يخلع علي النص المتمثل في القرآن والسنه قداسة هي لازمة له ، ويوسع هذه القداسة أحيانا لتشمل فقة الأئمة الربعة السابقين . إرتباطا بذلك فإننا نجد أن هذا الموقف يري أن الإطلاع علي إجتهادات السابقين يعد أحد الآليات الرئيسية لتجديد الخطاب الديني ، حيث تعني إعادة قراءة أعمال السابقين وفرزها بالكامل لاستخراج ما يصلح منها وتطويره واستبعاد غير الصالح منه ، سواء بحكم كونه خاطئا منذ البداية أو بحكم انتهاء صلاحيته الزمنية التي وجدت في زمانها . وقد أشار القرآن الكريم إلي هذا الشرط بعمق شديد وبلاغة أخاذة حينما قال تعالي "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه" ، فدل عز وجل علي أن الإتباع المأمور به حتي للسابقين الأولين من المهاجرون والأنصار هو الأتباع بإحسان أي بتجديد وتطوير ، وهو ما لا يمكن إثباته إلا بحاسة النقد الرشيد ، الذي يفرز الصالح من الطالح. وهو ذات المنهج الذي أتبعة القرآن الكريم مع المجتمع المسلم علي عهد نزول الوحي حيث داوم عزل وجل علي تقويم سلوك المؤمنين ، ونقد أفعالهم ومتابعتهم بالإرشاد والتقويم . وذلك علي عكس مطلق الأتباع في الصحيح والخاطئ المنهي عنه صراحة بحديث الرسول "صلي الله علية وسلم" بقوله "لا يكن أحدكم إمعة... ويتكامل مع ذلك إعادة إكتشاف الرؤى المنهجية في النصوص المرجعية للجماعة، وهي القرآن الكريم والسنة المستندة إلي أحاديث الرسول بشرط اتفاقها وتوجهات القرآن الكريم ، ذلك الآيات المكية والمدنية في القرآن ، وتدرج التشريع والنسخ عند من يقولون به ، وصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان حتي يوم القيامة ، وبلاغة القرآن

الكريم والأيمان بالقضاء والقدر ، حيث تضمنت هذه الأمـور رؤى وأدوات تقدم أوسع الأفاق لأي حركة إحياء أو تجديد علي امتداد عمـر الـدنيا مـن وقت البعثة وحتي يوم النفخ في الصور وهي أمور جري إهـدارها وعـدم النظر غليها بصورة كاملة. (١٧٢)

ولا يخرج الموقف الثاني علي المرجعية وأن كان لم يمتنع عن السـعي للاستفادة من منجزات الحضارة الغربية الحديثة بما يساعد علـي التجديـد الرشيد في الخطاب الاسلامي . في هذا الإطار نجد أن هذا الموقـف يشـير إلي ثلاثة آليات رئيسية يمكن أن تساعد في عملية التجديد. وتتمثـل الإليـة الأولي في ضرورة أن لا ينغلق النص الديني علـي ذاتـه ، يبحـث عـن التجديد من داخله، بل عليه أن ينفتح علي العلوم الحديثة، بخاصـة العلـوم الإنسانية كعلم الاجتماع والآنثروبولوجيا واللغويـات والقـانون والسياسـة وتاريخ الأفكار والاقتصاد والسكان والجغرافيا البشرية والفنـون والثقافـة. حيث تسعي هذه العلوم إلي استخلاص الحقائق والتفاصيل المتعلقة بتكـوين الواقع الراهن وإحتياجاته والقواعد الفعلية التي تحكم حركته. حيث نحتـاج إلي أن نتزود بنتائج هذه العلوم في إجتهاداتنا البشـرية الدينيـة أو خطابنـا الديني المعني بإدارة شئون الـدنيا، التـي هـي المجتمـع الـذي نصـنعة بإختياراتنا وأعمالنا ونعيش فيه، وهي الأرض التي كلف الله تعالي الإنسـان بعمارتها. وحتي نتمكن من أداء هذه المهمة وأن نقوم بعملية تجديد خطابنـا بما يساعدنا علي آداء هذه المهمة فإننا مطالبين بأن نتـزود بحقـائق هـذه العلوم فيما يتعلق بواقع المجتمع ، حتي يستطيع الإنسان أن ينفذ ما كلفة الله به خير تنفيذ من عمارة الدنيا، حيـث أن ذلـك لـيس بالشـئ الجديـد ولا بالمستغرب. فالقراءة الفاحصة الواعية لسير حيـاة العشـرات مـن كبـار

الأئمة الأوائل من أصحاب المذاهب أو المدارس الفقهية المؤسسين وكبار شيوخ تلك المذاهب والمدارس في عصر إزدهار الحضارة والثقافة الاسلامية ، سوف يكشف لنا إتساع وعمق معرفتهم بتلك العلوم أو ما يقترب منها في عصرهم. وهي العلوم التي تراوحت بين التاريخ السياسي أو ما نسمية الآن بالتاريخ الاجتماعي والتاريخ الثقافي للعرب وللشعوب الأخري التي إستعربت بعد إسلامها ، أو تلك التي دخلت الاسلام ولم تستعرب ومن علم السياسة والعمران (الاجتماع) كما إستفادوا بعلوم اللغويات والمنطق والعقل والتفكير ، وعلوم تاريخ العقائد والعادات ، وما نسيمة الآن بعلم الأنثروبولوجيا . ومنذ أواخر القرن الثالث الهجري سوف نجد أن الكثيرين من هؤلاء الأساتذة العظام قد درسوا أيضا الفلك والطب والرياضيات . بحيث أننا سوف نكتشف في أعمالهم التي تحتوي علي إجتهادات في شئون إدارة مجتمعاتهم الاستفادة الواعية بهذه العلوم والوعي الكامل بأثر التغير الاجتماعي والثقافي والسياسي علي إجتهاداتهم، أي علي تجديدهم للخطاب الديني. (١٧٣)

وتشتق الآلية الثانية التي يؤكد عليها هذا الموقف من الآلية الأولي التي أشاد بها ، والتي تتمثل في ضرورة الاستفادة من منجزات العلوم الحديثة في فهم الواقع الاجتماعي من حيث طبيعتة وظواهره وحاجاته إلي التجديد . وعلي هذا النحو فإنه من الضروري التعرف علي مكونات الثقافة الحياتية المعاشة واللغة وآليات التفكير، وغير ذلك من مكونات الحياة الاجتماعية الفعلية للبشر في واقع مجتمعاتهم. وهي الجوانب التي درستها بعمق الآن علوم متخصصة في مختلف جوانب البناء الاجتماعي، استطاعت أن تمتلك الحقائق وصنوف الفهم الخاصة بهذه الجوانب بما يمكن

أن يساعد علي إنتاج خطاب ديني يتلاءم مع مستجدات الواقـع والعصـر ، وإلا تخلف خطابنا وتخلفت مجتمعاتنا عن هذا العصر . فمع كل ما نعرفـه عن تغير كل من الواقع والعلوم التي تدرس شئونه فإننا نعتقـد أن خطابنـا الديني المعاصر يحتاج إلي الاستفادة الواعية من نتائج ومستخلصـات تلـك العلوم لكي يسهم بحق في تجديد خطابنا الديني بما يسـاعد علـي مواجهـة متغيرات عالمنا المعاصر وضروراته والتعامل معها بالكفـاءة المطلوبـة. (١٧٤)

وتذهب الآلية الثالثة التي يشير بها هذا الموقف إلي ضرورة أن نعمـل في تجديدنا للخطاب الديني بإتجاه أن تكون لديه قابلية التفاعل مـع الآخـر، والسعي للإلتقاء معه علي مسـاحة مشـتركة، والآخـر هنـا لـه دوائـره المتتابعة . وإذا كنا نتحدث عن الخطاب الديني فإنه من المنطقي أن نتحدث عن الآخر الديني كذلك . ويعتبر الآخر الديني هو الآخر الأصيل والأهلـي الذي ينبغي أن نهتم به داخل الوطن . في هذا الاطار مـن الضـروري أن ننقي خطابنا الديني حتي لا يجرح مشاعره أو مرجعيته، علينا أن نـدرك أن خطاباتنا الدينية ترجع إلي أصل واحد هو الله تعالي الذي أنزل كـل شـئ ، فقد قال تعالي " يأأيها الناس إنا خلقنا كم من ذكر وأنثي وجعلنـاكم شـعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم *الحجرات* آية ١٣ " علي هـذا النحو علينا أن نجعل خطاباتنا تتجه نحو تشكليل ثقافة مشتركة بيننا ، وهـو ما يعني إدراك تعبير الأنار والآخر بإعتبار أنه غريب علي سياقه .

بالإضافة إلي ذلك هناك الآخر الخارجي أي الآخـر الغربـي، الـذي لانشترك معه في مواطنه ، في مواجهة علينا أن نعمل علي توسيع قنـوات التواصل معه بحثا عن ممكنات التكامل والشمول إستناداً إلي صيغ رشـيدة

ومرنة . في هذا الاطار من الضروري التوضيح للآخر بأن خطابنا ليس عدوانيا يرفضه ولكنه خطاب يسعي إلي الإلتقاء معه . ولتحقيق ذلك فإنه من الضروري التحرك بإتجاه تطوير وعي الآخر وعلي ساحته تعرض ملامح خطابنا بصورة رشيدة له في قنوات هذا الآخر وعلي أرضه ، وأن نترجم مؤلفاتنا المعاصرة التي تهتم بهذا الموضوع إلي لغة الآخر بحيث يسهل توصيلها علي غرار ما كان يفعل قلم الترجمة في دار الحكمة في عصر هارون الرشيد ببغداد ، أو من خلال زيادة عدد المواقع علي شبكة المعلومات لنقدم خطابنا الديني المجدد حول بعض القضايا ذات الاهتمام المشترك كقضايا المراة وحقوق الإنسان والأقليات ، وينبغي أن تساعد في ذلك مراكزنا الثقافية الأسلامية ، بحيث نساهم بخطابنا الديني المتجدد والمعتدل والملتزم بمرجعيته علي الغاء أي تشويه للأسلام ، وأيضا علي نشر ثقافة الأمان في نظامنا العالمي المعاصر .

يعتمد الموقف الثالث أيضا عدداً من الآليات التي تتكامل مع قناعاته . أول هذه الآليات أن نخلع عن المقدس قداسته ونتحرك مباشرة إلي نصه بنقده وفق أسس جديدة ، أو نموذج معرفي جديد علي ما يذهب المنتمين لهذا الموقف . فالنص سوف يتحول حينئذ إلي مجرد نمط من النصوص الذي يتساوي مع أي نصوص أخري . يذهب هذا الموقف إلي أن تجديد الخطاب الديني ينبغي أن ينطلق من أسس غير تلك التي استقرت في لبفكر الاسلامي منذ القرن الثالث الهجري . والإ بقي التأويل آداة لقراءة الحداثة في النصوص لا لفهم النصوص في ذاتها . لقد استعرضنا بعض نماذج للقراءات التحديثية ولا حظنا ما تنطوي عليه من مخاطر إستعادة المعني التقليدي من براثن المعاني الحداثية . يحدث ذلك طول الوقت وبوتانر

منتظمة ، لأننا جميعا ننطلق من نفس المفهوم ، مفهــوم القــرآن كــلام الله الأزلي القديم ، وصفه ذاته الأزلية القديمة ، وهو نفس التعريف الذي يسوغ " أسلمة المعرفة" و "أسلمة العلوم" بالقدر الذي يسوغ العنف والقتل والتكفيــر بإسم الله ..اذا كان كلام الله هو صفة ذاته الأزلية القديمة ، فاللغــة العربيــة قشرة علي معانية كما يقرر الغزالي – الأشعري- فــي جــواهر القــرآن ، وبما هي قشرة فإن علوم اللغة والبلاغة والأســلوب والدلالــة هــي علــوم مهمتها إزالة القشور للبحث عن الدرر والجواهر الكامنة، أي أن كل أنــواع العلوم ، ما كان منها وما هو كائن وما سيكون . ولآن كلام الله –القــرآن- هو صنعة ذاته الأزلية القديمة ، فهو أيضا يتضــمن الحداثــة بكــل قيمهــا ومفاهيمها وفلسفاتها كاملة بنفس القدر الــذي يبــرر بــه القتــل والتكفيــر والاقصاء والاستبعاد بالازيادة أو نقصان" (١٧٥) . علي هذا النحو نجد أن توسيع هذا الموقف لمساحة الحرية في التعامل مع النص يتم لخلق حالة من الاجتراء عليه تمهيداً للخروج منه أو تقليص فاعليته وإعتبار أن ذلك نــوع من التجديد .

وتتمثل الآلية الثانية التي يعتمدها هذا الموقف لتبديد الخطــاب الــديني وليس تجديده بتحويل الدين والأديان إلي مجال للدراســة العلميــة ، بحيــث يؤدي ذلك بدوره إلي تفكيك أواصر الدين ، والأهم هو خلع القدســية عــن الدين في حالة التعامل معه أو تناول نصوصه بالبحــث والتحليــل العلمــي تحت زعم القيام بتجديده وهو الحق الذي اريد به باطل . ويجسد ذلك أحــد المنتمين إلي هذا الموقف قائلا "في مناخ ديموقراطي يحمــي حريــة الفــرد وحقه في الاختيار ، يمكن الحديث عن حريــة البحــث العلمــي والــدرس الأكاديمي في حقول المعرفة كافة . وفي حقــل المعرفــة الدينيــة بصــفة

خاصة . ولعله من الممكن حينئذ الحديث عن إمكانيـــة وجـــود مؤسســـات أكاديمية لدراسة الأديان ، لا لمجرد تعليم الأديان كما هو الحال فـــي العـــالم الاسلامي كله، ولكن بهدف البحث في الأديان من حيث تاريخهـــا وبناؤهـــا ولاهوتها ، مناهج التفسير وطرائق التأويل ، وكذلك بنية مؤسساتها والفـــرق بين العقائد والدوجما .. الخ ، وهو أمر يختلف إختلافا جوهريا عن الـــدور الذي تؤديه مؤسسات تعليم الأديان ، حيث لا مجال لتعليم العقائد الصـــحيحة من منظور المؤسسة والتمييز بينها وبـــين العقائـــد الباطلـــة مـــن منظـــور المؤسسة كذلك . وحين تنشأ مؤسسات البحث في الأديان ، يمكـــن تأســـيس علم الأديان المقارن وهو علم غائب عن مؤسسات تعلـــيم الأديـــان . ومـــع تحقق بعض تلك الشروط يمكن إثارة الأسئلة ، وفتح باب النقاش الحر فـــي كل القضايا المكبوته والمحبطة ، لا المسكوت عنها فقط . يمكن أن يصـــبح "اللامفكر فيه" بتعبير "محمد أركون" موضوعا للنقاش." (١٧٦) وهـــو مـــا يعني أنه إذا كان هذا الموقف من خلال آليته الأولي لتجديـــد الخطـــاب قـــد نزع عن الدين قدسيته وعن النص حصانته ، فإنه من خلال الآليـــة الثانيـــة يسعي إلي الهبوط بمكانة الدين من فوة اعتقادية فعاله تتولي ضبط التفاعـــل الاجتماعي في المجتمع وقادرة علي استنفار طاقات التحدي والمقاومة عنـــد البشر ، إلي جسد مريض أو ميت تتولي مؤسسات علوم الأديان تشـــريحة . وإذا كان نيتشه في أوربا قد قال في القرن التاسع عشر " أن الله قـــد مـــات" فيبدو أن ثمة أشاوس مسلمين علي أرض الاسلام شغوفين بتقليده ، تواقـــون إلي نطق ذات العبارة علي أرض الاسلام .

خامسا : تجديد الخطاب الديني في سياقه الاجتماعي

يبدو أن تردي الأوضاع السياسة والاجتماعية جعلت مختلف الأطـراف علي تقارب كبير فيما بتعلق بالسياق الاجتماعي الذي ينبغي أن يتحقق فيه تجديد الخطاب الديني . ذلك أن المثقفين المهتمين بتجديد الخطاب الديني علي اختلاف أطيافهم لم يعد بإمكانتهم أمتلاك ترف الاختلاف أمام ظروف بلغت من التردي بحيث خلقت أقصي حالات الأتفاق بين أصحاب المواقف المتناقضة. يكفي أن أقول أن مستوي السكان تحت خط الفقر توجد مؤشرات تقدرة بنسبة تتأرجح بين ٤٠- ٥٠% وأن السكان تحت خط الفقر المدقع تصل نسبتهم إلي ٢٥% من النسبة السابقة ، يضاف إلي ذلك ارتفاع معدلات الفساد، واستمرار حالة الاستقطاب الاجتماعي وتعمق أزمة الطبقة المتوسطة. الأمر الذي أنتج جرائم اجتماعية اكتست بطابع أخلاقي يشير ليس إلي انهيار ما هو اجتماعي فقط ولكن إلي ما هو أخلاقي كذلك نذكر أمثلة علي ذلك إنتشار جرائم تعاطي المخدرات ، والاغتصاب ، والزواج العرفي خارج إطار الشرعية بين الشباب . ولأن تجديد الخطاب يناقش علي خلفية أوضاع السياق الاجتماعي وما يجري فيه، فقد دفعت أوضاع السياق الاجتماعي المتردية إلي التقريب بين وجهة نظر المختلفين أو المتجادلين دائماً ، وهو ما يعني أن تردي السياق الاجتماعي وضع نهاية للجدل وإستبدله بتوسيع مساحة الإتفاق .

في هذا الإطار فإننا سوف نناقش تجديد الخطاب الديني بالنظر إلي سياقه الاجتماعي في نطاق ثلاثة أبعاد أساسية ويتمثل البعد الأول في وجهات النظر التي عبرت عنها المواقف المختلفة فيما يتعلق بتجديد الخطاب الديني في إطار حالة من الإصلاح الشامل، بينما يركز البعد الثاني علي ربط تجديد الخطاب الديني بتجديد أو إصلاح الخطابات الأخرى، علي

حين يركز البعد الثالث علي الربط بين تجديد الخطاب الديني وعملية الإصلاح السياسي .

وفيما يتعلق بتجديد الخطاب الديني في إطار حالة من الاصلاح الشامل نجد تأكيدا علي تجديد الخطاب الديني بإعتباره يرتبط بصورة أساسيه العملية التجديد الإجتماعي والسياسي . حيث لا يمكن الشروع في تجديد الخطاب الديني بدون الشروع في نوع من الاصلاح الاجتماعي والسياسي الشامل الذي يؤسس دعائم الدولة الديموقراطية التي تضمن التعددية وتحمي الحريات العامة إضافة إلي حرية الفرد وحقه في التفكير والإختيار، وهو الحق الذي يمكن أن يطلق حريات البحث العلمي وبخاصة في مجال الدراسات الاجتماعية . ويتضافر مع ذلك أن الخطاب الديني لن يؤتي ثماره المرجوة بدون الاصلاح الثقافي المجتمعي الذي ينطلق ليخلق حالة فكرية واجتماعية وسياسية عامة. (١٧٧) تساعد علي إنطلاق المجتمع علي طريق التحديث والتقدم . يؤكد الخطاب الديني المسيحي علي نفس المنطق حينما يذهب إلي أهمية أن يكون لدي المجتمع ما يمكن أن نسمية Brain Trust "هيئة الخبراء" الذي يضم بداخله خطابات كل ألوان الطيف الموجودة بالمجتمع في الاقتصاد والسياسة والثقافة، في الدين المسيحي والاسلامي علي السواء. حيث يقدم المتخصصين في كل مجال خطابهم الذي يكون أشبه بمشروع قومي يشخص واقع المجال وكيف نصلحه أو نجدده لننطلق به إلي المستقبل. وإستناداً إلي هذه الخطابات المتنوعة بمكن أن نقدم رؤية شاملة أو إستراتيجية تقود تطور المجتمع ولأن الوحدة في التنوع ، فإنه من الممكن أن نصل إستناداً إلي هذه الخطابات المتنوعة إلي المشروع القومي للاصلاح والتجديد (١٧٨) أو ما يمكن تسميته بتجديد أو

إصلاح الخطاب العام . وأذا كنا قد أشرنا إلي ضرورة التجديد الشامل ، أو تجديد الخطاب الديني علي خلفية تجديد السياق الاجتماعي والخطابات المتعلقة به في مختلف مجالاته ، فإنه من الضروري أن يستهدف تجديد الخطاب الديني تطوير الظروف التي تيسر تقدم المجتمع ، وكذلك الشروط التي تتولي ضبط ذلك (١٧٩) .

ويسعي الموقف الثاني المهتم بتجديد الخطاب الديني علي خلفية السياق الاجتماعي إلي محاولة ربط تجديد الخطاب الديني بتجديد الخطابات الأخري . بداية يذهب هذا الموقف إلي التأكيد علي أن الخطاب الديني في المجتمع المصري يعد اقوي الخطابات تاثيرا وفاعلية من حيث قدرته علي تحريك الجماهير إن لم يكن أقواها ، ولا شك أن هذه الظاهرة تخص عددا من البلاد أبرزها مصر . وقد أكتسب الخطاب الديني قوة غير عادية بعد نكسة ١٩٦٧ ، حيث حدث ما يمكن أن يسمي برد الفعل العكسي ضد الخطاب السياسي . فقد تم تحليل أسباب النكسة علي أساس أن الأمة قد ابتعدت عن الله والكتب المقدسة . وأكتسب الخطاب الديني قوة بتصور ظهور العذراء في الزيتون أو بظهور الملائكة وهم يظللون الجنود أثناء العبور في حرب ١٩٧٣ ، وقد ظل خطابنا الديني متفوقا برغم محاولات الخطابات السياسية والثقافية والفنية تقديم البديل المقنع له . وإذا كان الأمر علي هذا النحو فإنه من الطبيعي ان نتعرف علي وجهة نظر الخطاب الديني فيما يتعلق بمختلف قضايا المجتمع . بإعتبار أنه الخطاب الذي اصبح بمثابة الضابط الاخلاقي والروحي لقضايا السياسة والاقتصاد والاجتماع وليس وسيلة يستخدمها الخطاب السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي لتحقيق مآربه. (١٨٠) ذلك يعني ان تجديد الخطاب الديني

ينبغي أن يكون علي توازي مع تجديد الخطابات الأخري أن لم يكن سابقا عليها، لان الخطاب الديني ليس مطلق أو معلق في الهواء ولكنه يرتبط بظروف وبيئة في المجتمع وضغوط وممارسات متعددة هي التي تشكل نسيج هذه البيئة وهذه الممارسات . هل يمكن مثلاً في صلاة الجمعة أن يتحدث الخطاب الديني عن التسامح والرحمة بالآخر ، بينما جنود الأمن المركزي يكسرون عظام المتظاهرين (١٨١) أو أن يسعي بعض البلطجية أمام أعين الشرطة في محاولة لتجريد بعض النساء من ملابسهن . علي هذا النحو ينبغي أن تعمل الخطابات المختلفة علي تجديد نفسها في معية واحدة . يؤكد بعض المنتمين لهذا الموقف أنه اذا كانت هناك بعض الاقتراحات التي تطالب بتجديد الخطاب الديني الذي يشكل نطاق تخصصنا، فإن غيرنا ملزم كذلك بأن يجدد كل تخصص خطابه، وينطق بكلمة الحق، وأن يتعاون مع غيره علي البر والتقوى لا علي الإثم والعدوان ، فكل واحد منا في حاجة إلي غيره . وكما قال أحد الحكماء ما من عالم في فن إلا وهو تلميذ لعالم في فن آخر ، ونحن نستمع إلي إخواننا في أمور قد تكون اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية، وأقول دائما لا مانع ان يكون شيخ الأزهر تلميذ للمهندس فيما يتعلق بتخصصة والطبيب والمهندس هما أيضا تلميذان لشيخ الأزهر في تخصصه ، وكل أنسان يجب ان يحترم رأي الآخر ونحن نرحب بكل نقد وبكل نصيحة وبكل توجيه يتعلق بالخطاب الديني" (١٨٢) .

وبالإضافة إلي التأكيد علي أهمية تجديد الخطابات في جملتها وفي معية واحدة وبصورة متزامنة، نجد أن هذا الموقف يخص بالتأكيد بعض الخطابات بصورة ثنائية، لعلاقاتها التاثرية المتبادلة. في هذا الإطار نجد أن

بعض المطالبين بالتجديد يؤكدون علي أهمية تجديد الخطاب الديني ارتباطا بالخطاب الإعلامي، وذلك يرجع إلي ان "الصورة المتعلقة بالخطاب الديني المتدفق من خلال وسائل الأعلام هي الأكثر انتشارا والأكثر تأثيرا من الخطاب الديني المباشر الذي يتم عبر المساجد والندوات الدينية المتخصصة. علي هذا النحو فإن زيادة كم البرامج الدينية عبر الإذاعات والقنوات التليفزيونية المحلية والفضائية يمثل ضرورة بشرط أن يقوم علي هذه البرامج أشخاص من ذوي الثقافة الدينية العلمية الرفيعة، وأن يباح فيها الاجتهاد ومعالجة القضايا المعاصرة بشفافية وجرأة". (١٨٣) إلي جانب ذلك هناك من يؤكد علي ضرورة الربط بين تجديد الخطاب الإسلامي والخطاب المسيحي مع التأكيد علي أن يكون هذا التجديد من طبقتين. في إطار الطبقة الأولي يتجه التجديد من الماضي والحاضر إلي المستقبل، بحيث تعكس هذه الحركة التاريخية او الزمانية اتجاهات لتطوير الخطاب حتى يمكنه الاستجابة لحاجات الواقع المتغيرة والمتجددة . بينما يتجه التجديد في إطار الطبقة الثانية إلي اتجاه الخطاب الإسلامي والمسيحي المجدد إلي تأسيس مساحة التقاء مشتركة تتوفر لها إمكانيات الاتساع بصورة دائمة حتي نقترب من تجديد يؤكد علي وحدة الخطاب الديني الذي يعمل بدوره علي تأكيد وحدة وتماسك المجتمع .

ويتعلق الموقف الثالث بالسعي إلي ربط تجديد الخطاب الديني بتجديد الخطاب السياسي، لأن تجديد الخطاب الديني من غير تحقيق الإصلاح السياسي أو تجديد الخطاب السياسي لن يمكنه من أداء دوره بالفاعلية الملائمة. ذلك يعني أنه "لا يمكن الفصل بين الدعوة إلي تجديد الثقافة الدينية والمطالبة بالإصلاح السياسي، وبالتالي فإن كل خطوة في اتجاه

تطوير الديموقراطية هي خطوة نحو توفير المناخ الأفضل لإحداث تطــوير في المرجعيات الثقافية والتشريعية الضــرورية، وفــي خــط مــواز فــإن الإصلاح الديني يعد شرط أساسي من شروط دعم الديموقراطيــة وتأهيــل حقوق الإنسان". (١٨٤) ذلك يعني أن السلطة السياســية يمكــن أن تعتبــر الطرف السياسي القادر علي تقديم المساعدة لتطوير الفكر الإســلامي. كمــا أنها التي لعبت في الماضي دوراً أساسيا في جمود هــذا الفكــر وانفلاتــه، لكنها مع ذلك ليست الطرف الوحيد الذي يحق له وضع شروط او احتكــار المبادرة في هذا المجال ، بل هي مطالبة فقط بتوفير المنــاخ الــذي يســمح بالتفكير والبحث والمراجعة .

ويعيد هذا الموقف التأكيد علي ارتباط الديني بالسياسي بقوله "إذا كــان الذين يتحدثون عن تجديد الخطاب الديني باعتبــاره خطــوة علــي طريــق الإصلاح ، فلماذا لم يفتح أحد ملف الخطاب السياسي . اذا أردنا الإصــلاح فليس الدعاة أو خطباء المساجد هم سبب الفوضى ، بــل هنــاك خطابــات أخري ينبغي أن تفتح ولا بد أن تكون هناك أولويات . ومن وجهــة النظــر هذه فليس تجديد الخطاب الديني هو الذي ينبغي أن ينجز أولاً ، بل ينبغــي أن يشغل تجديد الخطاب السياسي المرتبة الأولي في هذا الصدد . فــالجهود التي يمكن أن تبذل لتجديد الخطاب الديني يمكن أن تصاب بانتكاسة في ظل تهافت الخطاب السياسي الذي يشكل ببيئة الخطــاب الــديني. (١٨٥) ذلــك يعني أن تجديد الخطاب السياسي سوف يعني مزيد من فتح أفــاق الحريــة والبحث في ظل مناخ ديموقراطي يتيح حريــة التعبيــر، إضــافة إلــي أن إصلاح الخطاب السياسي سوف يعني التأكيد علي استقلال الدولة والمجتمــع بحيث يصبح في قدرتهما صد أي ضغوط خارجية يمكن أن تسعي لفــرض

تجديد الخطاب السياسي أو الديني بما لا يحقق مصالح المجتمع، أو يشـــكل طاقة دافعة له علي طريق التقدم والتطور.

سادسا: الفاعل المنوط به تجديد الخطاب الديني

الفاعل الذي سوف يتولى تجديد الخطاب الديني ليس موضع اتفاق بين أطراف الجدل. وعلي خلاف الفقرة السابقة التي ســـادها قـــدر كبيـــر مـــن الاتفاق نجد أن الخلاف قد إتسعت مساحته فيما يتعلق بالفاعل الذي ينبغـــي أن توكل إليه عملية التجديد. في هذا الإطار برزت عدة مواقـــف متباينـــة، حيث يذهب الموقف الأول إلي أن تجديد الخطاب الديني ليس مسألة يمكـــن أن يقوم بها كل من يريد ذلك ، لأن البحث فـــي الـــدين يســـتلزم المعرفـــة العميقة والعلمية بالدين ، وهـــو مـــا يفـــرض أن يكـــون القـــائم بالتجديـــد متخصصا . في هذا الإطار فإن ثمة التباس من الممكن أن يحدث ســـببه أن الدين له بعدين الأول اعتقادي حيث يتشكل الدين فـــي هـــذا الإطـــار مـــن مجموعة من المعتقدات سواء تعلقت بالعبادات أو المعاملات طلبـــا لرضـــاء الله تعالي ورجاء في دخول الجنة، بحيث تشـــكل هـــذه المعتقـــدات رؤيـــة المؤمنين للدين وقناعتهم به. علي خلاف ذلك نجد أن الـــدين يتشـــكل مـــن مجموعة من المبادئ أو القضايا التي تشكل نسقه الفكـــري الـــذي يتضـــمن نظريات وقوانين تتعلق بالكون والإنسان والمجتمع ، ولأنها مبـــادئ عامـــة فقد احتاجت إلي فئة من المتخصصين أو المتفقهين في الدين لكـــي يقومـــوا باستنباط الأحكام المختلفة والملائمة للواقع المتجـــدد وهـــم رجـــال الـــدين الدارسين له .

ويحدث الخلط أحيانا حينما يسعى بعض المؤمنين بالدين إلـــي تقمــص دور علماء الدين الذين يشكل الدين مجال تخصص لهم . في هذا الإطـــار لا يختلف الدين في ذلك عن أي مجال آخر في المجتمع، فالإنسان الذي ينـــتج أو يستهلك السلع الاقتصادية لا يعقــل أن يكــون عـــالم اقتصـــاد. (١٨٦) والإنسان الذي يقرأ ويكتب لا ينبغي كذلك أن يصـــبح "معلمـــا" أو "باحثـــا علميا" . ومن ثم فإذا حدث خلط للأوراق كأن يكون المستهلك رجل اقتصاد أو الذي يقرا ويكتب "معلما" أو المؤمن التقي الورع متخصصا فـــي الـــدين، فإن هذا الأمر يمكن أن يقود إلي تبديد الخطاب الخاص بـــأي مجـــال مـــن مجالات المجتمع ، وبخاصة مجال الخطاب الديني. ولذلك فحينمـــا ســـعت بعض القوي الغربية إلي تبديد خطابنا الديني فإنها أوكلت القيام بهذه المهمة للعلمانيين غير الثقات لأنه ليست لهم آية قراءات متخصصة وعميقـــة فـــي الدين أو الذين ينتمون بشكل واهي للعلم الديني ويكملـــون بحكـــم وجـــودهم الدور السلبي الذي لعبه بعض المستشرقين فيمـــا يتعلـــق بـــدين الإســـلام . (١٨٧)

علي هذا النحو نجد أن بعض المفكرين الذين ينتمون إلي هذا الموقـــف يرون ضرورة أن يكون الفاعل الذي يتصـــدى لتجديـــد الخطـــاب الـــديني متخصصا في الدين "فمسألة التجديد في حاجة إلي متخصصين مـــن ناحيـــة المعرفة والمنهج والدراسات المناسبة في هذا الأمر . ليس من الضـــروري أن يرتبط ذلك بالحصول علي شهادة معينة ولكن أن يمتلك إجازة الحـــديث في الدين ، فقد كان المتخصصين في الدين قديماً يحصلون علـــي إجـــازات التفقه في الدين من خلال أرتباطهم بشيخ معين لعشر سنوات مـــثلاً ينقلـــوا عنه علمه ويمنحهم إجازة ذلك" .(١٨٨) وقد تطور الأمر الآن ليصبح الدين

تخصصا لمؤسسات كبيرة وكاملة كجامعـــة الأزهـــر والأزهـــر الشـــريف ومجمع البحوث الاسلامية ، فإعضاؤها أصبحوا هم المتخصصين في تجديد الخطاب الديني وهم المنوطين بذلك . ذلك أن تجديـــد الخطـــاب الـــديني " يحتاج إلي متخصصين متعمقين عندهم الرغبة في تجديد الخطـــاب الـــديني وفي التغيير ويمتلكون القدرة علي ذلك . وهذه عمليـــة ليســـت بالهينـــة ولا باليسيرة ، ونتائجها محفوفة المخاطر من كل إتجاه ولا يقتصر ذلـــك علـــي الاسلام فقط ، ولكنه قائم وموجود في كل الديانات. فقد قام مـــارتن لـــوثر الألماني بهذا الدور التجديدي في نطاق المسيحية الكاثوليكية وتبلور تجديده

في ظهور المذهب البروتستنتي وفي البوذيـــة ظهـــرت جماعـــات مجـــددة كذلك . واشتراط أن يكون المجدد في الدين متخصصا أن تجديده قـــد يقـــر ببطلان أسس وقد يؤكد فاعلية أسس أخري" مما قد يؤثر علي تـــدين أتبـــاع الدين في المجتمع.(١٨٩) وذلك يعني ضرورة "أن يكون المجتهد في الـــدين متخصصا في العلوم الدينية عامة والفقة خاصة وأصول الفقه علـــي وجـــه اخص"(١٩٠) "وينبغي أن يقوم رجال الـــدين الأزهـــريين بأنفســـهم بهـــذا التطوير" .(١٩١)

يؤكد مفكروا هذا الموقف أنه حينما " يتحدث البعض أحيانا عن تجديـــد الخطاب الديني يتكلم عن القـــرآن والســـنة بالتحديـــد . بينمـــا أتصـــور أن الخطاب الديني يتضمن كل شئ منسوب إلي الدين ، وما هو منســـوب إلـــي الدين درجات ، هناك القرآن والسنة والفقة والتـــاريخ والتقاليـــد ؟، وقمتهـــا القرآن ثم تأتي السنة وباقي المراتـــب. وواضـــح أن غالبيـــة السياســـيين

والمثقفين النشطين - علي غرار في الندوة التي عقدت في بـــاريس حـــول تجديد الخطاب الديني عام التي عقدت فـــي ١٢ ، ١٣ أغســطس ٢٠٠٣ - يتحدثون في الدين لإرضاء الولايات المتحدة الأمريكية وأيضا للعبث بالدين ذاته ... ليكن معلوما أنه حينما نتحدث في القرآن والسنة فإن الحديث لـــيس مباحاً لأي شخص ، بل ينبغي أن يكـــون الكـــلام مقصـــوراً علـــي أهـــل الأختصاص ، أما بالنسبة غير آهل الاختصاص حينما يتحدثون فـــي الـــدين فإن بإمكانهم ان يطرحوا التساؤلات، ولكـــن أهل الاختصاص هـــــم الذين

يقدمون الاجابات فهم الذين يمتلكون القدرة علي ذلـــك. (١٩٢)*ويـــنص هـــذا الموقف علي أن التجديد قد يكون فرديا ، بمعني أن يقوم فقيه بتطوير فقه بعينـــة كما حدث من جانب الأئمة الأربعة . غير أن عملية الابداع أو التجديد تطـــورت الآن فلم تعد فردية ، بل تحولت لتصبح جماعية ، وهي حالة اصـــبحت عامـــة فيما يتعلق بالابداع والابتكار في نطاق الفكر الإنساني ، الذي أصـــبح التجديـــد فية جماعيا ، يناظر ذلك عمل الفريق في البحث العلمي ، ولكنـــه إتخـــذ شـــكل "المجامع التي تتولي القيام بمثل هذه الأمور ، وفي هذا الاطار تتولي المجـــامع العلمية والدينية وضع الضوابط التي تضبط عملية التجديد . فـــي اطـــار هـــذه المجامع تتلاقح الأفكار والأفهام وتتطور العقول . وقد تبدأ التجديـــدات فرديـــة لكنها تعرض أساساً علي المجمع العلمي لإجازتها . والمجمع في أي علـــم مـــن

العلوم يتشكل من تشكيلة لها وزنها في أي علم من العلوم ، وهـو الـذي تنـتج عنه التجديدات ، ويشـارك في هذه المجامـع

---

*في مقابلة مع فضيلة الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية أشار إلي أنه لا لالهوتية في الإسلام، بمعني أن الإسلام لا يشترط في المجدد إلا أن يكون إنسانا تعلم في مجال التخصص الذي يريد التجديد فيه. غير أن العلمانيون يريدون أن يتكلموا في الدين علي طريقة حلاق الصحة الذي يتكلم في الطب. وهذا لم يقـل بـه عاقل بل يعتبر نوع من أنواع الشغب، فهل يليق أن يتكلم في الطب من لم يدرس الطب، وان يتكلم في الدين من لم يدرس الدين. الصحيح أن يتكلم في الطب بعد أن يدرس الطب. ومعني أن نقول لا وجود لكهنوتية أنه ليس هناك حاكم يحكم بإسم الدين. بل يوجد رجل دين هو الذي يشرع، هو الذي يقول هذا حرام وهذا حلال، من تلقاء نفسة وبدون الرجوع للنصوص لأنه عارف بها، وهناك أدوات يستخدمها في هذا الصدد.

عادة علماء الشـريعة وأيضـا علمـاء ينتمـون إلـي تخصصـات غيـر الشريعة" .(١٩٣) والخاصية المميزة لأصحاب هذا الموقف أنهم علي وعي كامل ودقيق بما يحدث في الواقع ، ويدركون بدقه الحاجة إلي التجديد غيـر أنهم يدركون أن المتخصص في شئون الدين هو القادر علي التجديد بمـا لا يضر المرجعية أو يقترب من مقدساتها فأهل مكة ادري بشعابها علـي مـا يقولون .

ويقف الموقف الثاني علي يسار الموقف الأول ، ويضـم فريـق مـن المتفقهين في الدين لكنهم ليسوا من أهـل الاختصـاص ، يتـوازن لـديهم الاهتمام بالمرجعية ، كذلك وعلي نفس التوازي الاهتمام بمـا يحـدث فـي الواقع . أحيانا يقتربون الموقف الأول ، وأحيانا يأخذوا ببعض طرف مـن

الموقف العلماني . يذهب هذا الموقف إلي التأكيد علـــي أن الاســـلام الـــذي يتعبد به المسلمون اليوم يختلف عن اسلام الفقهاء والمحـــدثين والمفســـرين الذين وضعوه خلال ألف وربعمائة عام. وأن هذا الاسلام الـــذي قـــال بـــه البعض يختلف عن اسلام القرآن ، بحيث لا يصبح بعض الفقهاء هم الفاعل القادر علي التجديد لأنهم ينحرفون عادة عن المرجعية الاسلامية إلـــي حـــد التناقض معها أحيانا. ويعطي هذا الموقف أمثلة علي هذا التناقض فيؤكـــد " أنه بينما يقول القرآن "من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفـــر" و"لا إكـــراه فـــي الدين"، يروي لنا الفقهاء حديثا يؤكد أن "من بدل دينه فأقتلوه". ثم لا يقفـــون عند ذلك بل يبدعون صيغة "من جحد معلوما من الـــدين بالضـــرورة يعـــد كافراً" . وبينما يقول القرآن عن المرأة " ولهن مثل الذي عليهن بـــالمعروف وللرجال عليهن درجة" . "ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم علـــي بعـــض للرجال نصيب مما إكتسبوا وللنساء نصيب مما إكتســـبن وأســـألوا الله مـــن فضله إن الله كان بكل شئ عليما . *النساء* آية ٣٢" . و"من عمـــل عمـــل صالحاً من ذكر أو أنثي وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجـــرهم بأحسن ما كانوا يعملون *النحل* آية ٩٧" يقول هـــؤلاء الفقهـــاء "المـــرآة عورة" "ناقصات عقل ودين" "لا أفلح قوم ولوا أمرهم إمـــراة" وهـــي كلهـــا أحاديث ضعيفة أو لها ظرف خاص" (١٩٤). ويعزي أصحاب هذا الموقـــف تخلف المسلمين إلي مثل هذا التراث الفقهي الـــذي يختلـــف مـــع صـــحيح الإسلام ، دون أن يدرك المضامين الحقيقية لمبادئ ومرجعية النسق الفكري ويلتزمون بها ، كما أن هناك بعض فقهاء الزور الذين يقـــدمون تفســـيرات تنحرف بالدين وتضل به عن أهدافه .

ولتوضيح معالم هذا الموقف يتجه أصحابة إلي وضع مجموعة من المعايير التي تحدد معالم الفاعل المنوط بعملية التجديد. فيؤكد بداية أنه ليس من الضروري أن يكون من رجال الأزهر وسوف "تعارض المؤسسة الدينية ذلك لأنها تؤمن ان من ليس منها ، أعني من لم يتخرج من الأزهر أو يضع علي رأسة العمامة الحمراء ، فإنه لا يكون أهلا للحديث عن الإسلام. فقد اعتبروا أنفسهم وحدهم "أهل الذكر" كأنما أخذوا من الله توكيلاً وميثاقا واحتكروا لأنفسهم الإسلام. فهو حرفتهم ومصدر عيشهم ورزقهم ، وهم في الحقيقة لا يدافعون عنه وإنما يدافعون عن أنفسهم". (١٩٥) وينتقل هذا الموقف إلي تحديد المعيار الثاني مؤكداً أن السلطة في مجتمعاتنا تسعي إلي دس أنفها في كل شئ لتهيمن علي كل شئ ، ومن ثم فمن الضروري ان لا يقع المجدد تحت تأثير هذه الهيمنة . " إذ يجب أن يكون المجددون دعاة التجديد مستقلين عن السلطة ، حفاظا علي مصداقيتهم وحماية للأفكار والآراء والاجتهادات التي يتوصلون إليها . فكم من جهود هامة ضاعت بسبب التوظيف الرسمي لها ولأصحابها ، لأن الحكومات تبحث غالبا عن من يساندها في معاركها السياسية أو في اختياراتها الاجتماعية ، ولا تهتم كثيراً بتداعيات ذلك علي عالم الأفكار والقيم" .(١٩٦) ويتعلق الاعتبار الثالث الذي ينبغي أن يراعيه فاعل التجديد، ويتمثل في أنه ليس من الضروري ان يتفق دعاة التجديد علي إستراتيجية واحدة في إنجاز عملية التجديد. فكل مجدد ينتمي إلي سياق اجتماعي بعينة في نطاق الأمة الإسلامية الواسعة، وعليه أن يضع أواويات التجديد بحسب احتياجات السياق الذي يعيش في إطاره . وبحسب قبول السياق لمضامين عملية التجديد أيضا، ولا يعني ذلك المهادنة أو التخلي

عن القضايا المشروعة ولكنه يعني بالأساس تهيئة الظروف لملائمة لقبول هذا التجديد . غير أن الاختلاف في تحديد أولويات التجديد أو المداخل إلي بناء إستراتيجية التجديد لا ينبغي أن يضر بالمرجعية الإسلامية بالأساس . كما يذهب هذا الفريق – كمعيار رابع – إلي التأكيد علي أهمية انفتاح المجدد علي العلوم الحديثة التي تهتم بشئون المجتمع. علي هذا النحو بإمكان المجددين الاستفادة من مخرجات المتخصصين في العلوم الاجتماعية والإنسانية وربما العلوم الطبيعية، بما يساعد علي تجديد الخطاب الديني في الاتجاه الذي يساعد علي دعم تماسك المجتمع وتأكيد عواطف التسامح علي ساحة تفاعلة. مجتمع قادر علي الانفتاح علي الثقافات الأخرى ولديه إمكانية الاستفادة منها ، مجتمع يقبل بالتعددية والحوار متطلع ومتعلم من خبراته وتراثه وخبرات الآخر. مجتمع يقبل بالنقد ويسعى إلي التقدم ويلتزم بالقوانين والقواعد والآداب العامة ويتجنب الخرافات ويتبني التفكير العلمي المنطقي أسلوبا للحياة والقيم التي أرستها الديان أساساً لحياته وعلاقاته. (١٩٧) وهي ما يعني أن هذا الموقف بدا وكأنه قطع بعض الخطوات في إتجاه التأكيد علي حاجات الواقع المتجددة ، وفي إتجاه توسيع مساحة الاستفادة من نتائج العلم الحديث مع استمرار التأكيد علي المرجعية الدينية كما وردت في المواثيق الأساسية للقرآن الكريم والسنة الصحيحة.

ويتحدد الموقف الثالث بالموقف العلماني الذي لا يري الدين تخصصا وإنما هو عقيدة ، ومن ثم فمن حق كل المعتقدين في الدين أن يجددوا في دينهم ، وهم في غالبهم متأثرين بالنزعة اليسارية التي تخلع علي العلم طابعاً جماهريا . تأكيدا لذلك يذهب أحد المعبرين عن هذا الموقف قائلاً "إن

الخطاب الديني لا يهم وزارة الأوقاف وحدها ، ولا فئة من المسلمين دون أخري. بل يهم المسلمين جميعا ، ويتجاوز المسلمين إلي غيرهم من المصرين وغير المصريين .. لأن الخطاب الديني ليس وظيفة حكومية ، وليس سراً مقدساً وليس قضية شخصية. ولكنه قضية وطنية وثقافية عامة تشمل المواطنين جميعاً وتشغلهم. وتوجه سلوكهم ، وتؤثر في كل مجال من مجالات حياتهم . فمن الطبيعي أن نهتم جميعاً بالخطاب الديني ونحرص علي أن يؤدي دوره ويثبت كفاءته . علي هذا النحو فالمسلمين جميعا مطالبون في النظر في دينهم ودنياهم ، والاجتهاد لأنفسهم من خلال التفكير في الإسلام ودراسته وتقديم دورة في تاريخ البشر وتاريخ حضارتهم ، ومناقشة القضايا والأسئلة المطروحة عليهم اليوم" .(١٩٨) وهو ما يعني ترك الإسلام بمواثيقة الأساسية ساحة مباحة للجميع يأتيه المسلمون وغير المسلمون ، يقدموا لقضاياه أي تفسير وأي تجديد. وهي بطبيعتها تصورات تسعي إلي تبديد الدين بالوكالة عن القوي الغربية التي تسعي إلي ذلك، ويؤدي هذه الوظيفة فصيل وطني فاقد لمعني المواطنة والهوية ناهيك عن تنكره لمعاني العروبة والإسلام .

ويذهب آخر ينتمي إلي هذا الموقف مؤكدا أن من حق أي شخص أن يشارك في تجديد الخطاب الديني "حتي ولو لم يكن متخصصا في الدين طالما أنه آمن بالدين وإقتنع به وعاش علي هداه . من حقه أن يقول رأيه فيه ومن حق الآخرين أن يردوا عليه وليكن المنطق والعقل والنص الديني هو الفيصل ... لماذا نخشي علي الدين من استخدام عقولنا ، كما لو كان دينا قاصراً وضعيفاَ . إذا كان دينا قويا فلنترك الأمر للبشر يقولوا رأيهم في الصحيح أو الخطأ ، لكن ليس هناك مفوض من قبل الله . علينا منذ

البداية أن نتذكر هذا لأننا نعلم أن الكثير يتحدثون كما لو كـــانوا مفوضـــين من الله ومعهم توكيلاً رسمياً أو توكيلاً سلطويا ، ولا يمكن أن يكـــون هـــذا لأحد مهما بلغ علمه . إذا ليس هناك متخصص في شئون الدين وانما هنـــاك خبير لأن القرآن ذكر جيد أي خبر الأمر ، والعلماء في الماضي لم يكونـــوا يدخلون مدارس معينة وكانوا يجتهدون ، وهذا جهد يمكن أن يقوم بـــه أي انسان ونحكم علي اجتهاده . وعندما قال أسئلوا خبير فإن ذلك يعني من لـــه إجتهاد أفضل من غيره ، ولكن ليس لهذا الخبير سلطة . واذا قيل أن هنـــاك شروط للاجتهاد كشرط فهم اللغة أو الإلمام بعلوم معينة فإنها لا ينبغـــي أن تكون شروط ، بل مهارات وكفاءات وعلينا أن نتناقش لنعرف مـــن أكثرنـــا مهارة في الفهم والاجتهاد" .(١٩٩)

ارتباطا بذلك فإن علينا أن نحترم عقل الإنسان كما أحترمه الله سبحانه وتعالي الذي طالبنا بان نعمل عقولنا في كل إتجاه . "وطالما أن الله خلق لنا عقولنا لنجتهد بها فلماذا نترك شخص واحد أو عدة اشخاص يفكـــرون لنـــا في الدين وبالوكالة عنا . إرتباطا بذلك فإنه من الضروري إلغاء دار الافتاء لأنها تعني أن الدولة اختارت شخصا ، موظفا لتسند إليه مسألة الفتوي فـــي الشئون الدينية . وإذا كان من الضـــروري وجـــود المفتـــي ودار الافتـــاء فلنسميها دار الرأي ، ولتقل دار الرأي رأيها في مسائل معينة إســـتناداً إلـــي مرجعيتها الدينية . لكن ما تقوله لا ينبغي أن يسمي فتوي ، لأن هذه الكلمـــة لها تأثير خاص كما لو كانت فرمانا لو خرج عنه الناس لخرجوا عن الـــدين أصلا . علي هذا النحو ينبغي أن نسقط كلمة الفتوي لأنهـــا تحمـــل دلالـــه أخري غير حدود الكلمة ، أنها تعني السلطة والإلـــزام بمضـــمون الفتـــوي ".(٢٠٠) ومن الواضح أن أصحاب الموقف الثالث يعملون في اتجـــاه رفـــع

القداسة عن الدين ، يجعلون التجديد فيه حقـا للكافـة المتخصـص وغيـر المتخصص وهو الأمر الذي يعني تهيئة الفرصة للعبث بالدين مـن خـلال منح حق تأويله لمن يمتلك أدوات ذلك ومن لا يمتلك، إضافة إلـي السـعي لإلغاء امتلاك أحكام الدين لأي سلطة تلزم بطاعتها ، لقد وسع هذا الموقـف ضفاف العبث بالدين حتي يصبح الدين نفسه بلا هوية ولا ضـفاف وربمـا بلا وجود .

ويعبر الموقف الرابع عن الموقف المسـيحي مـن تجديـد الخطـاب الديني . وبرغم أن المنتمين لهـذا الموقـف يعبـرون عـن ذات الأفكـار والتوجهات التي عبر عنها أصحاب المواقف الثلاثة السابقة ، الا أن وجهـة نظرهم تتميز بالطابع الخاص نسبيا ، وأن كان هذا الموقف يعيش حالة مـن الاستقطاب الموازية لنظيرها لحالة أو موقـف المفكـرين علـي الشـاطئ الإسلامي من تجديد الخطاب الديني . بداية نجد أن التوجـه المتـدين فـي الخطاب المسيحي يري أنه "من الضروري أن تطرح مسائل الدين للحـوار بين الفئات المختلفة والمتنوعة التي تهتم بالخطـاب الـديني عمومـا ، أن يجلسوا مع بعضهم في جلسات حوارية يختلفوا ويتفقوا حتـي ينتهـوا إلـي تصور يسعي إلي ملاءمة بعض ثوابـت التـراث لاحتياجـات العصـر ، ليتفاعلوا ويخرجوا علينا برأي ، هذا الرأي الذي وصـلوا اليـه هـو رأي الشعب ، الذي يسعي إلي تأكيد التلاءم بين جوهر الخطاب وبين احتياجـات المجتمع ".(٢٠١) وهو ما يعني أن الموقف المسيحي المتدين يختلـف عـن الموقف الإسلامي الذي أكد علي أن تجديد الخطاب ينبغي أن يقتصر علـي الخاصة المؤهلين للتعامل مع النص والمدركين لحدود ومضامين المرجعيـة الدينية .

علي خلاف ذلك تعبر بعض عناصر الموقف المسيحي عن رؤية أكثـــر راديكالية وهي وجهة نظر تتضمن بالهجوم علي رجـــال الـــدين مؤكـــدة أن "معظم الذين يتحدثون عن تجديد الخطاب الديني هم المسئولون بصـــورة أو بأخري عن التردي الحالي لهذا الخطاب، فالذين أفسدوا هم الذين يطـــالبون بتجديده . فمن الملاحظ أنه لم يظهر فـــي المجتمـــع المصـــري مجـــددون حقيقيون لديهم تصور عن التعامل مع الخطاب الديني بشكل مختلف بل إننـــا نجد أن نفس النخبة ، هي التي يتم تدويرها ، والذين يطالبون عادة بتجديـــد الخطاب الديني هم "نفس الرموز الدينية" . وهم يفعلون ذلك حتي لا تســـحب السجادة من تحت أقدامهم . وأعتقد أنهم يشـــعرون بالتهديـــد ربمـــا بســـبب ظهور بعض الدعاة الجدد ، علي الصعيد الإســـلامي والمســـيحي ، غيـــر التقليديين الذين يطرحون خطابا دينيا مختلفا وأصبحت لهم شعبية أفضل من شعبية النخب التقليدية، هذا الخطاب الجديد من خصائصه أنـــه يبتعـــد عـــن الأمور الأكثر تعقيدا في العقيدة والقيم والطقوس " .(٢٠٢)

يسعي المنتمون إلي هذا الموقف إلي تحديد أدق للفاعل المخول بتجديـــد الخطاب الديني من خلال التأكيد علي أن الخطاب الديني ليس ملـــك رجـــال الدين ، كما أنالدين ليس ملك رجال الدين وهـــم ليســـوا أوصـــياء عليـــه . فالخطاب الديني في النهاية هو خطاب المؤمنين والمـــؤمنين كافـــة . فهـــو خطاب يتسع لكل شخص لدية رؤية وإسهام ، في نطاق ذلك فإنـــه بإمكـــان المؤمنون المتخصصون في مجالات السياسة والثقافـــة والاجتمـــاع وعلـــم النفس أن ينتجوا خطابا دينيا أفضل من خطاب رجال الدين ، لأنه أصـــاب قدر كبير من الثقافة العامة وهو في نفس الوقت شخص متـــدين ، وبالتـــالي يستطيع أن يؤسس ارتباطا بين الجانبين . علي عكس رجـــل الـــدين الـــذي

يبقي إنتاجه الفكري مرتبط بالمؤسسة الدينية ،والمؤسسة الدينيــة مثــل أي مؤسسة أخري لديها مصالح ولديها رغبة في الاســتقرار ، وبالتــالي تنــتج الخطاب الذي يضمن لها الاستقرار والهيمنة . ومن ثم نجدها تنــزعج مــن قيام أفراد من خارج المؤسسة بإنتاج خطاب ديني معبرة بذلك عــن نــزوة مؤسسية بيروقراطية ليس لها علاقة بالدين . ذلك أنه عندما يصــبح الــدين مؤسسة فإن المؤسسة تصبح لها مصالح وهذه المصالح لا يجب أن يضــار الخطاب الديني بها . ويوسع هذا الموقف من مساحة البشر الذين من حقهــم المشاركة في تجديد الخطاب الديني بالتأكيد علي ضرورة أن يسمح للعاديين من البشر الذين يمتلكون القدرة علي إنتاج خطاب ديني جديد من اســتعمال هذا الحق . ويتساءل هذا الموقف ، ماذا يمنــع أن يقــوم صــحفي بإنتــاج خطاب ديني ، طالما هو مؤمن ويمارس الدين ويفهمه . تأكيدا علــي ذلــك تشهد الخبرة اللبنانية علي أن المثقفين اللبنانيين المتدينين أنتجوا خطابا دينيا رفيع المستوي ربما أفضل مما يمكن أن ينتجه رجال الدين. وإذا كان هــذا الموقف لا يسعى إلي إقصاء رجال الدين إلا أنه يؤكد أنهــم غيــر كــافيين وحدهم لإنتاج خطاب يتلاءم واحتياجات الواقع المتجدد مــا لــم يســتعينوا بخبرة المؤمنين المتخصصين في مجالات المجتمع المختلفة (٢٠٣).

سابعا : خصائص الخطاب الديني مجدداً

تتعلق المحطة الأخيرة لهذه الدراسة بشــكل الخطــاب الــديني بعامــة والخطاب الاسلامي بخاصة بعد تجديده مستقبلاً ، معــا طبيعــة المنظومــة القيمية التي ينبغي أن يتضمنها هذا الخطاب . في هذا الاطار فــإن تحليــل معطيات الدراسة تكشف أربع ملاحظات . وتتمثل الملاحظة الأولي في أنــه ليس هناك خطابا واحداً متفقا عليه ، بل إننا نجد أنفسنا في مواجهــة ثلاثــة

خطابات وليس خطابا واحداً . الاول الخطاب الوسطي ، وهو الــذي يمثــل المجري الرئيسي الذي تؤكد عليه غالبية المعطيــات ويقــف علــي ســاحة مجراه غالبية المجددين إضافة إلي خطابين علي هامشه . أحدهما الخطــاب الإسلامي المتشدد علي يمين الخطاب الوســطي، والثــاني هــو الخطــاب العلماني المتطرف الذي يقف علي هامش الخطاب الوسطي يساراً. وتتمثــل الملاحظة الثانية في ضآلة المنظومة القيمية التي تشكل بنية كل خطاب مــن الخطابات الهامشية، وغربتها عن القيم الأساسية للخطاب الوســطي. أو أن كل خطاب من الخطابات ، سواء الاسلامي المتشدد، أو العلماني المتطــرف يرضي ببعض القيم التي وردت ضمن منظومة الخطاب الوســطي شــريطة أن لاتتناقض مع منظومتة القيميــة الفرعيــة . وعلــي هــذا النحــو فــإن المنظومات القيمية للخطابات الثلاثه تبرز علي هيئة متصل يبدأ من اقصــي المواقف تشددا علي اليمين وينتهي إلي أقصي الموقف تطرفاعنــد الطــرف المقابل إلي اليسار حيث الموقف العلماني. إرتباطا بــذلك تــاتي الملاحظــة الثالثة أننا إذا تأملنا المنظومة القيمية للخطابــات الفرعيــة ســوف نجــدها متناقضة إلي حد كبير لتناقض المواقف بين الموقف الديني المتشــدد وبــين الموقف العلماني المتطرف. وتشير الملاحظــة الرابعــة إلــي أن الموقــف الوسطي من تجديد الخطاب الديني هو الموقف الذي يلقي قبــولاً جماهيريــاً لتوازن قيمة بعدم مخالفتها للمرجعية من ناحية ، وبإنفتاحها علي مــا هــو جديد من ناحية ثانية . علي خلاف ذلك نجد الخطابات الآخــري مقصــورة علي فئة محدودة من البشر . وفيما يلي ســوف نعــرض لــبعض ملامــح المنظومة القيمية التي يؤكد عليها كل خطاب من الخطابات الثلاثة .

١ – المنظومة القيمية للخطاب الوسطي مجدداً: يؤكد هـذا التجديـد الوسطي للخطابات الملامح العامة للخطـاب المجـدد ، بإعتبـاره خطـاب يساعد علي إعمال الفكر والاجتهاد ، واحترام قيمة العمل واحترام الآخـر، ومقارنة الحجة بالحجة دون الإنزلاق إلي الادانات والاتهامـات المفزعـة، خطاب قارد علي مقاومة التطرف والارهاب . القـدرة علـي نقـد الـذات وشجاعة الاعتراف بالخطأ ومراجعة النفس ، خطاب يشكل مصدراً لافشـاء قيم المحبة والسلام وقيم التسامح واستعادة القدرة علي الابتكـار والتعـايش مع المتغيرات التي تطرأ علي الحياة من حولنا ، أضافة إلـي إعـلاء قـيم الانتماء والوطنية وإحترام الذات والهوية ، خطاب قادر علي المزج بين مـا تركه لنا الأجداد وأهم إبداعات الفكر المعاصر. (٢٠٤) يؤكد هذا الموقـف علي ضرورة تأسيس خطاب متماسك يتمحور حول منظومة قيميـة تشـكل قناة تتدفق من خلالهاتراث ديني لديه قابلية الابداع ومن ثـم الالتقـاء مـع متغيرات الواقع وإحتياجاته المتجددة هذه المنظومة القيمية تحتوي علي القيم أصبحت هامة بالنسة لمجتمعنا في عالمنا المعاصر .

ويمكن تصنيف القيم التي ينبغي ان يتضمنها الخطاب الـديني المجـدد مستقبلاً إلي ثلاث منظومات من القيم. المنظومة الأولي تتعلـق بالخطـاب الديني ذاته. وتتمثل القيمة الاولي في عصرية الاسلام بمعني إبـراز قـدرة الاسلام علي التعامل مع القضايا المعاصرة ، في هذا الإطـار مـن المهـم توضيح وجهة نظر الاسلام في قضايا حقوق الانسان والحفاظ علي البيئـة، وكذلك قضايا الاستنساخ وغير ذلك من القضايا من خـلال إعـادة قـراءة النص لإستكشاف هذه المعاني. وما دام أنه قد تأكد لنا وللكافـة أن القـرآن الكريم كلام الله وأن السنة والحديث منتمية إلي رسوله الذي لا ينطـق عـن

الهوى. فإن المرجعية الناتجة عن ذلك هـي مرجعيـة شـاملة ومتكاملـة وكاملة، قادرة علي التكشف وتقديم المعـاني الضـابطة لكـل تغيـرات أو احتياجات متجددة . المهم أن يؤدي العقل الإنساني والعقل المسلم دوره فـي استكشاف هذه المعاني ، وكما كان الإسلام قادرا علي ضبط الماضي فهـو قادر أيضا علي ضبط الحاضر والمستقبل كذلك . وهو ما يعنـي ضـرورة أن نبذل جهداً لإبراز الوجه العصري للإسلام ، وكيـف انـه قـادر علـي التعامل مع المسائل أو القضايا المعاصرة إنطلاقا مـن رؤيتـه، حتـي لا تصبح هذا القضايا ساحة للمعايرة بعجز الإسلام ، ولا مدخلاً لتسـلل القـيم والثقافات الأجنبية إلي واقعنا .

ويرتبط بذلك ضرورة ان نقدم الاسلام عصـريا للبشـر فـي نظامنـا العالمي المعاصر . حقيقة أن جهود الاستشراق تولـت التعريـف بالاسـلام غير أن الجهد الاسشتراقي إنتابته نقيصين، الأولي أن بعض المستشرقين لم يدركوا برغم نياتهم الحسنة بعض المقاصد أو المعـاني الاسـلامية وذلـك يرجع أحيانا لعدم الاتفاق الكامل للغة العربية ، أو عدم دراستهم للعلوم التي تساعدهم علي إستكشاف المعاني في النص القرآني . يضاف إلـي ذلـك أن الكلمةكرمز قد تلعب دورها في توصيل ونقل المعاني الأساسية بين البشـر وبعضهم البعض ، غير أن نفس الكلمة او اللفظ حينما يستخدم لنقل المعاني القرآنية، يتبني مضامين جديدة في سياقه القرآني غيـر سـياق التواصـل الواقعي بين البشر ، ومثلما أن المعاني القرآنية كلية ، فإنه من المنطقـي أن لا يحددها إلا مفهوم كلي كذلك ، يختلف بالتأكيـد عـن التحديـد الجزئـي للمفهوم في اللغة اليومية للبشر . وهو ما يشكل صعوبة أمام فهمـه وإدراك معانية ناهيك عن نقل مضمونه . بالإضافة إلي ذلك وقع الجهد الاستشراقي

في خطأ التحيز ، حيث حاول قراءة الإسلام في وثائقة وبنيته قراءة متحيزة ،فلم يري فيه إلي فتح البلاد بقوة السيف وتجاهل عظمة المعاني وطهارتها، لم يري في الرسول "صلي الله عليه وسلم" سوي رجـل مـزواج ، ونـس دلالاتها الاجتماعية وحتي الدينية . لم يري في الحرب الا الحصـول علـي الغنائم ، ورأي أن ذلك كان منطق حروب هذا العصـر ، وأن المـال أولا وأخيراً وبنظره شامله هو مال الله، وأولي به المؤمنون الذين يستعينون بـه لتجسيد إرادته في هذا العصر .

التجديد علي هذا النحو يحتاج إلي أن نقوم بتقديم الإسلام عصريا حتي بقرأة الكافة ، من ناحية حتي يتعرفون علي معانية السـامية حتـي يـدرك الجميع أن الإسلام ليس إرهابا ولا قتلاً، ولا فرضا للتخلف ولا عداء للعلـم والعلمانية الرشيدة . حقيقة ان هذا الفهم الخاطئ هم السبب فيه ، غير أننـا ملزمين بالتبليغ علي وجهه الصحيح ، ذلك يتطلب جهداً واعيـا ومدروسـاً ودؤوبا لترجمة الدراسات الإسلامية الجادة إلي اللغـات الأخـرى ليتعـرف عليها البشر . وإذا كانت بعض الجهود الفردية المحددة التي تحققت في هذا المجال ، فمن المعتقد أنه قد آن الأوان لكـي نعـرف بالوجـه العصـري للإسلام بأن نعمل علي "ترجمة المبادئ والقيم الإسـلامية العظيمـة التـي تتضمنها الكتابات والأفكار لعلمائنا ومفكرينا إلي اللغات الأخرى . وأنـه لا مناص ولا معدل من ان تفعل ذلك ، علي الـرغم مـن أن الأقـرب إلـي الطبيعي أن ينقل عنا الراغبون فينا ، وهي الحالة المثالية التـي ينبغـي أن تكون عليها عملية النقل الثقافي". (٢٠٥) وما داموا لم يفعلوا أو لم يرغبـوا فلنقدم نحن خطابنا الديني لهم بلغات أجنبية ، أن نفتح لهم خزائننا الفكريـة بأيدينا الأمينة الواعية ، بما فيها من مبادئ عظيمة وقيم رفيعة ، علي هـذا

النحو فإننا نحفظها من العبث والتطاول . ذلك واجب ينبغي أن تقوم به المؤسسات والهيئات والمراكز العلمية والثقافية إلي جانب الدينية في الأقطار العربية والإسلامية. التي عليها القيام بترجمة ما يزخر به إسلامنا ومبادئ وقيم المعرفة المتضمنة به لكي تشكل الدفاع الحقيقي ضد كل أشكال الفهم الخاطئ والافتراءات والأباطيل التي يطلقها الذين في قلوبهم مرض من مفكري الغرب أو حتي أتباعهم في الشرق .

من الضروري أن يتضمن الخطاب الديني المجدد إبرازاً لتأكيد الإسلام علي دور العقل والعلم . فقد قدمها الإسلام دائماً بصورة متضافرة ذلك جعل غالبية الفقهاء والأئمة يعتبرون العقل والعمل دعامتين أساسيتين قام عليها الإسلام . إرتباطا بذلك لا يذكر الإسلام العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلي وجوب العمل به والرجوع إليه . بالإضافة إلي ذلك يحث الإسلام الفرد المسلم إلي تحكيم عقله دائما ً، ويلام المسلم الذي يهمل إعمال عقله بعدم التبصر تارة وعدم التعقل تارة أخري . والإسلام الذي عظم العقل عظم أيضا التفكير بإعتباره عمل العقل ، يؤكد ذلك جملة الآيات التي تحض علي التفكير وبشئ من العمق ، بل يصل الأمر إلي أن القرآن هو الكتاب السماوي الذي جعل التفكير فريضة علي أتباعة (٢٠٦) ، بل وجعل الحفاظ علي العقل أحد المقاصد الإسلامية الخمسة . وإذا كان العقل الإنساني هو آية إنتاج التفكير فإن التفكير المنتظم هو الذي يشكل أساس تراكم العلم لذلك يتحوي الإسلام علي مضامين تقدر دور العلم والعلماء وتأكيدا لذلك أن أول أمر نزل من السماء هو الأمر الصريح بضرورة الأخذ بناحية العلم ، يتضح ذلك من قوله تعالي "إقرأ بإسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان

ما لم يعلم" . كما تضح مكانه العلماء في القرآن الكريم في قوله تعالي "قــل هل يستوي الذين يعملون والذين لا يعلمون" وقوله تعالي "يرفع الذين آمنــوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" .(٢٠٧) ويشكل العمل الضلع الثالث الــذي يتكامل مع العقل والعلم ، حيث إهتم الإسلام بالعمل "تأكيدا لــذلك أن عــدد الآيات التي تمجد العمل بلغ عددها ٣٥٨ آية تدعو إلي تعظيم مكانته وتدعو إلي ممارسته . وقد بلغ الاهتمام بقيمة العمل في الإسلام أن جعلــه القــرآن لساس الجزاء وميزان التقدير في قولة تعالي" فمن كان يرجو لقــاء ربــه ، فليعمل عملاً صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً" وقوله تعالي "أنا لا نضــيع أجر من أحسن عملاً" ومن نافلة القول أن يكون العلامة بن خلــدون وهــو من مفكري الإسلام صاحب نظرية فــي العمــل" .(٢٠٨) ذلــك يعنــي أن الخطاب الإسلامي المجدد عليه أن يوضح المعاني الكامنة بالنصوص فيمــا يتعلق بأضلاع مثلث العقل والعمل والعلم ، وهو المثلث الذي شــكل قاعــدة التنظير الأوربي فيما يتعلق بقيام النظام الرأســمالي الحــديث . وإذا كــان الخطاب الإسلامي يتشكل من المعاني المستنبطة من الوثــائق الأساســية ، ومن الممارسة الموجهة بهذه المعاني ، فإن الخطاب الإسلامي مجدداً ينبغي أن يؤكد علي الممارسة الواقعية التي تسعي إلي تجسيد هذه المعاني .

من الضروري أن يعتمد الخطاب الديني المجدد علــي الإقنــاع . وإذا كان الإسلام قد أكد علي العقل ، فإن العقل بذلك يعد الآلية التــي ينبغــي أن يحتكم إليها البشر في أقامة الحجة ، هذا الإقناع المستند إلــي قــدرة العقــل علي بناء الحجج لابد أن يكون متفائلاً ومتجها إلي المستقبل ، أي أن يصبح المستقبل دائماً هو موضع موازنة مع الحاضر . وإذا كنا نعمل ونخطئ فــي الحاضر فإن المستقبل ما زال النطاق الذي يمكن أن نصلح أعمالنا ونؤكــد

توبتنا في إطاره من الضروري كذلك أن يهتم الخطاب الديني أيضا بالترغيب لا بالترهيب فالقاعدة الأصيلة أن الله خلقنا لنكون خلفاؤه ، وأن نعمل علي أعمار الأرض حسب غاياته وقوانينة حتي يكتمل الواقع أمامنا وندرك عظمة الله فيه . يؤكد ذلك قول أحد رجال الدين "الخطاب المسيحي يحتوي الآن علي نزعة متفائلة علي عكس الخطاب القديم كان خطابا للتخويف. اليوم يعمل الخطاب للترغيب، يذهب الخطاب الديني إلي التأكيد علي أن الحياة مع الله جميلة ومفرحة غير أنك سوف تشقي إن انحرفت. نقول للمؤمن أن الله يحبك والأمجاد السماوية في آخر المطاف تنتظرك ، ذلك يعني أن علينا أن نتفاءل بالحياة وأن نثق بالله ، وهناك آية تقول إن الله يعطينا أكثر مما نطلب أو نتصور أو نفكر"(٢٠٩).

وتتصل المنظومة القيمية الثانية بالمجتمع ، حيث يسعى الخطاب الإسلامي إلي التأكيد علي مجموعة القيمة التي تضمن الوجود الملائم لكل من الإنسان والمجتمع علي السواء . وتتمثل أول قيمة في هذه المنظومة في الحفاظ علي الإنسان كاملاً ، فالإنسان هو خليفة الله في أرضه ومن ثم فالإنسان في حد ذاته قيمة إسلامية ينبغي الحفاظ عليها من مختلف الجوانب. ويتمثل الجانب الأول في الحفاظ علي حرية الإنسان ، حتي تكون له إرادته الكاملة ولا قيد عليها سوي إرادة الله . وأول مظاهر الحفاظ علي الإنسان الحفاظ علي حريته ، حيث يفتح القرآن الكريم حرية الفكر والاعتقاد علي مصراعية بل ويجعلها أمراً خاصاً بالفرد (٢١٠) شريطة أن لا يضر اعتقادة بإستقرار الجماعة . ومن يقرأ الفقه الإسلامي سوف يجد أنه يحيط الحرية بسياج قوي ويقدم فيما يتعلق بذلك معايير متقدمة للغاية في الحفاظ علي الحرية. (٢١١) وإذا كانت الطبقية أو التراتبية تعني إلغاء

المساواة لأن البشر يتدرجون من حيث مكانتهم بالنظر إلي معيار ما، فإننا نجد أن الإسلام، – وهو ما ينبغي أن يؤكد الخطاب الديني مجدداً – استناداً إلي القرآن الكريم" يحقق وحدة الجنس البشري ويقضي بالمساواة بين الناس جميعا سواء كانوا بيضا أو سوداً ، أغنياء أو فقراء ، رجالاً أو نساء" . وعلي اختلاف مذاهبهم لأنهم هم "أبناء وبنات آدم" ويوجب التقارب فيما بينهم ولا يجعل التفاضل بينهم إلا للتقوى أي للعمل والخلق، وفي ذلك قال الله تعالي" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم أن الله عليم خبير *آية ١٣ * *الحجرات*. (٢١٢) بالإضافة إلي ذلك ينبغي أن يوضح الخطاب الإسلامي المجدد أنه اذا كان الإسلام قد حافظ علي حرية الإنسان ، وحافظ علي البشر بتأكيد المساواة بينهم فإنه قد فرض علي الإنسان أن يحافظ علي جسده ، فلا ينبغي أن يكون خليفة الله في الأرض مشوه الجسد أو مدنسه "فقد كرم الإسلام الإنسان والجنس البشري عندما جعله خليفة الله علي الأرض بعد أن خلقه في أحسن تقويم ووهبه السمع والبصر والعقل والقلب، ورفض العصبية وتفضيل جنس علي جنس .. وقد كرم الرسول الكريم "صلي الله عليه وسلم" الجسم الإنساني بالحماية بعد أن كرم الضمير والفكر بالحرية . فحرم كافة ألوان التعذيب أو سوء المعاملة وجعل عقوبة من يفعل ذلك أيصفح عبده وأن يحرره"* .(٢١٣) ويعد الدور الذي ينبغي أنه يؤديه الخطاب الديني المجدد في تعبئة البشر لتطوير مجتمعهم ودفعه علي طريق التقدم من القيم الأساسية التي ينبغي أن تلقي إهتماماً . ذلك يعني أنه لكي يتقدم المجتمع من الضروري أن يمتلك الفكرة المقنعة إلي تشكل طاقته الدافعة في هذا الاتجاه . "وإذا كانت أوربا قد تبنت منظومة القيم العلمانية

لتقود تقدمها ونجحت في ذلك ، فإن تركيا تعد مثالا حزينا في هذا الصـــدد ، حيث تأرجح المجتمع بين الفكرة العلمانية المقنعة للدولـــة والتـــي يرفضـــها المجتمع، وبين المنظومة الإسلامية التي يعتنقها المجتمـــع ولا تأخـــذ بهـــا الدولة. فإننا الأمم الشرقية تحركها المعنويـــات عـــادة ، وبخاصـــة الـــدين بإعتباره يؤكد علي أكثر المعاني قداسة . تأكيد لذلك يذكر رئيس الوزراء

----

*أين ذلك من الدعوات الغربية التي تذهب إلي التأكيد علي حق الإنسان في التصرف بجسده ، الأمر الذي دفع إلي انتشار البغاء أي تعريض الجسد للعبث به لقاء الحصول علي المال. أي اعتبار الجسد سلعة يتاجر بها ويتبادل مع من يقدم المقابل أو الثمن . أين ذلك من المطالبة بالجنسية المثلية حيث الاســـتخدام الســـئ للجسد فيما لم يعد له ، إن الإنسان لم يصنع أو يخلق الجسد حتي يحق له أن يتعرف فيه ، ولكنه من خلقـــه الله ، وعلي البشر أن يتعاملون معه بالحفاظ عليه وتكريمه فهو وديعة الله لديهم .

الهندي السابق ، أننا بعد تجارب التنمية الطويلة التي نجحنا في بعضها وفشـــلنا في البعض الآخر أدركنا أن الإنسان في الشرق لا تحركه الأخلاق الحديثة كمـــا هي الحال في العالم الغربي (٢١٤) ، بل يحركه الدين الذي يؤكد علـــي قـــوي مقدسة تراقبه وهو يعمل ، أي وهو يعمر مملكه الله فـــي الأرض. علـــي هـــذا النحو فإن المنظومة الدينية ينبغي أن تلعب دورها في الدفع بحياتنا إلي الأمـــام وإلي التقدم" (٢١٥).

الخطاب الديني الجديد الذي نريده ينبغي أن يتعامل مع مشـــكلات حياتنـــا اليومية ، وذلك يرجع إلي أن الخطاب الديني هو أقـــوي الخطـــابات فـــي مجتمعاتنا علي نحو ما أشرت . لأنه خطاب قوي في تأثيره فإنه ينبغـــي أن يدفع البشر من أبناء وطننا ، مسيحيين ومسلمين علي الســـواء إلـــي إتبـــاع

ابسط قواعد السلوك المدني القويم . ونحن "إذا فكرنا فـــي بعــض أحـــداث حياتنا الواقعية الأخيرة ، من قطار الصعيد إلي قطار الشرقية إلـــي قطـــار المناشي . ومن حوادث تريلات النقل إلي حـــوادث الميكروباصـــات إلـــي حوادث أبناء المعز المحدثين بسياراتهم الســـريعة إلـــي الســـحابة الســـوداء الغامضة الشهيرة ، وغير ذلك من الحوادث الكثيرة فسوف نجد أن خطابنـــا الديني ينبغي أن ينشغل بتبصير الناس في وطننا . بأن يوضح نتـــائج عـــدم قيام الموظف والمهندس والفلاح والميكانيكي وعامل المزلقـــان أو ألتحويلـــه والمقاول والسائق والبائع والمشتري بمسئولياتهم . بأن يوضح آثـــار عـــدم التزامهم بأصول المهنة أو الصنعة أو الواجب أو القانون ، وأن كـــل ذلـــك يعد عصيان لأوامر الله تعالي ونواهية وكفر بنعمته ، وأن تجـــاهلهم لتلـــك الأصول هو سبب الكوارث ولا سبب غيره" (٢١٦) مصدقاً لقوله تعالي "ما أصابهم من حسنه فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك *النساء* آيـــة ٧٩" وقوله تعالي "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفـــوا عـــن كثير *الشورة* آية ٣٠ " وإذا كانت غالبية مشكلاتنا ذات طبيعـــة ســـلوكية بالأساس ، بخاصة مشـــكلات الإهمـــال والتســـيب والركـــود إلـــي الحـــظ والمصادفة ، إضافة إلي الوساطة والشللية وتجاهل أبسط قواعـــد الســـلوك القويم والقانون والحس السليم ، إلي جانـــب مشـــكلات الســـكان والصـــحة والإسكان ومحو ألامية وتعاطي المخدرات والإدمان ، وحـــدة الاســـتقطاب الاجتماعي الناتجة عن اندفاع البعض إلي مزيد من الترف في مقابل معانـــاة البعض من مزيد من الحرمان . إلي جانب بعض المشكلات الفردية كعـــدم النظافة والخيانة والكسل . فإن خطابنا الديني ينبغي أن يتصـــدى لمواجهـــة هذه المشكلات ، حتي تلعب معانية دوراً أساسيا في إعـــادة بنـــاء منظومـــة

قيمنا وثقافتنا بحيث تشكل المعايير التي تعيد صياغة حياتنا وحياة مجتمعنـــا بما يلائم احتياجات التطور والتقدم .

وتتصل المنظومة القيمية الثالثة التي ينبغـــي أن يتضـــمنها الخطـــاب الديني بالآخر ، سواء كان الآخر الديني أو الآخر الاجتمـــاعي . فـــي هـــذا الإطار ينبغي أن يكون الخطاب الديني منزها من كل تجريح قد يوجه إلـــي الآخرين ومصانا من الهجوم عليهم أو التهكم من تصرفاتهم ، وذلك يرجـــع إلي أن الخطاب الديني هو "ارقي خطاب يوجه للإنسان . الخطـــاب الـــديني يجب أن يتطور علي لسان القسيس والشيخ والحاخام ، وكـــل مـــن يعمـــل بالدعوة الدينية . فنحن نعيش في قرية واحدة ننظر لرجل الدين علـــي أنـــه مصدر الحب والحنان والفقة والأخلاق ، ونستمع إلي كلماتـــه التـــي تقطـــر بالحب وتدعو للأخلاق وحب الآخرين والرحمة مع كل البشر ، والتســـامح مع الآخرين مهما تكن ديانتهم . وإن العصر الذي نعيش فيـــه هـــو عصـــر العولمه وحب الآخر والتفاهم معه وإقامة الحوار البناء معه ، الأمـــر الـــذي يؤدي في النهاية إلي احترام الأسرة البشرية كلها وسعادتها ".(٢١٧)

كما ينبغي أن يستعيد الخطاب الإسلامي المجدد هويته الأصيلة ليبـــرز المستوي الرفيع في تعامل الإسلام مع غير المسلمين ، حيث يســـوى بـــين المسلمين والمسيحيين في كثير من الشئون ، " فهـــو يكفـــل لهـــم حـــريتهم الشخصية وحرية إبداء الرأي والعقيدة وحرية إقامة الشعائر ، كمـــا يكفـــل حماية أموالهم ونفوسهم وأغراضهم ونشاطهم ويؤمنهم ضد العوز والحاجة، ويسوي بينهم وبين غير المسلمين في حق الملكية وتولي الوظـــائف العليـــا وغيرها من الأصول الإسلامية التي يقرها الدين ".(٢١٨) علي هذا النحـــو لا يحتاج الخطاب الإسلامي إلي تجديد فقط ، ولكن إلـــي توضـــيح رؤيتـــه

للآخر بدون تزييف وبدون قصد التبشير أو الأسلمة ، حتي تتجلي الحقـائق وتتكشف الباطيل ، ويوضح الزيف الذي يلصقه بالإسـلام إمـا معانـد أو مغامر أو جاهل أو مغالط أو حاقد. (٢١٩) ففي "القرآن الكريم" نقـرأ وإن جنحوا للسلم فأجنح لها وفي "الإنجيل" المجد لله في الأعالي وعلـي الأرض السلام وللناس المسرة . فالسلام هو راية كـل ديـن سـماوي ، والإسـلام يرفض مظاهر التطرف والعنف مع الآخر التي تنسب إليه مثال علي ذلـك ما حدث في عام ٦٢٢ ميلادية "العام الثاني للهجرة" حيث قـدم أول صـك للاعتراف بالآخر عندما منح سيدنا محمد "صـلي الله عليـه وسـلم" يهـود المدينة حق إقامة شعائرهم علي بعد ثلاثة أمتار من مسجد الرسول ، وهـو الحق الذي لم يعترف بع العالم الغربي إلا في عام ١٧٨٩ أي بعد حـروب دينية دامت في أوربا بين الملل المسيحية واسـتمرت لأكثـر مـن ١٦٠٠ عام .

وإذا كان التعصب يسلم إلي نوع من التطـرف فقـد شـهد العقـدين الأخيرين تطورات إيجابية مهمة علي ساحة الفكر الإسلامي ، تشـير إلـي علي خطاب إسلامي ديني يجدد ذاته ، بحيث تجلي ذلك فـي طـرح فكـرة الوسطية شعاراً ، الأمر الذي كان من شأنه أن يساعد علي تنامي الأصوات الداعية إلي الدفاع عن قيم المواطنة والتعددية والديموقراطية والانفتاح علي الآخر ، والبحث عن المشترك معه. وهو ما تبدي للعيان فـي ممارسـات ومواقف عدة ، من بينها الفتاوى التي قدمت تاصيلاً شرعيا للدفاع عن تلـك القيم ، والبحوث والمؤلفات التي خدمت ذلك الاتجاه ، وبروز فكرة المؤتمر القومي الإسلامي الذي يعد تجسيداً لفكرة العمل المشترك . وسواء كان ذلك التوجه رد فعل لبروز ظـاهرة التطـرف والإرهـاب فـي الـداخل ، أو

لضرورة الاحتشاد لمواجهة الضغوط والتحديات التي فرضت من الخارج . فالشاهد أن التطور أصبح حقيقة واقعة ، وإن لم تسلط عليه الأضواء الكافية لأسباب يطول شرحها . في هذه الأجـواء ظهـرت علـي سـاحة الفكـر الإسلامي أطروحات وفرت أجواء مدنية لمد الجسور مع الآخر والتواصـل معه.(٢٢٠)

إلي جانب ذلك ينبغي أن يهتم الخطاب الديني المجـدد بالتعامـل مـع ظاهرتين متناقضتين الأولي ظاهرة التعصب والثانية ظاهرة المواطنـة.وإذا كانت ظاهرة التعصب تعني التراجع لكي تصبح الجماعة الأثنية وطنا نعمق إنتماءنا إليه ونطور مصالحنا في إطاره ، ولو علـي حسـاب الجماعـات الأخرى ، في هذه الحالة فإن المجتمع أو الوطن الكبير قد ينقسم إلي أوطان فرعية ، كل شخص أو مواطن فرعي يطور انتمائه وولائه لجماعته الأمـر الذي يفجر الصراع علي ساحة المجتمع نتيجة لذلك ، وهـي الحالـة التـي أشار اليها فيلسوف العقد الاجتماعي "توماس هوبز". علي هذا النحو نجد أن المواطنة يمكن أن تشكل الآلية أو المنظومة القيمية أو الساحة التـي يمكـن أن يلتقي عليها الفرقاء . هذه المنظومة القيميـة ينبغـي أن يتجـه نحوهـا الخطاب الديني المجدد ، علي الجانب الإسلامي والمسيحي علـي السـواء . وإذا اتفقنا علي أن الأديان جميعها صادرة عـن الله تعـالي ، فـإن الـذات الإلهية لا يمكن أن تناقض نفسها ، لذلك من المؤكـد أن هنـاك مسـاحات مشتركة بين الأديان في جوهرهـا الأساسـي، وعلينـا أن ننحـي جانبـا الخطابات الدينية التقليدية والتي تأثرت بالزمان الماضي والمكان الماضـي أيضا ، وكذلك بالأحداث الانشقاقية الماضية ، لنعود إلي الوثـائق المتعـددة في أصولها وجوهرها، لكي نطور بالاستناد إليها خطابا دينيـا ذو طبيعـة

إيجابية يبرز الحقيقة الإلهية بلا تحيزات إنسانية . هذا الخطـــاب ينبغـــي أن يؤكد أولوية الولاء الوطني العام علي الولاء للجماعة . يؤكد هذا الخطـــاب علي أن هناك اختلافات ليكن، لكن ينبغي أن تظل هذه الاختلافـــات علـــي هامش ألمواطنه وليس في مجراها الرئيسي ، وأن ينظر فـــي ذات الوقـــت إلي قيم ومبادئ الالتقاء العديدة ، بمنطق أن ثلاثة أرباع كوب الماء المـــلآن أولي بالاهتمام من الربع الفارغ . علينا جميعا أن ننشئ المتحدثين بالخطاب الديني علي ذلك ، وأن يعمل إعلامنا علي تنشئتنا وفقا لذات منظومة القيم . حتي تتأكد منظومة قيم المواطنة عندنا جميعا ، بحيث تفرض وجودها علينا وتستمد عواطفها من وجودنا الديني المتنوع ، ومن زماننا ومكاننا المتنـــوع كذلك .

٢ – **المنظومة القيمية للخطاب الديني المتشدد** : هذا الموقف أصـــبح محدود النطاق بطبيعته لاعتبارات كثيرة منها أن فـــرض تجديـــد الخطـــاب الديني هو مبدأ إسلامي لا خروج عليه. وأن جمود الخطاب الديني فرضته ظروف ظلامية عديدة ، اجتماعية حينا وسياسية أحيانا كثيـــرة ، ومنهـــا أن عجلة التجديد تدور دائما طيلة التاريخ الإسلامي وفي التاريخ الحديث اخـــذ دفعة كبيرة حينما تقابلت الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية علي خلفيـــة محاولة النهضة الإسلامية والعربية في مقابل الاستعمار الغربـــي . ومنهـــا تأثيرات العولمة التي فرضت موقفا تقف الحضارات في إطاره في مواجهـــة بعضها البعض ، وتفرض ظرفا مـــن الضـــروري أن تحـــدد الحضـــارات خطاباتها الدينية لأنها أصبحت في نطاق واقع عالمي جديد مفروض عليهـــا أن تتفاعل مع بعضها البعض في نطاقه. ومنها أنه قد أصبح مـــن المهـــم ونحن نتحدث عن الخطاب الديني أن نتحدث عن الجوانـــب الايجابيـــة فـــي

الخطاب ، وبذلك يصبح التركيز علي خطاب الآنا دون الإهتمـــام بخطـــاب الآخر فيه نوع من التمركز حول الذات ، وهو الموقــف الــذي يقفــه الآن المتشددون ، هم يركزون علي صفات الخطاب الإسلامي بذاته بغض النظر عن دورة في تطوير واقعة أو موضع إلتقائه بالآخر . يعبر عن ذلك أحــد المنتمين لهذا الموقف بقولة "الإسلام دين التواضع والحب ، وله من ســلامة الفطرة ما يحتاج إلي تعريف الغرب بحقيقته وجوهرة ، بعيداً عــن التعقيــد والتقعر ، أو التبغيض والتنفير. فلو كان رسوله المصطفي فظــاً أو غلــيظ القلب لإنفض الخلق من حوله ، ولو لم يكن لما زكاه ربــه الأعلــى قــائلا "وإنك لعلي خلق عظيم" لما ساد هذا الدين وإنتشر ماشاء له أن ينتشر بــين أطراف الأرض" .(٢٢١) أن من الطبيعي أن لا يبــرز الخطــاب الــديني المتشدد في إطار عملية التجديد تفوقة وتمركزه حول ألذات ونظرتــه مــن أعلي إلي خطاب الآخر ، لأنه بذلك يكون كمن يسبح ضد التيــار ، فالعــالم يتغير ويتجدد والله أخبرنا بأن التغيير سنه الكون وطالبنا الرســول الكــريم بالتجديد بما يلائم شئون دنيانا .

٣ – **المنظومة القيمية للخطاب الديني المتطرف :** إذا كان الخطـــاب الديني المتشدد ينسحب الآن بسبب ماضويته ولأن الظروف جميعها تســحب البساط من تحت أقدامه ، فأن الأمر يختلف بالنسبة للموقف العلماني. تقــف أقدام هذا الموقف علي أرض أوطان ضــعيفة منتهكــه حرماتهــا مخترقــه حدودها ، ثقافتها تتآكل بحكم ثقافة العولمة التي هي ثقافة القوي في عالمنـــا المعاصر ، وحضارتها الإسلامية هي الأخرى أصــبحت موضــع تهديــد. ولأن الحضارات الكبرى كائنات عضوية تمــر بمراحــل قــوة ومراحــل

ضعف، فإن الحضارة الإسلامية تمر الآن بمرحلة من مراحل الوهن المؤقت ، حيث أصبح الهجوم عليها منذ فترة تاريخية مقصوداً ومنظماً ومتتابعاً ومتراكما كذلك ، ولولا مرجعيتها ووثائقها الأساسية المحفوظة في صدور البشر لاندثرت . هذا الموقف في حد ذاته أضحي موقفا مواتياً لأصحاب التوجهات العلمانية ، المستندين إلي خلفية غربية قوية. البعض منهم رأي إن الحضارة الأخيرة هي الغالبة فتبني موقفها عن انتهازية ومصلحة ، فهي الحضارة التي تعقد المؤتمرات وتنفق عليهم ببذخ ، وتقدم لهم بطاقات السفر للسياحة في أي مكان في العالم بحجة حضور مؤتمر ، البعض الآخر رافض لأسباب نفسية واجتماعية لحضارته فتبني موقف الحضارة المقابلة التي تنادي بتهميش حضارته . البعض الثالث ذهب ليتعلم في الغرب ، وليفيد مجتمعه وحضارته بما تعلم فإذا به يعود وقد حدثت له عملية "غسيل مخ" أو أعيد انتاجة غربيا ، تراه يحمل معاول غربية يسعى بها إلي تحطيم قواعد حضارته البعض الأخير لم يفهم عن حق أسس حضارته ، ولم يدرك أهداف بعض الأقلام الغربية المعادية وبسبب قدراته العقلية المحدودة أصبح علمانيا . وأصبحت للعلمانية قوتها بسبب بعض أفعال التطرف التي وقعت علي الأرض الإسلامية، والتي شوهت بعض الصورة الإسلامية. ولأن هناك أقلام وتوجهات لها ثأر دفين مع الإسلام وآن الأوان لتصفية هذا الثأر فقد بدا الحديث عن ضرورة تجديد الإسلام. بحيث وضع ذلك علي رأس أولويات الأجندة الغربية ، وعمل وفقا لها العلمانيون المحليون إما استناداً إلي النيات الحسنة ، أو من خلال التحالف والنية السيئة ، علي هذا النحو طرح أصحاب الموقف العلماني تصوراً لملامح محددة للخطاب الديني مجدداً يتسق مع توجهاتهم .

وتتمثل أول الخصائص الذي يطالب بها الموقف العلماني في ضـــرورة أن يكون الخطاب الديني أكثر إنسانية ، وإذا كان تجديد الخطاب الديني قــد تحقق في الماضي فإن عصر العولمة يفرض ذلك ، فقد ســقطت الحــدود بين الدول وانتصرت النزعة الإنسانية ، وبـــرزت الـــدعوات إلـــي حـــوار الحضارات بهدف الانتقال إلي حضارة إنسانية واحدة تقوم بعمل مصـــالحة للأيديولوجيات المتعددة في إطار إنساني واحد. حيث أصبح للإنسان حقـــوق عالمية بإعتباره إنسانا بغض النظر عن انتماءاته الســـابقة ، الأمـــر الـــذي أعتبر مدخلا إلي قبول الآخر أيا كانت مرجعيته. بحيث يعد ذلـــك مـــدخلا للقضاء علي التعصب بغالبية أشكالة ومظـــاهرة، خاصــــة إذا أدركنـــا أن التعصب هو عبارة عن تقييم الشخص علي أساس انتماءاتـــه ولـــيس علـــي أساس شخصه وإنسانيته (٢٢٢) وإنجازه . ويرتبط بذلك تحريـــر الإنســـان من الخضوع للمرجعيات المقدسة ، وبالتحديد المرجعيات الدينية وتأكيد أن يكون الإنسان هو مرجعية ذاته دون الحاجة إلي أن يكون مراقبا أو موجهـــاً بواسطة هذه المرجعيات. (٢٢٣)

وتتمثل الخاصية الثانية فـــي ضـــرورة التأكيـــد علـــي فكـــر متفائـــل ومستنير . في هذا الإطار نحتاج إلي خطاب يؤكد لنا علي ضرورة القبـــول بالحياة وعدم رفضها أو التصغير من شأنها . خطاب يطور لدينا الأمل فـــي المستقبل، خطاب لا يطور لدينا ثقافة الموت ولكن حب الحياة والميل إلـــي المستقبل. (٢٢٤) خطاب لا يقول لنا أن الحيـــاة لا تســـتحق أن تعـــاش ، الأمر الذي يدفع إلي العزلة وعدم تطوير هذه الحياة ما دامت لا تســـتحق أن تعاش . وإذا كنا نطالب بخطاب ديني يستهدف التأكيد علي ســـعي الإنســـان لتحقيق السعادة وتطوير الحياة التي تشكل إطاراً لذلك . فإن الخطاب الديني

المتجدد لا بد أن يتصف بالاستنارة التي تعني الاستجابة لروح العصر ومطالب الحياة ، دون أن يتناقض ذلك مع جوهر الإسلام الذي اتفقنا علي أنه يقدس الحياة ويحترم العقل ويمجد الحرية . من الضروري أن يسعى الخطاب الديني المتجدد إلي نبذ الطغيان وتبني الديموقراطية، نريد خطابا دينيا بلا موارية يقف في صف العلمانية . ويحول بين السلطة من أن يسيطر عليها المتاجرون بالدين ، ويثبت دعائم الدولة الوطنية بإعتبارها تجسيداً لشخصية المواطنين علي اختلاف طبقاتهم وعقائدهم ، وتعبيراً عن إرادتهم الحرة ، وتمثيلا لمصالحهم وأمانيهم (٢٢٥).

ويعد الفصل بين الدين والدولة من الخصائص الرئيسية التي ينبغي أن يتميز بها الخطاب الديني المجدد من وجهة نظر الموقف العلماني . في هذا الإطار يخشى الفكر الحقوقي من تداعيات هذه العلاقة إذا كانت قوية ومتماسكة لأنها قد تفرض افتئاتا علي الحقوق الأساسية للمواطنين . وذلك يرجع إلي أن الدين قد يتحول في نظام إستبدادي إلي أداة لتبرير القمع ومحاربة الفكر ومنع الاجتهاد والتدخل في الحياة الخاصة للأفراد .(٢٢٦) إرتباطا بذلك يطالب المنتمون لهذا الموقف بأن يهتم الخطاب الديني المجدد بألا يكون الدين هو مرجعية كل شئ ومبرر وجوده . كذلك لا ينبغي أن يكون محوراً للتشريع ولا مرجعية للتحليل والتحريم ، ولا يكون علماء الدين موظفين عند الدولة يأتمرون بأمرها ولا تكون السلطة الدينية في خدمة السلطة السياسية ، تمنحها المشروعية وتبرر أعمالها. (٢٢٧) ويذهب هذا الموقف إلي أن البحث الدقيق في أصول الإسلام أثبت أن الإسلام شئ والدولة شئ آخر ، وأن الإسلام لم يرد للأنبياء أن يكونوا ملوكا أو مؤسسي دول وإنما أرادهم دعاه ، دورهم التبليغ وجردهم من كل

سلطة . وأن تجربه المدينة لم تكن تطبيقا أو إعمالاً لأصـــول فـــي العقيـــدة ولكنها كانت استجابة لتطور الأحداث . ومع ذلك فإن دولـــة المدينـــة التـــي حكمها الرسول والخلفاء الراشدين لا يمكن أن تعد نموذجاً يعمل المســـلمون علي استعادته لأن دولة المدينة لم تستكمل مقومـــات الدولـــة وخصائصـــها فمثلا لم يكن لها جيش محترف ولا سجون ، ولم تفرض ضرائب ولم تكـــن سلطة قمع . كما كان علي رأسها نبي يوحي إليه ، وهذه تميزها عن الدولـــة بالاصطلاح المعروف. أما دولة الخلفاء الراشدين التي انتهت بطعن عمـــر بن الخطاب فكانـــت ســـيراً فـــي أذيـــال دولـــة المدينـــة وتطلبهـــا ســـياق الأحداث .(٢٢٨)

ويعتبر رفض العنف من الخصائص الأساسية التي ينبغي أن يتميز بها الخطاب الديني المجدد ، وهي خاصية تقع علي رأس أجندة القوي الغربيـــة والعلمانية المحلية علي السواء . يؤكد أصحاب هذا الخطاب بأنه ليس هناك شئ ابعد من الحقيقة من هذا التصور الخاطئ الذي لا يليق بـــالنبي الكـــريم ولا بالسلام . إن المسلمين لم يكونوا ثلة من المخادعين بل كانوا مســـالمين لأن هذه شريعتهم وكانوا مأمورين بإتباعها، ولو أمروا بإستخدام العنف منذ البداية لأطاعوا أمر الله . ولقد رأينا كيف أنه عندما تأذن الله بالانتقال مـــن الخطاب الكوني للخطاب المحلي الفرعي ، وجاء في سياقة الأمـــر بالقتـــال إستجاب له المسلمون رغم قله عددهم وعتادهم .(٢٢٩) ويختـــار أصـــحاب هذا الموقف للإسلام ما يمكن أن يسمي بالعنف الدفاعي ، حيـــث يـــرون أن الإسلام أوجب القتال عندما يراد فتنة المسلمين عن دينهم . فعندئـــذ يجـــب عليهم القتال ويكون القتال عندئذ دفاعيا ، ويعد دفاعا عن حريـــة العقيـــدة . أما الذين لا يدينون بالإسلام ، ولكنهم لا يحاربون المسلمين فهؤلاء أوجـــب

القرآن البر بهم والعدل معهم "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الـدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسـطين *سورة الممتحنة* آية ٧٠" .(٢٣٠) وهو ما يعني أن كـل مـا جـاء فـي الكتاب إنما هو لدرء الفتنة في الدين ، ولم يذكر العلمـانيون القتـال الـذي يفرضه الدين دفاعاً عن الأرض "الديار" والثروة أو الحق ، وهي السـاحات التي سعي الغرب دائماً إلي استلاب مواردها من أيدي المسلمين ومن حقهـم ، وهو ما يعني أن الموقف العلماني يتحدث فيما يتعلـق بـالعنف والجهـاد بنفس منطق الأجندة الغربية تقريباً .

وتعتبر قضية المرأة والمساواة مع الرجـل مـن القضـايا التـي رأي الموقف العلماني ضرورة أن يهتم بها الخطاب الـديني المتجـدد لتصـبح خاصية من خصائصه . بداية يؤكد هذا الموقف علـي أن القـرآن حـرر المرآة وجعلها كالرجل سواء بسواء وإن استثني درجة ، وهو الوضع الـذي تتمناه المرآة الغربية . كما أثني القرآن الكريم علي ملكه سبأ ، أما الحجـاب فقد فرض علي الإسلام ولم يفرضه الإسلام وقد أجـازه الإسـلام بالنسـبة لزوجات الرسول فقط بإعتباره بابا أو ستاراً بينهن وبـين النـاس تكريمـا لهن . وكيف يتحجبن وقد كان النساء يتوضأن مع الرجال في وقـت واحـد من مجري واحد كما جاء في البخاري .(٢٣١) ولم يذكروا بطبيعة الحـال قول الله تعالي "وقل للمؤمنات يغضضن من إبصارهن ويحفظـن فـروجهن ولا يبدين زينتهن وليضربن بخمرهن علي جيوبهن ولا يبـدين زينـتن إلا لبعولتهن أو أبائهن أو آباء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخـوانهن أو بنـي أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الأربـة مـن الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا علي عـورات النسـاء ، ولا يضـربن

بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلي الله جميعاً أيهـا المؤمنـون لعلكم تفلحون *سورة النور* آية ٣١ ". وقول الرسـول "صـلي الله عليـه وسلم" لأسماء بنت أبي بكر ما معناه "يا أسماء إذا بلغت المرأة المحـيض لا يظهر منها الا هذا وهذا وأشار إلي كفيه ووجهة" وهو مـا يعنـي التعامـل بشكل انتقائي ، الأمر الذي يشوه موقف الإسلام لمحاولة الحاقـة بالعلمانيـة الغربية المتطرفة ، إضافة إلي أن إسقاط بعض كلام الله افتـراء عليـه ولا خجل. وحتي لو كان الخطاب موجهاً لأمهات المؤمنات ، فإن ذلـك حتـي يكونوا قوة تحتذي ، والإسلام يؤكد علي المساواة ويرفض التميـز فلمـاذا يميز أمهات المؤمنين علي غيرهن من النساء . وفيما يتعلق بقضية المـرآة يطرح هذا الموقف قضية المساواة بالرجل فيؤكد أحد المنتمين لهذا الموقـف أن المساواة الشاملة تشمل أيضا عدم التمييز بناء علـي النـوع مـن ذكـر وأنثي . ذلك حسب قول الله تعالي "فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمـل عامل من ذكر او أنثي بعضكم من بعض ، فالذين هاجروا وأخرجـوا مـن ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عـنهم سـيئاتهم وأدخلـنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسـن الثـواب. *آل عمران* آية ١٩٥" وغير ذلك من الآيات التي تؤكد علـي أن المـرآة تقف علي قدم المساواة مع الرجل في المسئولية أمام الله ، بالإضـافة إلـي قوله تعالي تأكيداً لمساواتهم أمام القانون "ولهن مثل الذي عليهن بـالمعروف وللرجال عليهم درجة والله عزيز حكيم *البقرة* آية ٢٢٨"

ونحن إذا تأملنا مجموعة القضايا التي اهتم بهـا الخطـاب العلمـاني، ورأي أنها ينبغي أن تشكل خصائص الخطاب الديني المجدد ، فسوف نجـد أنها قضايا قدم الإسلام بشأنها وجهة نظر علي درجة من الرقـي الإنسـاني

الرفيع ، غير أن هذا الرقي وهذه الرفعة كما تراها بعض التوجهات الغربية العدائية – عن تحيز – حسما ، إضافة إلي أنهم أولوها بانحراف عقلي وقراءة خاصة متحيزة – لتقديم تفسيرات وفهم يسئ الإسلام ، وتبعهم في ذلك العلمانيون العرب عن غفلة أو مصلحة !!

* * *

ذلك يعني أننا نجد أنفسنا في مواجهة مواقف متباينة فيما يتعلق بالخطاب الديني أو الإسلامي مجدداً ، وأننا إذا تأملنا هذا التباين فسوف تبرز أمامنا ملاحظتين . حيث تشير الملاحظة الأولي إلي أن ما تنفرد به الخطابات الفرعية "الديني المتشدد والعلماني المتطرف" من خصائص محدودة للغاية ، وأن غالبية خصائصها ما زالت تنتمي إلي الخطاب الوسطي الرئيسي . وأن الخصائص التي انفردت بها هي أساس تشددها أو تطرفها . بينما تؤكد الملاحظة الثانية علي أن الخطاب الوسطي المجدد هو الخطاب الأكثر شمولا وإكتمالاً من حيث خصائصه ، وهو في ذات الوقت الخطاب الذي يلقي قبولاً عاما وشاملاً كذلك بإعتباره يعبر عن الروح الوسطية والمعتدلة للإسلام ، التي تجفل من الخروج علي إجماع الأمة والأئمة .

وترتيبا علي ذلك فإنه من المنطقي أن تكون خصائص الخطاب الإسلامي الوسطي مجددا ، هي التي تشكل أساسا لمشروع شامل لتجديد الخطاب الديني والإسلامي ، وكذلك قاعدة لبناء مشروع اجتماعي قادر علي تعبئة الأمة ودفعها علي طريق التحديث والتقدم . فإذا كان ثمة قبول لذلك واتفاق حوله ، فهل نبدأ جاهدين من خلال الصفوة الدينية والثقافية المعتدلة والمؤمنة بإتجاه العمل نحو تجديد خطابنا الديني الإسلامي كمرحلة

أولي . وفي المرحلة الثانية أن تشكل قيم ومعايير هذا الخطـاب الوسـطي المجدد مرجعية لاشتقاق المعايير التي ينبغي أن تراعيها التنشئة الاجتماعية في الأسرة والمدرسة والجامعة ، أو التي ينبغي أن تعمل وفقا لها مؤسسـات العمل والإنتاج ، أو التي يجب أن تشكل مرجعية لميثـاق شـرف إعلامـي يتولى النهوض بعقل الأمة وتطوير وعيها ، حتى تسـتبعد مكانتهـا التـي حددها الله لها بقولة تعالي " أنـتم خيـر أمـة أخرجـت للنـاس تـأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر" . صدق الله العظيم

المراجــــــع

١. سامح كريم ، يجديد الخطاب الديني .. عمل المجددين في الإسـلام (٢) الأهرام (قضايا وأراء)، الأربعاء ١٢، شـعبان ١٤٢٤ هـ ٨ أكتوبر ٢٠٠٣ السنة ١٢٧ العدد ٤٢٦٧٤.

2. Harre Ram : The Construtive Role of Models (in) Lyndharst Collins (ed) , The Use of Methods in Social Sciencer, Tavistock Publications. 1976, Pp. 16-44 .

٣. عبد الباسط حسن ، أصول البحث الاجتمـاعي ، مكتبـة وهبـة ، الطبعة العاشرة، ١٩٨٨ ص ص ٢٤٠ – ٢٦٨.

4. Parsons, T : The Social System. The Free Glencoe. Illnois 1950.

٥. سامي خشبة ، عـن تجديـد الخطـاب الـديني : عمـارة الأرض والمسئولية المدنية (٢) الأهرام ، ثقافة وفنون ٣/٨ /٢٠٠٢ ، العدد ٤٢١٠٩.

٦. نبيل عبد الفتاح ، التجديد في الفكر الديني، الامبيريالية العولمية والاجتهاد الأهرام، ملفات الأهرام، ١٧/٨/ ٢٠٠٣ ، العدد ٤٢٦٢٢.
٧. محمد عمارة ، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكي ، مكتبة الشروق الدولية ، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤ م، الطبعة الأولي ، ص ١٤ – ١٩ .
٨. نفس المرجع ، ص ١٦
٩. نفس المرجع ، ص ١٨.
١٠. نفس المرجع ، ص ١٨ – ١٩ .
١١. احمد محمود كريمة ، حول تجديد الخطاب الديني ، الأهرام ، ثقافة وفنون ٣١/٨/ ٢٠٠٣ ، العدد ٤٢٦٣٦.
١٢. سامي خشبة ، عن تجديد الخطاب الديني ، عمارة أرض والمسئولية المدنية ن مرجع سابق .
١٣. عبد الحسيب الخنائي ، نعم للتطوير بعيدا عن الثوابت ، يجب أن يقوم الأزهر بهذا الدور لأنه أخطر مسئولياته ، الأهرام (تحقيق) ثقافة وفنون، ١٧/٨/ ٢٠٠٣ ، العدد ٤٢٦٢٢.
١٤. نفس المرجع.
١٥. محمد عبد الفضيل القوصي ، الخطاب الديني .. محاذير ومنطلقات ، الأهرام قضايا وأراء ، ٢٥/٧/ ٢٠٠٣ العدد ٤٢٥٩٩ .
١٦. احمد شيخون ، المفكر الاسلامي، محمد عمارة المحيط : تجديد الخطاب الاسلامي سنة ٢٠٠٢ ، أمريكا تشن حربا استباقية لغزو

العـــالم ، مجلـــة المحـــيط الثقـــافي ، حصـــاد اليـــوم . com.
Ahmed@moheet

١٧. عبد الحسيب الخنائي ، رجال الدين يقولون : الاجتهاد ضـــرورة والتجديد اهم ، الأهـــرام، ثقافـــة وفنـــون، ٩/٢٤/ ٢٠٠٣ العـــدد ٧٢٦٢٩.

١٨. مقابلة مع المستشار طارق البشري النائب الأول السابق لـــرئيس مجلس الدولة حول " اتجاهات الجدل حول تجديد الخطـــاب الـــديني مايو ٢٠٠٥ ، "مقابلة"

١٩. نفس المصدر.

٢٠. نفس المصدر.

٢١. الأستاذ فهمي هويدي المفكر الإسلامي والكاتب بمؤسسة الأهرام ، حول " اتجاهات الجدل حول تجديد الخطاب الـــديني " مـــايو ٢٠٠٥ ، "مقابلة"

٢٢.فهمي هويدي ، نقطة نظـــام ، الأهـــرام ، قضـــايا وأراء، ٩/٣٠/ ٢٠٠٣ ، العدد ٧٢٦٦٦ .

٢٣. الأستاذ الدكتور عبد المعطي بيومي الأستاذ بكلية أصـــول الـــدين جامعة الأزهر ، وعضو مجلس الشعب المصـــري، " حـــول اتجاهـــات الجدل حول تجديد الخطاب الديني " مايو ٢٠٠٥ ، "مقابلة"

٢٤. فهمي هويدي ، نقطة نظام ، مرجع سابق .

٢٥. نصر حامد أبو زيد ، تجديـــد الخطـــاب الـــديني ، ملاحظـــات واقتراحـــات، الأهـــرام ، قضـــايا وأراء ، ٢/٢٤/ ٢٠٠٢ ،العـــدد ٤٢٠٨٣ .

٢٦. نصر حامد أبو زيد ، تجديد نظام حياتنا السياسية هـو الخطـوة الأولي (ملف اشكاليات تجديد الخطاب الديني) "سواسـية" العـدد ٥٣- ٥٤ ديسمبر ٢٠٠٣ ، ص ١٨.
٢٧. احمد عبد المعطي حجازي ، تجديد الخطاب الـديني .. نعـم ، الأهرام ، الكتاب ، ١٦/١/ ٢٠٠٢، العدد ٤٢٠٤٤.
٢٨. احمد عبد المعطي حجازي، نحن في حاجة إلـي فقـه جديـد ، اللقاء التشاوري النوعي حول " السـبل العمليـة لتجديـد الخطـاب الديني" باريس ١٢- ١٣ أغسطس ٢٠٠٣.
٢٩. الأستاذ الدكتور صلاح قنصوة أستاذ الفلسفة الحديثة ، وعميـد كلية الأداب السابق جامعة الزقازيق ،وأسـتاذ بأكاديميـة الفنـون ، مايو ٢٠٠٥ ، "مقابلة"
٣٠. نفس المصدر .
٣١. نفس المصدر .
٣٢. علي ليلة : ماكس فيبر والبحث في أصل الرأسمالية المعاصـرة ، المكتبة المصرية للتوزيـع والنشـر الأسـكندرية ، ٢٠٠٤ ، ص ٩٣.
٣٣. القس اكرم لمعي ، عـن تجديـد الخطـاب الـديني ، وأسـئلة واجاباتها ، الأهرام ، ثقافة وفنون ، ٨/٣/ ٢٠٠٢.
٣٤. نفس المرجع .
٣٥. نبيل لوقا بباوي ، تجديد الخطاب المسيحي ، الأهـرام قضـايا وأراء الخميس ١٦/١٠/ ٢٠٠٣، ٤٢٦٨٢.

٣٦. نيافة الأنبا موسي اسقف الشباب بالكنيسة القبطية الرثوذكسية، حول " اتجاهات الجدل حول تجديد الخطاب الديني" مايو ٢٠٠٥، "مقابلة"

٣٧. نفس المصدر .

٣٨. نفس المصدر.

٣٩. الأستاذ سامح فوزي ،الكاتب الصحفي بجريدة وطني حول " إتجاهات الجدل حول تجديد الخطاب الديني " ، مايو ٢٠٠٥، "مقابلة"

٤٠. حيدر إبراهيم علي ، تجديد الخطاب الديني ، مجلة المحيط الثقافي ، العدد الثاني والعشرون، أغسطس ٢٠٠٣ ، ص ص ٦٤ -٦٥ .

٤١. الأستاذ الدكتور عبد المعطي بيومي ، مصدر سابق ، "مقابلة" .

٤٢. سيد إسماعيل ضيف الله ، اعلان باريس حول سبل تجديد الخطاب الديني ، مجلة سواسية ، مرجع سابق ، صص ١٥ – ١٦ .

٤٣. نصر حامد ابو زيد ، مرجع سابق ، ص ١٨ .

٤٤. مصطفي النشار ، ملاحظات حول تحديث الخطاب الديني ، قضايا وآراء ، الأهرام ، ١٣/٧/ ٢٠٠٣ العدد ٤٢٤٨٧.

٤٥. عبد المعطي بيومي ، مصدر سابق "مقابلة" .

٤٦. الأستاذ الدكتور فضيلة الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية، أبريل ٢٠٠٥، "مقابلة"

٤٧. نيافة الأنبا موسي ، مصدر سابق "مقابلة" .

٤٨. الباقر العفيف ، كيفية تجديد الخطاب الديني ، أفكار أولية للنقاش ، اللقاء التشاوري النوعي حول السبل العلمية لتجديد الخطاب الديني ، مرجع سابق ص ١٨.
٤٩. أحمد عبد المعطي حجازي ، تجديد الخطاب الديني .. نعم ونعم ! الأهرام ٢٣/١/ ٢٠٠٢ العدد ٣٢٠٥١.
٥٠. الأستاذ سامح فوزي ، مصدر سابق "مقابلة" .
٥١. محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص ٨ .
٥٢. عبد المعطي بيومي ، مصدر سابق "مقابلة" .
٥٣. نفس المصدر.
٥٤. نفس المصدر.
٥٥. فضيلة الشيخ علي جمعة ، مصدر سابق "مقابلة" .
٥٦. فهمي هويدي ، مصدر سابق "مقابلة" .
٥٧. سناء صليحة ، خطابنا الديني .. هل يحتاج إلي تطوير ؟ الأهرام ١٧/٨/ ٢٠٠٣ .
٥٨. نفس المرجع .
٥٩. محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص ص ١٠ – ١١ .
٦٠. نفس المرجع ، ص ١١
٦١. محسن العوجي ، تجديد الخطاب الديني بين مطرقة الأتباع وسندان الخصوم ، صحيفة الرياض في ٢٠٠٣/٩/٢٩.
٦٢. نفس المرجع .
٦٣. نفس المرجع.
٦٤. نفس المرجع .

٦٥. نيافة الأنبا موسي ، مصدر سابق "مقابلة" .
٦٦. نفس المصدر.
٦٧. نفس المصدر.
٦٨. نفس المصدر.
٦٩. أحمد عبد المعطي حجازي ، تجديد الخطاب الديني .. نعم نعم ! مرجع سابق .
٧٠. نفس المرجع .
٧١. الباقر العفيف ، كيفية تجديد الخطاب الديني ، مرجع سابق، ص ٢ .
٧٢. نفس المرجع ص ٥.
٧٣. سامح فوزي ، مصدر سابق "مقابلة" .
٧٤. نفس المصدر.
٧٥. نفس المصدر.
٧٦. صلاح قنصوة، مصدر سابق "مقابلة".
٧٧. سامح فوزي، مصدر سابق "مقابلة".
٧٨. حيدر إبراهيم، مرجع سابق ص ٦٥.
٧٩. محمد عمارة، مرجع سابق ، ص ٢٢.
٨٠. أحمد شيخون، مرجع سابق.
٨١. نفس المرجع.
٨٢. معتز الخطيب ، تجديد الخطاب الديني في الزمن الأمريكي ، المشروع الأمريكي : تحديث الإسلام ، الشرق الأوسط، ٢٠٠٤/٢/٢٣.

٨٣. نفس المرجع.

84. Abdel- Hakim. S.S : Culture Encounters, Conflict, Dialague, Or What? Current Western Theoric Cairo Studies of Cross Cultural Relations, (in) Cairo Studies in English, "Special Issue" Pp, 302 – 320.

٨٥. محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص ٢٣.

٨٦. نفس المرجع ، ص ص ٢٤ –٢٥.

٨٧. نفس المرجع ن ص ٢٥.

٨٨. نفس المرجع ، ص ٢٧.

89. Jansen, G. H, Militant Islam, Harper & Row Publishers, New York, 1979, p. 121.

٩٠. محمد بركة ، المثقفون العرب .. عساكر بالجهات الرسـمية أم مارينز فاتحين ، محيط ، شبكة المعلومات العربية .

٩١. محمد عمارة ، مرجع سابق ، صص ٢٣ – ٢٨.

٩٢. علي ليلة، تفاعل الحضارات بين إمكانيات الالتقاء ، وإحتمالات الصراع ، في قضايا ومشكلات عالميـة معاصـرة (بالاشـتراك) ، الجامعة العربية المفتوحة ، "تحرير" علي ليلة ٢٠٠٥ ، ص ٨٣.

٩٣. أحمد شيخون ، مرجع سابق .

٩٤. نفس المرجع .

٩٥. معتز الخطيب ، مرجع سابق.

٩٦. محمد يحي ، تجديد الخطاب الديني ، مجلة البيان .

٩٧. صلاح الدين الجورشي ، أفكار حول تنشيط الدعوة إلي الاصلاح الديني ، اللقاء التشاوري النوعي حول السبل العلمية لتجديد الخطاب الديني ، باريس ١٣،١٢/٨/٢٠٠٣، ص ١.
٩٨. نفس المرجع .
٩٩. نبيل عبد الفتاح ، التجديد في الفكر الديني : الامبيريالية العولمية والانفتاح ، الأهرام ١٧/٨/٢٠٠٣ ، العدد ٤٢٦٢٢ .
١٠٠. محمد يحي، مرجع سابق.
١٠١. نفس المرجع .
١٠٢. نبيل عبد الفتاح ، مرجع سابق .
١٠٣. أحمد عبد المعطي حجازي ، تجديد الخطاب الديني. نعم نعم ! مرجع سابق .
١٠٤. محمد عبد الفضيل القوصي ، الخطاب الديني . تجديد أم تبديد ، الأهرام ١٤/٩/٢٠٠٣ العدد ٤٢٦٥ .
١٠٥. القس أكرم لمعي ، عن .. تجديد .. الخطاب .. وأسئلته .. وإجاباتها ، الأهرام ، ٨/٣/٢٠٠٢ .
١٠٦. نبيل لوقا بباوي ، مرجع سابق .
١٠٧. فضيلة الشيخ علي جمعة ، مصدر سابق "مقابلة" .
١٠٨. نصر حامد أبو زيد ، تجديد الخطاب الديني : ملاحظات وإقتراحات ٢٤/٢/٢٠٠٢ العدد ٤٢٠٨٣ .
١٠٩. أحمد عبد المعطي حجازي ، نحن في حاجة إلي فقه جديد ، مرجع سابق ، ص ١٩
١١٠. سيد اسماعيل ضيف الله ، مرجع سابق ، صص ١٥ -١٦ .

١١١. محمد عبد الفضل الفوضـــي ، الخطـــاب الـــديني .. محـــاذير ومنطلقات ، الأهرام ٢٠٠٣/٧/٢٥ .
١١٢. منيع عبد الحليم محمود ، في الخطاب الاســلامي المعاصــر ، الأهرام ، ٢٠٠٣/١١/٨ العدد ٤٢٧٠٥
١١٣. أحمد عبد الحفيظ ، ليس تجديد الخطاب الديني بل رؤية جديـــدة للذات وللعالم ، الأهرام ، ٢٠٠٣/١١/٢٩ .
١١٤. نفس المرجع .
١١٥. الباقر العفيف ، مرجع سابق .
١١٦. أحمد عبد الحفيظ ، مرجع سابق .
١١٧. فهمي هويدي ، نقطة نظام ، مرجع سابق .
١١٨. نصر حامد أبو زيد ، تجديد نظام حياتنا السياسية هــو الخطــوة الأولي ، مرجع سابق ص ١٨
١١٩. صلاح الدين الجورشي ، مرجع سابق ، ص ١٣ .
١٢٠. سامح فوزي ، مصدر سابق "مقابلة" .
١٢١. نفس المصدر.
١٢٢. نفس المصدر.
١٢٣. فاروق جويدة ، خطاب ثقافي .. أم خطـــاب دينـــي؟ الأهـــرام ٢٠٠٣/٧/٢٥ العدد ٤٢٥٩٩ .
١٢٤. نفس المرجع .
١٢٥. طارق البشري ، مصدر سابق "مقابلة" .
١٢٦. نفس المصدر .
١٢٧. فضيلة الشيخ علي جمعة ، مصدر سابق ، "مقابلة" .

١٢٨. نفس المصدر.
١٢٩. نفس المصدر.
١٣٠. نفس المصدر.
١٣١. كمال متولي ، تحديث الخطاب الديني بين العلمانية والمعاصرة . الأهرام ٢٠٠٤/٨/٢٤ العدد ٤٢٩٩٥ .
١٣٢. عبد المعطي بيومي ، مصدر سابق "مقابلة" .
١٣٣. جمال البنا ، الخلاص من رواسب الوثنية المهمة الأولي لخطاب التجديد ، "ملف أشكاليات تجديد الخطاب الديني" سواسية ، مرجع سابق ، ص ٢١ .
١٣٤. عبد المعطي بيومي ، مصدر سابق ."مقابلة".
١٣٥. صلاح قنصوة ، مصدر سابق "مقابلة" .
١٣٦. نفس المصدر.
١٣٧. نفس المصدر.
١٣٨. نفس المصدر.
١٣٩. الباقر العفيف ، مرجع سابق ، ص ١٤
١٤٠. نفس المرجع ، ص ١٥ .
١٤١. رضوان السيد ، تجديد الخطاب الديني في الزمن الأمريكي ، العنف .. والاصلاح الديني ، ٢٠٠٤/٢/٢٣ ، ص٢ .
١٤٢. معتز الخطيب ، مرجع سابق ،ص ١
١٤٣. أحمد عبد المعطي حجازي ، الخطاب الديني الجديد فكر جديد ، الأهرام ٢٠٠٢/٢/٢٧ العدد ٤٢٠٨٦ .

١٤٤. نصر حامد أبو زيد ، تجديد الخطاب الديني ، ملاحظات وإقتراحات ، مرجع سابق .
١٤٥. احمد عبد المعطي حجازي ، الخطاب الديني الجديد فكر جديد ، مرجع سابق .
١٤٦. الباقر العفيف ، مرجع سابق ، ص١٦ .
١٤٧. محمد أبو القاسم حاج حمد ، تجديد الخطاب الديني في الزمن الأمريكي ، الاسلام ...ومنعطف التجديد ، ٢٠٠٤/٤/٢٣ .
١٤٨. عبد الله التطاوي ، إحياء مفردات الخطاب الديني ، الأهرام ٢٠٠٤/٥/٨ العدد ٤٢٨٨٧ .
١٤٩. علي عياد ، تجديد الخطاب الديني .. وذكري نبي الأمة ، الأهرام ٢٠٠٣/٥/١٦ العدد ٤٢٥٢٩ .
١٥٠. فضيلة الشيخ علي جمعة ، مصدر سابق ، "مقابلة" .
١٥١. فهمي هويدي ، مصدر سابق ،"مقابلة" .
١٥٢. نفس المصدر السابق .
١٥٣. نصر حامد أبو زيد ، تجديد نظام حياتنا السياسية ، "ملف إشكاليات تجديد الخطاب الديني" ، سواسية ، مرجع سابق ، ص ١٨ .
١٥٤. نفس المرجع ص ١٨ .
١٥٥. نفس المرجع ص ١٨ .
١٥٦. نفس المرجع ص ١٨ .
١٥٧. الباقر العفيف ، مرجع سابق ، ص ١٨ .
١٥٨. نفس المرجع ، ص ١٥ .

١٥٩. نفس المرجع صص ١٥ -١٦ .
١٦٠. عبد الله التطاوي ، إحياء مفردات الخطاب الديني ، مرجع سابق .
١٦١. محمد أبو القاسم حاج حمد ، مرجع سابق .
١٦٢. فضيلة الشيخ علي جمعة ، مصدر سابق ، "مقابلة" .
١٦٣. نفس المصدر.
١٦٤. نفس المصدر.
١٦٥. نفس المصدر.
١٦٦. نفس المصدر.
١٦٧. نفس المرجع .
١٦٨. نصر حامد أبو زيد ، تجديد الخطاب الديني ، ملاحظات واقتراحات ، مرجع سابق .
١٦٩. نفس المرجع .
١٧٠. نفس المرجع .
١٧١. نفس المرجع .
١٧٢. أحمد عبد الحفيظ ، ليس تجديد الخطاب الديني بل رؤية جديدة للذات وللعالم ، الأهرام ٢٠٠٣/١٢/٢٩ العدد ٤٢٧٥٦ .
١٧٣. سامي خشبة ، مرجع سابق .
١٧٤. نفس المرجع .
١٧٥. نصر حامد أبو زيد ، نحو منهج إسلامي جديد للتأويل ، اللقاء التشاوري النوعي حول السبل العملية لتجديد الخطاب الديني ، ص ٧ .

١٧٦. نفس المرجع ص ٨ .
١٧٧. سيد اسماعيل ضيف الله ، مرجع سابق .
١٧٨. نيافة الأنبا موسي ، مصدر سابق ، "مقابلة" .
١٧٩. سامح فوزي ، مصدر سابق ، "مقابلة" .
١٨٠. القس أكرم لمعي ، عن تجديد الخطاب الـديني .. وأسـئلتة .. واجاباتها ، ٢٠٠٢/٣/٢٨ العدد ٤٢٠٩٥ .
١٨١. فهمي هويدي ، مصدر سابق ، "مقابلة" .
١٨٢. فضيلة شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي ، تطوير الخاب الديني ضرورة يفرضها الواقع (في) قضايا اسلامية العدد ٨٤ ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢ م ص ٦ .
١٨٣. مصطفي النشار ، ملاحظات حول تحديث الخطـاب الـديني ، الأهرام ، ٢٠٠٣/٧/١٣ العدد ٤٢٥٨٧ .
١٨٤. رضوان السيد ، مرجع سابق ، ص٧ .
١٨٥. فهمي هويدي ، مصدر سابق ، "مقابلة" .
١٨٦. نفس المصدر .
١٨٧. محمد يحي ، مرجع سابق .
١٨٨. طارق البشري ، مصدر سابق "مقابلة" .
١٨٩. فضيلة الشيخ علي جمعة ، مصدر سابق ، "مقابلة" .
١٩٠. عبد الحسيب الخنائي ، رجال الدين يقولون : الاجتهاد ضـرورة والتجديد أهم ، الأهرام ، ٢٠٠٣/٨/٢٤ ، العدد ٤٢٦٢٩ .
١٩١. نفس المرجع .
١٩٢. فهمي هويدي ، مصدر سابق "مقابلة" .

193. فضيلة الشيخ علي جمعة ، مصدر سابق "مقابلة" .
194. جمال البنا ، تجديد الخطاب الديني ، اللقاء التشاوري النوعي حول السبل العملية لتجديد الخطاب الديني ، مرجع سابق ، ص ص 8-9 .
195. نفس المرجع ، ص15.
196. صلاح الدين الحورشي ، مرجع سابق ، ص 8 .
197. نبيل صمويل ، دعوة لتطوير الخطاب الديني ، الأهرام ، 2002/2/3 العدد 42062 .
198. أحمد عبد المعطي حجازي ، الدعوة للجميع ، الأهرام ، 2002/1/30 العدد 42058 .
199. صلاح قنصوه ، مصدر سابق "مقابلة" .
200. نفس المصدر .
201. نيافة الانبا موسي ، مصدر سابق " مقابلة" .
202. سامح فوزي ، مصدر سابق "مقابلة" .
203. نفس المصدر .
204. الباقر العفيف ، مرجع سابق .
205. سامح فوزي ، مصدر سابق "مقابلة" .
206. سامح كريم ، تجديد الخطاب الديني وماذا نترجم من قيمه ومبادئه؟ الأهرام ، 2003/2/5 العدد 42702 .
207. نفس المرجع .
208. نفس المرجع .
209. نيافة الانبا موسي ، مصدر سابق "مقابلة" .

٢١٠. عبد المعطي بيومي ، مصدر سابق "مقابلة " .
٢١١. نفس المصدر .
٢١٢. جمال البنا ، مرجع سابق ، ص ١٠
٢١٣. نفس المرجع ، ص ١٢.
٢١٤. عبد المعطي بيومي ، مصدر سابق "مقابلة" .
٢١٥. نفس المصدر .
٢١٦. سامي خشبة ، .. عن تجديد الخطاب الديني .. والبداية من السلوك العلمي ، ٢٠٠٢/٣/١٥، العدد ٤٢١٠٢ .
٢١٧. نفس المرجع .
٢١٨. سامح كريم ، مرجع سابق .
٢١٩. عبد الله التطاوي ، الخطاب الديني .. وطبيعة المرحلة، ٢٠٠٢/٢/٢ العدد ٤٢٠٦١ .
٢٢٠. فهمي هويدي ، مصدر سابق " مقابلة" .
٢٢١. منيع عبد الحليم محمود ، في الخطاب الاسلامي المعاصر ، الأهرام ٢٠٠٣/٢/٨ العدد ٤٢٧٠٥ .
٢٢٢. القس أكرم لمعي ، مرجع سابق .
٢٢٣. معتز الخطيب ، مرجع سابق ، ص ٣ .
٢٢٤. محمد بركه ، مرجع سابق .
٢٢٥. أحمد عبد المعطي حجازي ، الخطاب الديني الجديد ، فكر جديد ، مرجع سابق .
٢٢٦. صلاح الدين الحورشي ، مرجع سابق ، ص ٥ .
٢٢٧. محمد بركه ، مرجع سابق .

٢٢٨. جمال البنا ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

٢٢٩. نفس المرجع ، ص ص ١١- ١ .

٢٣٠. نفس المرجع ، ص ١١ -١٢ .

٢٣١. نفس المرجع ، ص ١٢ .